- من ملامح -

اللغة الثالثة عند نزار قباني

من خلال أعماله النثرية والشعرية

دراسة نحوية صرفية

د / خليل عبد العال خليل

الأستاذ المساعد بقسم النحو والصرف والعروض

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - الفيوم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خاتم

الأنبياء والمرسلين

سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه وسلم

الذى قال

﴿أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش

واسترضعت فى بنى سعد بن بكر﴾

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :-

ركـزت هـذه الدراسة فى ثلاثة ملامح رئيسية صدرتها بتمهيد عن مفهوم اللغة الثالثة عند نزار قبانى حتى لا يفهم منها أنه يريد القضاء على اللغة وقواعدها الموروثة، لأن ذلك نقيض ما كان يهدف إليه نزار قباني ، لأنه كان يهدف إلى تنمية اللغة العربية، وتنمـية قواعدها وتخليصها من كل قاعدة ميتة يؤدى التمسك بها إلى موت القواعد الحية ذات الاستعمال الكثير الشائع .

ولقـد صـدق د . محمد حماسة عندما قرر أن الخرق المتعمد لقواعد اللغة الذى كـان يقوم به هؤلاء الفحول كان من أصدق الأدلة على امتلاكهم للغة ، وعلى براعتهم الشعرية .

والخـرق المتعمد يكون عن دراية واقتدار وليس عن نسيان أو ضعف يؤدى إلى كـثرة الأخطاء وفساد المنظومة الشعرية والنحوية والصرفية والعروضية إن كثيراً مما ورد فـى شـعر فحول الشعراء من مخالفات أو انحرافات كانت عن دراية منهم و كانوا يعرفونها و كان يندّ عنهم فيها القليل و النادر .

و قد اصبح لدى الشعراء مكانة عظيمة عند النحاة و عند الأمراء و عند الـعامة و الخـاصة و أصبحوا يملكون حقاً مكتسباً هو " يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره " و قد وجد الشعراء المحدثون أنفسهم فى اكتساب هذا الحق " يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره " فتمسـكوا بهـذا الحق تمسكاً قوياً يستوى فى ذلك منهم مَنْ كان شعره حراً مع مَنْ كان شعره عمودياً و بذلك يصدق د : حماسة فى قوله :

"إن تمسـك هـؤلاء الشعراء المحدثين بذات الحقوق و الرخص التى تمسك بها الأقدمـون مـنهم أكـبر دليل على أن لغة هؤلاء الشعراء المـحدثين امتداد طبيعى للغة فحـول الشعراء القدامى " أ . هـ بتصرف " من كتاب : ظواهر نحوية فى الشعر الحر دراسة نصية فى شعر صلاح عبد الصبور " من ٣ - ١٥ د . محمد حماسة عبد اللطيف .

و كان من الممكن أن أسمّى هذه الدراسة ظواهر نحوية فى شعر نزار قبانى " أو أى تسمية قريبة من هذا المعنى ، لكننى لم أفعل ذلك تحقيقاً لرغبة نزار قبانى فى إظهار لغـته الثالـثة أو إظهار بعض ملامحها للمهتمين بشعره و بلغتنا العربية ثم إننى قسمت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدراسة إلى ثلاثة محاور أساسية عمداً ، و ذلك ليكون كل محور أو ملمح بمثابة ردٌ بليغ على من اتهموا نزاراً بتهم باطلة بعدم معرفته لقواعد اللغة ، أو يتعمده القضاء على اللغة العربية ؛ لأنه من دعاة العامية و الرذيلة و الإباحية و.....و.....و..... .

فالملمح الأول عنوانه : محاكاة لغة القرآن .

و فى هذا أبلغ دليل على :-

- أن نزار قبانى صحيح العقيدة و ليس كافراً
- أن نـــزار قـــبانى مهتم بالقرآن الكريم اهتمام المحب للغة هذا الكتاب المقدس المعجـــز ، ناظـــراً فى نظمه دوما متعلقا برصفه ، و بنظمه ، محاولاً محاكاة طريقته المعجزة فى توليف الألفاظ و تنظيم عناصرها لتركيبها فى أحسن نظم و أدقه و أبلغه .
- أن نـــزار قبانى واع تماماً لكل ما كتبه الأقدمون من مؤلفات تفسر هذا الكتاب العظـــيم و تخرج قراءاته ، و تعرب آياته و تبين كل ما أشتمل عليه لفظه من موضوعات لغوية و غير لغوية .
- أن نـــزار قـــبانى قـــد استلهم خلافات القدماء حول توجيه كثير من الآيات و القراءات القرآنية و المعانى الجميلة ، و استفاد منها فى لغته الثالثة التى برزت كثير من ملامحها فى شعره .
- أن نـــزار قبانى حاكى لغة القرآن بطريقة بشرية ليست منزهة أو معصومة ، لكنه نجح فى الاستفادة من النظم القرآنى المعصوم ، و المحفوظ بأمر الله .
- أنه احتمى فى هذا النص لكى ينجو من هجوم المهاجمين الذين يبحثون عن كل ساقطة و لاقطة ، و يبحثون عن أدنى ملابسة يتذرعون بها لسب الآخر و النيل منه بالحق و الباطل .
- فإذا قيل له لماذا أدخلت " أل " فى لفظة (المواويلا)من قوله :

الزرق المواويلاً ، أو الرحيلاً ، الرسولاً ، لقال لهم : لقد ورد فى القرآن نظير ذلك فى مثل قوله سبحانه :

" و تظنون بالله الظنونا " الأحزاب ١٠

قوله سبحانه :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" فعصى فرعون الرسولا " المزمل ١٦

و هكذا يستطيع نزار قبانى أن يملك لكل سؤال يمكن أن يوجه له جواباً شافياً من لغة القرآن و قراءاته .

و فى الملمح الثانى : **محاكاة لغة الشعر العربى القديم .**

نجد أن كثيراً من الموضوعات التى اشتمل عليها هذا المبحث تستند على تراث عريق قوى لأن كثيراً من موضوعات هذا المبحث قد وردت لها نماذج فى الشعر العربى القديم ، و قد استطاع المخلصون من اللغويين و النحاة أن يجدوا لها مسوغاً و وجهاً فى الكلام الفصيح و لغات العرب الشائعة .

و هذا دليل آخر على يدل على أن لغة نزار قبانى تستمد قوتها و رصانتها من لغة العرب القدامى و شعرهم الجزل منه و الرقيق .

فإذا استمدت لغة أى مبدع فنان شاعراً أم كاتباً قوتها من هذين الحصنين العظيمين كانت من أقوى اللغات و من أجملها و اعذبها .

و لا أدّعى أن كثيراً من الموضوعات التى احتوى عليها الملمح الأول لا تصلح لأن تدرس تحت الملمح الثانى أو العكس ، فهذا الأمر لم أقله ، و لن أقوله لأن كثيراً من موضوعان الملمح الثانى يمكن درسها تحت الملمح الأول يمكن وضعها فى الملمح الثانى.

لكن كل ملمح من الملمحين قد اختص بموضوعات لا تدرس فى غيره .

هذا إلى جانب تكرار لفظة أو قاعدة أو جزء من قاعدة فى أكثر من ملمح ، و ذلك لاشتراكها فى أكثر من مستوى فمثلاً لفظة " حتى " تكررت فى الملمح الثانى الثالث، لوجودها فى أكثر من موضوع ولإمكان درسها فى أكثر من مستوى فى الملامح الثلاثة ملمح النظم القرآنى ، و ملمح لغة التراث أو فصحى التراث ، و ملمح المستويات المعاصرة أو فصحى العصر .

لكن الملمح الثالث أختص بموضوعات كثيرة لا تدرس فى أىٍّ من الملمحين السابقين.

و هذا دليل آخر على أن اللغة الثالثة التى كان يريد لها نزارٌ أن تنتشر على ألسنة الخاصة و العامة هى امتداد للغة القرآن الكريم و لغة الشعر العربى القديم ، و هى لغة ليست غريبة عن البيئة المحيطة بها ففيها من بيئتها الكثير و الكثير إذن فهى خليط من الماضى و الحاضر ، و فيها من الماضى الكثير الجميل ، و فيها من الحاضر الكثير الخفيف الجميل .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمهيد

بداية لا ينبغى أن نفهم أقوال نزار قبانى على ظاهرها بأنه كان يريد أن يتخلص من موروثنا الثقافى شعراً أو نثراً وذلك لأنه قال : وحلمت أن أكتب قصيدة لحسابى الخاص دون أن أسحب أى قرش من "ميراث العائلة ، وأموالها الطائلة الموجودة فى كتاب الأغانى والعقد الفريد وبنك الخليل بن أحمد الفراهيدى".

أو قوله : " أنا شاعر لا يزال يفتش عن الحرف التاسع والعشرين فى الأبجدية العربية" [1].

إن الحرف التاسع والعشرين هو الكنز المسحور الذى مات ألوف الشعراء قبل أن يكتشفوه .. وسيموت ألوف من الشعراء على أمل اكتشافه".

والذى يريد قوله من هذا وغيره هو أهمية تجديد الشعر العربى ، وتجديد ألفاظه، ومعانيه، وأخيلته وعروضه ، والذى يتمكن من فعل ذلك يكون قد وجد الحرف التاسع والعشرين المفقود.

ولذلك فإن نزار قبّانى كان يرى أن الشعر هو اغتصاب العالم بالكلمات – كما صرح بذلك فى قصائده – فالمتنبى كان مغتصباً لعصره ، وغيره وغيره وكذلك رامبو، وبودلير ، وفيرلين ، ولوركا ، وبابلو فيرودا وعلى يد هؤلاء وأمثالهم كُتب تاريخ الشعر ، وكُتب للغة أن تكون ودوداً و لوداً.

إن الشعر عصيان لغوى خطير .. على كل ما هو مألوف ومعروف ومكرّس.

إن اللغة التى يريدها نزار هى تكلم اللغة التى تجعل قصائد الشعر تسافر فى كل مكان ولا تعود إلى صاحبها مرة أخرى ، فالمطلوب أن تكون لغة الشعر لغة يقبل عليها جميع منْ يسمعها ، فليس هناك لغة يستعملها شخص واحد و لا يفهمها غيره.

إن نزار يبحث عندما يكتب شعره عن لغة تكون القاسم المشترك بينه وبين جيل عربي لا يعرفه ، أو يعرفه وعن ملايين العقول التي لم تتشكل بعد ، ولكنها سوف تتشكل بصورة حتمية داخل الشعر [2] إنه يريد أن يكون ذلكم الشاعر ، أو الأديب الذي يحاول أن يفتح الدنيا بقاموس لا يتجاووز ألف كلمة " ولا غرو في ذلك فهو يرى أن معجمه

---

[1] جـ٨ / ٧٤

(٢) ج ٩٣/٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليس صغيراً إذا قورن بمعجم شكسبير بكل ما وراءه من أعمال مسرحية ، وشعرية كان يقام على ثروة لغوية ، لا تتجاوز ألفاً وثلاث مائة كلمة – مفردة – فى اللغة الإنكليزية والمهم فى الشعر لا كثرة المفردات ، وإلا كان القاموس المحيط أكبر شاعر فى الدنيا . إن المهم هو كيفية تركيب المعادلات المقنعة فى الشعر [1].

ولذلك فإن نزار قبانى يعترف بأنه شاعر بسيط ، ويعنى بالبساطة أن قراءه عندما يقرءون شعره لا يحتاجون إلى معاجم اللغة العربية ، أو كتب النقد أو غيرها إنه يعتبر البساطة مصدر قوته ، إنه يريد أن يجعل الشعر العربى قماشاً شعبياً يلبسه الجميع . وشاطئاً شعبياً يرتاده الجميع.

إنه يريد أن لا يبقى مواطن واحد فى الوطن العربى يكره الشعر ، أو يستثقل دمه ..... أو يهرب من سماعه أو من قراءته ، ويرى أنه منتصر فى ذلك .

إنه يريد أن يجد لغة ديمقراطية تجلس مع الناس فى المقهى وتشرب معهم الشاى. وتدخن السجائر الشعبية [2].

وهو لا يدعى أنه صنع لغة ، أو اخترع لغة جديدة ليست ذات صلة بأصلها العربى ، إنه يرى أنه تزوج اللغة العربية التراثية ، وأنجب منها لغته الثالثة التى صاغ بها أدبه الشعرى والنثرى.

– إنه يرى أن اللغة التراثية كانت متعالية متعجرفة بيروقراطية بروتوكلية ، لا تصافح الناس إلا بالقفازات البيضاء ولا تستقبلهم إلا بالمنشاة ، وربطة العنق الداكنة .

– إنه لم يفعل أكثر من أنه رفع الكلفة بينه وبين لسان العرب ، ومحيط المحيط ، وأقنعها أن تترك بيت أبيها العجوز ، والملئ بأرواح الموتى، وتختلط بتلاميذ المدارس ، والموظفين ، والعمال والبائعات والممرضات وسائقى سيارات الأجرة و .....و .....إلخ.

وليس هذا فى رأيه انتقاصاً من قيمة اللغة العربية فهى لغة جميلة ، ومدهشة ، وغنية غنىً لا حدود له.

إن اللغة العربية بحاجة إلى عملية تهوية ، وفتح أبواب ونفض سُجّاد ... ومسح

---

(١) جـ٧/ ٤٧٣

(٢) جـ٨/ ٩٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زُجاج ... لأن اللغة كالنبات والإنسان ، بحاجة يومية إلى الأكسجين ، وإلا اختفت ومانت من ثانى أكسيد الكربون.

- إنه يرى أنه لا توجد لغة فى العالم لا تكبر ، ولا تصغر ولا تطول، ولا تقصر .. ولا تحبل ، ولا تلد ... إلا إذا كانت لغة معدنية أو لغة من الحجر.

ويـــرى نزار قبانى أن مسئولية تهوية اللغة وإعادة صياغتها ، وتوزيع أثاثها ... تقع بالدرجة الأولى على عاتق الشعراء ، لأنهم يملكون بحكم طبيعة الشعر امتيازاً خاصاً يجعل ذنوبهم مغفورة ، وخطاياهم محتملة ومخالفاتهم قابلة للعفو ؛ لأنهم الأطفال المدللون فى المنزل العربى ، يلعبون باللغة كما يشاءون[1].

وقد قال ابن جنى" إن العرب يدخلون تحت قبح الضرورة مع قدرتهم على تركها، ليُعدوها لوقت الحاجة إليها "[2]

ولا يوجـــد إنســـان عربى فى نظر نزار قبانى عشق اللغة مثلما عشقها إن اللغة تحتله احتلالاً شاملاً .

" إن اللغة تحاصرنى من جميع الجهات ، حتى إن العالم عندى يأخذ شكل النقطة والفاصلة ، الزهرة لغة ، والنجمة لغة ، والشجرة لغة ، ووجه المرأة لغة ، جسدها لغة ، ضـــحكتها لغـــة ، استدارة نهدها لغة ، العصافير لغة ، الغابات ، دموع الأطفال ، وجوه المناضلين ، صرخات المظلومين، قمع الظالمين ، كلها لغات مختلفة أحاول اكتشاف رموزها.

إنه لا يمكن فهم العالم دون وجود لغة مشتركة بينهم وبينه.

وكل تناقضات العالم هى فى أساسها تناقضات لغوية وعندما تتكسر العلاقة بين القصيدة وبين قارئها فهذا يعنى أن فراغاً لغوياً قد حصل.

كـــل الكلمـــات فى اعتقاد نزار قبانى عذارى حتى تضاجع الكاتب فإما أن تخرج ناصعة ... تتعهر .

ولكـــى يكـــون الشـــاعر مدهشاً - شعرياً على الأقل - فعليه أن يحدث خللاً فى ترتيب الأشياء والكلمات والعادات اللغوية.

لكن نزار قبانى لم يكن متطرفاً فى آرائه تجاه اللغة الجديدة التى ينادى بها، لأنه لم يكن

---

(١) جـ٨/ ٩٦

(٢) الخصائص ٣٠٣/٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يرغب فى التخلص من اللغة التراثية وبما فيها من ألفاظ، وطرق وقواعد للصياغة بل إن كثيراً من النقاد وكانوا يرون أن نزار قبانى لا تزال لغته – برغم كل ما أثير حوله من ضجة بفعل تصريحاته عن اللغة الجديدة التى ينادى بها – لا تزال لغته هى لغة الأربعينات ، وأنها متأثرة بالقديم وبكل من تأثروا بالقديم من أدباء يعشقهم مثل أمين نخلة، وبشارة الخورى ، وسعيد عقل ، وصلاح لبكى غير أنه كان يرى أنه لا يوجد شئ اسمه لغة الأربعينات أو لغة الخمسينات أو غيرها ، لأن اللغة ليست حذاء نلبسه ونخلعه كل ستة أشهر ، أو كل شهر ونستبدله بحذاء جديد.

فلغة طه حسين هى لغة طه حسين ولغة أندريه جير هى لغة أندريه جير ولغة تولستوى هى لغة تولستوى ، ولغة مياكو فسكى هى لغة مايوكو فسكى ، ولغة الفيتورى هى لغة الفيتورى.

إن اللغة هى خصوصية الكاتب ، مثل بصمات أصابعه ، ولون عينيه ،ولو جردت أى أديب أو أى شاعر مثل عمر ابن أبى ربيعة من لغته لبقى عارياً. (١).

ويرى نزار أن أغلب عالمنا العربى يعيش منفصم الشخصية اللغوية فلدينا لغة نتكلمها فى البيت ، وفى الشارع وفى المقهى ولغة أخرى ، نكتب بها فروضنا المدرسية، ونستمع بها محاضرات أساتذتنا ، وتقدم بها امتحاناتنا.

فالعربى يقرأ ويكتب ويؤلف ويحاضر بلغة ، ويغنى ويروى النكات والطرف المضحكة ، ويتشاجر ويغضب ويتمتم ويداعب أطفاله ، ويتغزل فى عين حبيبته وجمالها بلغة ثانية.

هذه الأزدواجية اللغوية التى لم تكن تعانيها بقية اللغات كانت تشطر أفكارنا وأحاسيسنا وحياتنا نصفين.

وكانت اللغة أملاكاً خصوصية واللغويون جمعية منتفعين ، وكانت الفتوى بشرعية كلمة أو تعريب مصطلح علمى أو تقنى ، تستغرق المجامع اللغوية ثلاث سنوات من التنجيم والاستخارات والآلاف من كؤوس الشاي والى جانب هذه اللغة المتعجرفة المتعالية التى لم تكن تسمح لأحد أن يرفع الكلفة معها ، كانت اللغة العامية تقف فى الطرف الآخر ، نشيطة متحركة ، مشتبكة بأعصاب الناس وتفاصيل حياتهم اليومية ،

---

(١) جـ٨ / ١٨٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبين هاتين اللغتين كانت الجسور مقطوعة تماماً ، فلا هذه تتنازل عن كبريائها لتلك، ولا تلك تجرؤ على طرق باب الأولى والدخول معها فى حوار.

لذلك كان لابد من فعل شئ لإنهاء حالة الغربة التى كنا نعانيها، وكان الحل هو اعتماد لغة ثالثة ، تأخذ من اللغة الأكاديمية منطقها وحكمتها، ورصانتها ، ومن اللغة العامية شجاعتها ، وحرارتها ، وفتوحاتها الجريئة.

ويرى نزار أنه بهذه اللغة الثالثة يكتب اليوم ، ويكتب كثير من الكتاب ، وسيكتب كل المثقفين والأدباء والتلاميذ فى المستقبل.

إنها لغة تبذل ما فى وسعها لتجعل درس اللغة العربية فى مدارسنا مكان نزهة ، لا ساحة تعذيب وتحاول أن تعيد الثقة المفقودة بين كلامنا الملفوظ وكلامنا المكتوب ، وتنهى حالة التناقض بين أصواتنا و حناجرنا ، وهذه اللغة هى لغة نزار قبانى.[1]

إن لغة معلقة عمرو بن كلثوم محطة من محطات التاريخ لا يصح أن نبقى محبوسين فيها إلى ما شاء الله ، وإذا كانت الربابة إرثاً تاريخياً جميلاً ، فلا يجوز أن تبقى نهاية الطرب ، وإذا كانت مقامات الحريرى إيقاعاً لغوياً على سطح من النحاس فإن مثل هذا الإيقاع أصبح صداعاً لا يحتمل بالنسبة للأذن العربية المعاصرة.

لكن نزار لا يريد أبداً أن يفجّر اللغة ، ولا أن يبول على التاريخ أو يحرق التراث ، ولا يريد نزار أن يشنق المتنبى ؛ لأنه أصبح دقة قديمة... ولا يريد أن يتبع الموضة الشعرية لعام ١٩٨٦م التى تقضى بأن يكون الفاعل منصوباً .... والمفعول به مرفوعاً ..... ولا أريد أن أترك فندق التأريخ .....حتى لا أنام فى الشارع.

وأريد أن أصل إلى المستقبل ، دون أن أبصق على الماضى وأريد أن أتشكل فى رحم الأصولية ، كما تتشكل اللؤلؤة فى داخل المحارة. وأريد أن أستلم الحكم فى جمهورية الشعر دون أن أقتل أحداً من الشعراء القدامى، أو المعاصرين.

إن مفهومى للشعر لا يزال – ونحن بعد ١٩٩٠م – كما أعلنته منذ عام ١٩٤٨ م هو أن الشعر يجب أن يكون قماشاً شعبياً يلبسه الجميع ورغيفاً ساخناً يتناوله الجميع ، وحديقة مفتوحة لكل الجماهير ليلاً ونهاراً ، وهذا الكلام يعنى أننى لا أؤمن ببورجوازية الشعر وطبقيته ، وصالوناته المغلقة التى ترتادها الخاصة فقط إن الشعر خطاب إنسانى

---

[1] جـ٧ / ٣٠٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتوجه إلى الآخر ، ولا قيمة لشعر يخاطب الفراغ أو الملائكة ، أو النخبة ، أو يخاطب نفسه . (١)

أما ما يقوله بعض نقادنا من أن شعرى مبسط أو مسطح ، وكأننى أكتب للطبقة الدنيا من الناس.

فهذا يعنى أنهم يريدون شعراً و أدباً لا يفهمه أحد ولو أن شعراءنا اعتمدوا على آرائهم وتوجيهاتهم وحكمهم المأثورة ، لتحولوا إلى بائعى فلافل.

و إذا كانت بساطتى هى سبب غضبهم فسأبقى بسيطاً من أجل جمهورى العربى من المحيط إلى الخليج وهو جمهور عريض متنوع الطبقات والثقافات والتوجهات والأيدلوجيات.

إن الحداثة لا تعنى أن أكون ضد الجماهير العريضة ، لأننى عندها سأتحول إلى "القديم" بكل ما فيه مما يعشقه الجمهور العربى ، إننى أتمنى أن يكون شعرى – ولغتى همزة وصل لا همزة قطع بين الماضى والحاضر.

وأرجو أن أصل بشعرى إلى الحد الذى يجعل مائتى مليون عربى يتناولون الشعر مع وجبات إفطارهم ، ويحتسونه مع فنجان القهوة، فإن وصلت إلى ذلك أكون قد خدمت الحداثة وحققت لها أهم ما تريد ، ومنحتها الشرعية ..... (٢)

وفى سبيل تحقيق ذلك لابد من حدوث أمور كثيرة ، فيها تكرار الكلمة، وتكرار العبارة ، وتكرار المعنى ، وتشابه القصائد بعضها لبعض ، وهذا ليس عيباً ، فأعظم نص عرفته البشرية وأبلغ قول نجح فى تحدث أهل البيان على مر الزمان فيه تكرار ، لكنه تكرار يحمل فى كل مرة جديداً، فمن يقرؤه متعجلاً يظن أنه تكرار ، ومن يقرؤه متأملاً متأنياً يدرك أنه ليس بتكرار لأنه كلام الله .

ولعل شعرى قد أصبح له طعمه الخاص ، وخواصه المعروفة ، حتى إن الكثيرين أصبحوا إذا سمعوا قصيدة لى بسرعة نسبوها إلى ، لأنهم أدركوا العلامات المميزة لشعرى ومفرداتى ، وتراكيبى.

---

(١) جـ٨ /٥٤٥

(٢) جـ٨ / ٥٦٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهـذا لـيس عيباً ، فالمتنبى له علامات مميزة لشعره تميز شعره بها عن بقية الشعراء الآخرين ، وكذلك أبو نواس وشكسبير ، وبيتهوفن ، وموزارت، وزينوار ، وفان كوخ ، وبيكاسـو ، ودالـى ، وغيرهم وغيرهم ، قد احتفظوا فى شعرهم بهويتهم التى رافقتهم طوال حياتهم وأصبحت تميزهم عن غيرهم[1] ، والشعر ، والمعانى التى يطرقونها.

وليس من السهل على هذه الدراسة استقصاء كل الآراء ، وعرض كل الأصوات والأقلام التى هاجمت نزار قبانى وهاجمت طريقته فى استخدام اللغة وتجديدها وهاجمت ما أسماه بلغته الثالثة ، بكل عناصرها وخصائصها لأن معظم الذين هاجموا طريقة نزار قبانى فى اختيار لغته، ومفرداته ، وتراكيبه هم ينطلقون من الخوف على التراث بكل ما فـيه ، وتأثـرهم بفكـرة سوء النية لدى الاستعمار ، وأهدافه المغرضة على مر سنوات وجوده فى العالم العربى منذ أكثر من مائتى سنة.

وهـم معذورون فى كل ما هم فيه تجاه فكرة تحرير اللغة وهم معذورون فى كل مـا هم فيه تجاه فكرة الشك فى كل ما يأتى به الاستعمار إلى شعوبنا فكراً أو عادات أو تطويراً فى كل هذا أو تغييراً فى الثوابت الموروثة وبخاصة ما يتصل بالعقيدة.

لكنـنا لا نعذرهم فى الدعوة إلى الجمود ، وإلى عبادة الماضى وتقديسه بكل ما فيه، إن مثل هذه الدعوات لا تفرق بين تقديس ما هو واجب التقديس ، وما هو ليس واجباً تقديسه.

فمن قال إن لغة " أمرئ القيس " – وهو نصرانى الديانة – وألفاظه ، وتراكيبه ، ومعانيه ، وأخيلته ، مما يجب تقديسه ، ومن قال إن لغة طرفة وطريقته فى التصوير مما يجـب تقديسه ، وكذلك تأبط شراً ، عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة ، وغيره وغيره من أصحاب المعلقات والأصمعيات والمفضليات وغيرهم وغيرهم.

إن لغـة هـؤلاء الشعراء تتغير من شاعر إلى شاعر ، وتتغير اللغة كلها تغيراً ملحوظاً أو غير ملحوظ من فترة زمنية إلى أخرى.

ألـم تتغـير كثير من الألفاظ عند شعراء العصر الإسلامى عما كانت عليه فى العصر الجاهلى ؟

---

[1] جـ ٨/ ٥٧١ ، ٦٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

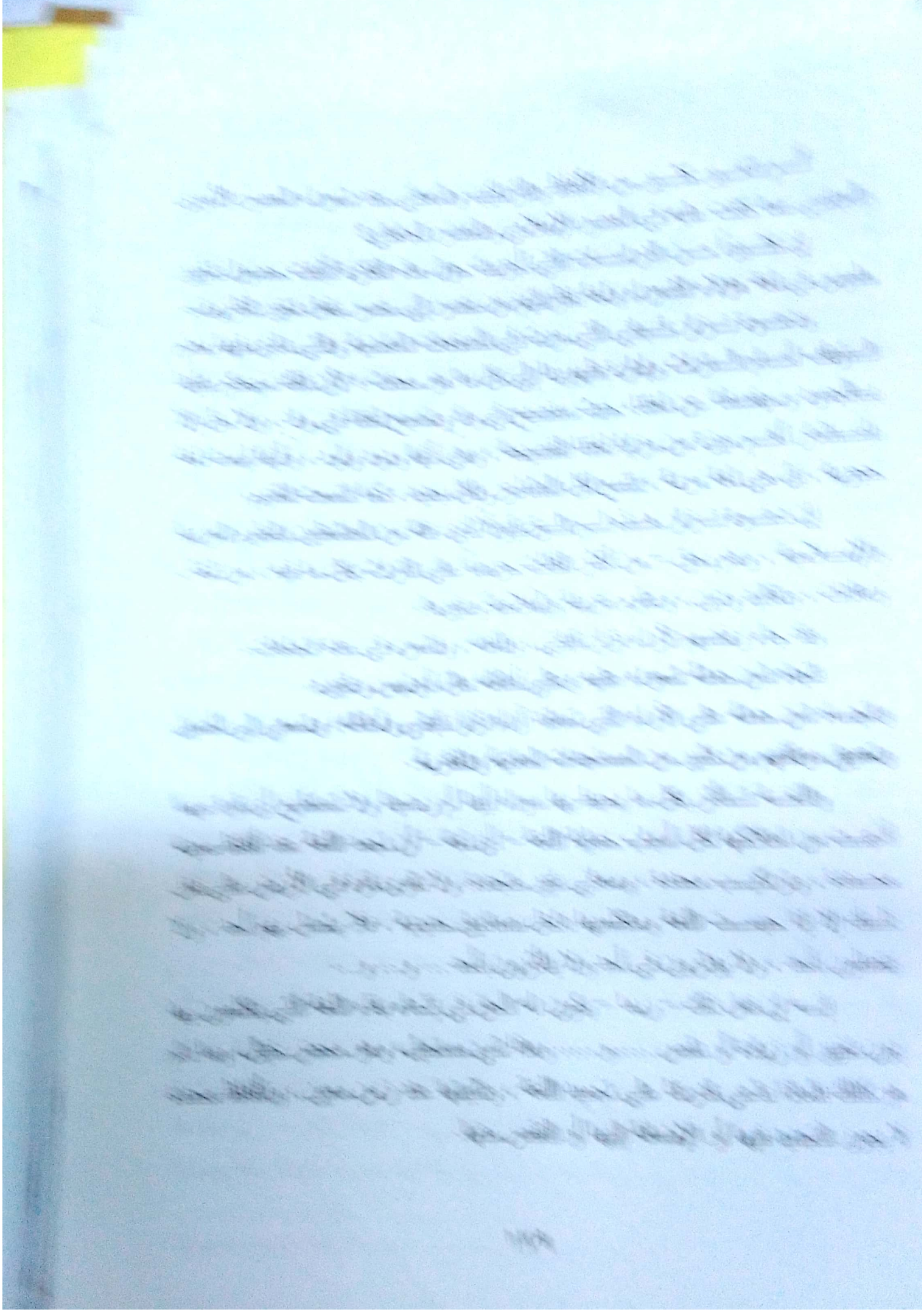

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ألـم تتغـير كثـير من الألفاظ والتراكيب والمعانى عند شعراء العصر الأموى والعباسى عما كانت عليه فى العصر الإسلامى والعصر الجاهلى؟

إن كثـيراً مـن الدراسـات التى أجريت حول هذه الفكرة أثبتت حصول تغيير ملموس فى لغة هؤلاء الشعراء ولغة نظرائهم من عصر إلى عصر بفعل تغير الظروف.

ودعـوة نـزار قـبانى التى مرت فى الصفحات الماضية والتى نادى فيها بعدم الـتوقف أمـام الـتراث وإدارة ظهورنا إلى كل ما هو محدث ؛ لأن ذلك سيحكم علينا بـالجمود وسيفصلنا عن لغتنا، حيث سنصبح فى وادٍ وتصبح لغتنا فى وادٍ ، ولا حل إلا باسـتثمار أهـم ميزة من مزايا لغتنا الفصيحة ، وهى أنها ودود ولود ، وأنها ليست لغة حجرية ، بل هى لغة مرنة ، تتسع لكل المشاعر ولكل جديد ، كما اتسعت للقديم.

إن دعـوة نـزار هـذه لـم تلـق قبولاً لدى فئة من المنشغلين بالعلوم العربية والإسـلامية ، وهم بحق – من أكثر الفئات حرصاً على التراث بكل ما فيه ، من لغة ، وعادات ، وتقاليد ودين ، وعلوم عربية وإسلامية وغيرها.

وقد جاء رفضهم لآراء نزار قبانى ، وللغته ، ولشعره فى عدة اتجاهات.

اتجاه شن حملة شعواء عليه وعلى أمثاله مثل أدونيس وغيره.

واتجـاه شن حملة على الآراء التى تساند آراء نزار قبانى وأمثاله، وتسعى إلى تأصيل وتعميق موقفهم من كثير من المستجدات المادية والفكرية.

واللغـة تـتأثر بكل ما يحيط بها سواء أبينا أم رضينا ولا تستطيع أى قوة مهما أدّعـت من امتلاكها لكل أسباب حماية اللغة – أى لغة – أن تجمد اللغة عند ألفاظ معينة محـددة ، وتراكيـب محددة ، ومعانى غير متجددة. ولا تقوى قوة فى الأرض على فعل ذلـك إلا إذا حبسـت اللغة ومتكلميها داخل صناديق حديدية ، فلا يتصل بهم أحد ، ولا يتصلون بأحد ، ولا يؤثرون فى أحد ولا يتأثرون بأحد ... و... و ..

إنـه إن فعل ذلك – ربما – يكون له الحق فى إدّعاء بقاء اللغة التى يتكلمون بها بدون تغيير أو زيادة أو نقص .....و..... وهذا شئ مستحيل، وهو محض خيال، وما دام هو كذلك فلماذا ندّعى قدرتنا على تجميد اللغة ، وتثبيتها عند زمن معين ، وبألفاظ محددة لا يجوز التجديد فيها أو الإضافة إليها أو النقص منها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد يقول قائل إننا نؤمن بحدوث تغيير مستمر فى اللغة ولكننا نرفض جعل الشعر مملوءاً بالألفاظ الدارجة حتى يصبح قريباً من العامية وكأنه مكتوب لهم فقط ، هذا بالإضافة إلى كثرة خروج الشاعر على قواعد النحو والصرف الموروثة.

وقد رفض أصحاب هذا الرأى أى محاولة تؤدى إلى تأصيل هذه الألفاظ وإيجاد أصول فصيحة صحيحة لها ، لأنه مهما بُذل فى سبيل ذلك من جهود فلن يؤدى إلى قبول هذه الألفاظ ، وتسويغ استخدامها فى شعرنا، الذى هو جزء من تراثنا.

ذلك لأن الأدب – بطبعة – متعة عقلية وروحية ، وهو بهذا الاعتبار ليس هواية شعبية ، وليست المشكلة فيه هى مشكلة الألفاظ فحسب ، ولكنها مشكلة الأفكار والأخيلة التى تحتاج فى تذوقها إلى مستوى ثقافى معين. فمهما نعمل على تيسير الألفاظ ، وجعلها فى متناول عامة الناس فلن يستطيعوا إلا فهم ما يلائم عقولهم ، وثقافاتهم من الآداب السطحية التى لا تعبر عن أغوار الحقائق وأعماقها ، ذلك هو المدلول الحقيقى لكلمة – الأدب الشعبى– فالأدب الشعبى لا يتميز بلغته فحسب ، ولكنه يتميز أولاً وقبل كل شئ بسطحيته فى التفكير وبساطته التى تلائم السذج من البدائيين ، ولكنها لا تشبع حاجات المثقفين وطلاب المعرفة من أصحاب الفكر الرفيع والذوق المرهف و ....."[1]

وكان صاحب هذا الرأى يرد على أحمد حسن الزيات وغيره ممن ينادون بأن ندع اللغة تساير المجارى المتدفقة المسرعة من تحوير وتبديل وتعديل وتجديد ، فإذا لم تتبع اللغة العربية سنة النشوء والإرتقاء فقدت عناصر الحياة ، وإذا لم نقم بإزالة السد القائم بين الفصحى والعامية ، ونقضى على عُنجهية الفصحى ، فإن ذلك سوف يؤدى إلى طغيان العامية على الفصحى ، وسوف تموت الفصحى إن عاجلاً وإن آجلاً .

أما ما يقوله المعارضون لتطوير الفصحى وقواعدها وتيسير قواعدها، وإدخال ألفاظ جديدة إليها ومساواتها بأخواتها الرصينات من أن ذلكم التطوير سوف يؤدى إلى قطع صلتنا بتراثنا ، وجعل الأجيال الحاضرة منبتة الصلة بماضيها ، وسوف يجعل قرآننا وسنة نبينا صلى الله عليه و سلم مادة لغوية لا يقوى على قراءتها إلا فئة قليلة من المتدينين – مثل الكهنة – فى الأديان الأخرى عندما انقطعت صلتهم بماضيهم ، ولغة كتبهم السماوية لم يصبحوا قادرين على قراءة التوارة أو الأنجيل أو غيرها من الكتب

---

[1] حصوتنا مهددة من داخلها كتاب تأليف د. محمد محمد حسين طبعة ١٠ ص ١٤٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السماوية. وعلى هذا فلابد من رفض أى لغة غيرها و رفض أى مصالحة بين الفصحى والعامية.[1]

إن هـذا الرأى وما رتّبه عليه أصحابه شئ غريب لأن هدفه نبيل ولكن وسيلته لتحقيق هذا الهدف شئ لا يقره البحث اللغوى الحديث أو القديم...

ذلـك لأن قدماءنـا قد رصدوا فى مؤلفات خاصة إنحراف اللسان العربى - أى تطوره ، وارتقـاءه - وآمـنوا بفكرة تطور اللغة ، وكان ابن جنى فى كتابه الخصائص من أبرز علمائـنا القدامـى دفاعاً عن هذه الفكرة ، بل إنه جعل كل لقطة أو تركيب محكوم عليه بالرفض أو الشذوذ سواء كان قرآنا أو قراءات شاذة أو غير ذلك أهم و أولى من غيرها قـبولاً الاهتمام بها ، بل وتفضيلها على غيرها ، وقد كرر ابن جنى دفاعه عن فكرة ما يقوله بمنزلة ما يرويه بطريق مباشر وغير مباشر ... كل ذلك ليؤكد فكرة الإيمان بتطور اللغـة ونشـوئها وارتقائها وأن الغيورين على اللغة الخائفين عليها من أن يمسها الهواء فـيؤدى ذلـك إلى انهيارها قبلوا فكرة تطور اللغة وحتمية تطوير قواعدها ، لما أحسسنا الآن بـالهوة الواسعة بين حديثنا اليومى والحديث الذى نستعمله - لو نريد أن نستعمله - فـى المواقف الرسمية قولاً وكتابة ولو أن هؤلاء الغيورين - رحمهم الله - آمنوا بفكرة حتمـية تطور اللغة وحدوث موت فى ألفاظها وحدوث بعث لألفاظ ميتة فيها ، أو كانت ميتة ، ينبغى الحكم عليها بذلك ، وحتمية إيجاد قواعد أخرى مناسبة جديدة تحتاجها لغتنا، سـواء وافقت هذه القواعد ما عند قدمائنا النحويين نصاً أم خالفتهم نصاً وروحاً لكنهم لم يدركوا ذلك فلم يبق من قواعد لغتنا إلا الميت ولم يعد يتحدث اللغة الفصحى إلا قلة قليلة مـن المثقفين وهم يتكلمونها بلحون كثيرة ، لا يسوّغها إلا القول بوجود قواعد كثيرة - كانت مهملة - ينبغى الركون إليها لوجود الحاجة الماسة لها.

إن أصـحاب الـرأى القائل برفض أى تجديد فى ألفاظ اللغة وقواعدها وأخيلتها يرفضون القول بتسويغ كثير من الضرورات - برغم ما قيل من أن الشعر كله ضرورة - والـنحو كله ضرورات - ويرفضون القول بحتمية إجراء إصلاحات فى أصول الفكر النحوى منذ القدم ويرفضون القول بتطور اللغة أصلاً ، وأن ذلك سر من أسرارها ، وهم

---

[1] حصوننا مهددة ص١٥٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يرفضـــون كـــل ما جاء به الكوفيون لأنهم توسعوا فى قبول الرواية فتوسعوا فى السماع والقـــياس والعلة ، فجاءت قواعدهم أكثر قرباً من طبيعة اللغة المتغيرة من حال إلى حال وهـــم يرفضـــون كل قرارات مجمع اللغة العربية وكل جهود خبرائه ولجانه ، وكل ما أنتجـــته جهودهـــم منذ تأسيس أقدم مجامع اللغة وما تلاه من مجامع ، سارت فى طريق تضييق الهوة بين تراثنا وحاضرنا – لغوياً – بين لغتنا القديمة ولغتنا المعاصرة ألفاظاً ، وتراكيب، وأخيلة و. . . و . .

فـــإذا كنا سنرفض كل ذلك فإن قضية اللغة الفصحى لن تجد من يدافع عنها ، وسنصـــبح بصدق لا نملك غير العاميات المحلية ، لأن من يعرفون الفصحى ويمتلكون زمامها أكلهم الزمان وماتوا من زمان ، وسنصبح بحق بلا تراث ولا هوية.

إن نزار قبانى يُعد – فى نظرى – واحداً من هؤلاء الذين بذلوا جهداً مشكوراً فى سبيل تقريب لغتنا العربية إلى جميع مستويات الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج ، وجـــاءت محاولاتـــه فى شعره وكلماته فى الأمسيات الشعرية والمناسبات الأدبية ، وفى أعمالـــه الأدبـــية شـــعراً ونثراً وقد كان عملياً إلى حد بعيد ، لأنه حاول ألا يخالف نثره شعره، فجاء متسقاً مع نفسه أيما اتساق ، غير متناقض على الإطلاق.

إن نـــزاراً لم يدع أن تكون لغته الثالثة لغة مناقضة ومعاكسة للغة القرآن الكريم ولـــنظمه الـــبديع بل إنه على العكس من ذلك جعل لغته الثالثة تقترب من النظم القرآنى لتعـــيش فـــى ظله وتنعم بالأمن معه ، وقد نجح فى ذلك نجاحاً واضحاً ومن يستطيع أن يـــنجح فى هذا يكون قد نجح فى الارتقاء بشعره وفنه ولغته وسنعرف ذلك عندما نتناول بحـــث الخـــاص بعلاقة لغة نزار الثالثة بلغة القرآن ونظمه ، حيث سوف نجد نزاراً يحدث تناصاً بين لغته الثالثة فى شعره وبين لغة القرآن الكريم ونظمه.

وســـوف نجـــد نـــزاراً لا يهجـــر اللغة التراثية فى رصانتها وقوتها وقواعدها وتراكيـــبها، وأخيلـــتها ، بل يحاول – بسليقته – الاقتراب من هذه الأنماط القديمة ليمسح عنها غبار الزمن ، ويزيل خشونتها فيحبها الناس خاصتهم وعامتهم ، على حد سواء.

ســـنجد أنـــه يحـــافظ على كثير من الألفاظ التى استخدمها الشعراء الكبار قدامى ومحدثين على مر العصور وكذلك الألفاظ القديمة ، وكثير من القواعد القديمة التى لم يعد يستخدمها كثير من الناس فى كلامهم اليومى أو الرسمى أو الأدبى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وسنجد نزاراً لا يمانع من استخدام كثير من الألفاظ الدارجة ، والتراكيب الدارجة والكلمات التى جاءت بها الحضارة الحديثة ، أو الحياة الحديثة بكل ما فيها.

وهو إذ ينزع إلى مثل هذه الألفاظ الدارجة والتراكيب الدارجة ، لا تقف فى طريقه قاعدة نحوية بصرية أو بغدادية ، بل يعطى لنفسه الحق فى التهام كثير من هذه القواعد التى تقف حجر عثرة فى طريق تدفقه الشعرى المؤثر .

ولو أنه لم يفعل ذلك لفشل فى القرب من قلوب الجماهير العريضة فى العالم العربى من المحيط إلى الخليج.

إذن فلغة نزار قبانى الثالثة كما أراد - أن يسميها - ليست للعامة والسوقة والغوغاء فنسمّى شعره المملوء بها شعراً شعبياً بالمفهوم الشائع - الذى يصنفه النقاد فى مرتبه أقل من الأدب الراقى - السابق.

وهو أيضاً لم يخاطب بلغته الثالثة فئة محدودة جداً قليلة إلى حد أنها لا تُكاد يظهر لها وجود فى دنيا الناس ، فيستعمل لهم لغة إمرئ القيس أو الشعراء الجاهلين أو غيرهم ولاشك فى أن كثيراً من ألفاظ هؤلاء وتراكيبهم قد عفا عليها الزمان ولم يعد لها استعمال عند الخاصة أو العامة.

- ولم يدع نزار قبانى أن لغته الثالثة صورة فوتغرافية من لغة القرآن الكريم ، لأنه إن قال ذلك هجر الناس قوله ، ولطواه الزمان كما طوى كثيراً من أدعياء الشعر والفن.

إن شعره استثمر كل الرخص التى جاءت فى القرآن الكريم ألفاظاً وتراكيب وقواعد صرفية ونحوية واستثمر كثيراً من الضرورات الشعرية فى تراثنا الأدبى .

وكل هذه الرخص لا يستطيع أحد أن ينكرها أو يدعى عدم وجودها ، لأنها جزء من منظومة الإعجاز الفنى للقرآن الكريم وسيظهر ذلك عند تناولنا للمباحث الثلاثة الآتية .

مبحث النظم القرآنى ومبحث عن اللغة التراثية ومبحث عن المستويات المعاصرة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المسمع الأول : محاكاة

النظم القرآنى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النظم القرآنى

سوف يحتوى هذا المبحث كثيراً من التراكيب أو الألفاظ التى جاءت فى لغة نزار قبانى الثالثة ، فى شعره و نثره مما هو قريب من النظم القرآنى المعجز ، ولا نقصد من خلال ذلك أن شعر نزار قبانى مشابه للنظم القرآنى فهذا أمر مستحيل و قد استحال على جميع الأدباء منذ نزول الوحى ، و حتى قيام الساعة ، لأن الله تحدى المشركين من خلقه بهذا النظم لكى يأتوا بسورة من مثله أو آية أو حرف فما استطاعوا ، و لن يستطيعوا .

و لكـــنى أقصـــد من القرب هنا المحاكاة و التقليد أو ما يسمى " بالتناص " لأن نزاراً شاعر يعرف إعجاز القرآن ، و يؤمن بها و يؤمن ببلاغته فلذلك كان حريصاً على محاكاة هذا النص المعجز إعجابا به و إيماناً بمحتوياته و فى هذا أبلغ رد على مَنْ يدّعون أن نزاراً كان كافراً ، أو هو من الشعراء الكفار و لن نخوض فى هذه المسألة كثيراً لكننا سنذكر الآن بعض النماذج التى حاكى فيها نزار النظم القرآنى ، لتكون لغته الثالثة ليست بدعة أو شيئاً منكوراً لأن ما جاءت به قد جاء به النظم القرآنى قبل ألف وأربعمائة عام .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممنوع من الصرف :-

كنت قد خصصت بحثاً كاملاً عن قضية الممنوع من الصرف[1] ، تحدثت فيه عن هذا الباب حديثاً ينطلق من مبدأ أن اللغة كائن حيّ متغير ، أو متطور ، وأن خلايا هذا الكائن فى تحول مستمر من الحياة إلى الموت ، ومن الموت إلى الحياة.

وكنت قد تحدثت مع أ.د رمضان بعد التواب [2] – رحمه الله رحمة واسعة- عن هذا الباب الذى تزيد صفحات عرضه فى كتب النحو على مائتى صفحة ، وأحياناً تفرد له مؤلفات كاملة ، لتحصى أجزاءه ، وتوفى القول فى مشكلاته.

فتحدث معى حديثاً ضافياً عن هذا الباب ، وكأن فكرته كانت موجودة فى ذهنه ، وكان ملخص ما قاله أن هذا الباب يعتبر من بقايا الخصائص العامة للغة السامية الأم التى تشترك فيها العربية مع أخواتها الساميات ، غير أن اللغات السامية الأخرى قد تخلصت – بشكل أو بآخر – من استخدام هذا الباب ولم يعد له وجود واضح أو مؤثر فى قواعد كثير منها.

فقلت : هذا يعنى أن الأصل هو الصرف ، فقال لا :

الأصل هو المنع من الصرف ، وأن الصرف جاء إيثاراً للخفة ، أو نفوراً من توالى الأمثال أحياناً ، أو استثقالاً أو رغبة فى موسيقى التنوين ، أو رغبة فى طرد الباب على وتيرة واحدة بجر جميع الأسماء بالكسرة، وتنوينها أو إيثار للسهولة أو .....و..... أو مراعاة الوزن ، أو الوقف أو الفاصلة فكل هذه الأمور وغيرها كثير ، كانت وراء صرف الممنوع من الصرف ، الذى كان أصلاً فى اللغات السامية.

غير أن رأى المرحوم د. رمضان عبد التواب – لم يكن أساس فكرة بحثى فى الممنوع من الصرف الذى كنت مشغولاً بإعداده آنذاك ١٩٩٨م لأن الذى كان يشغلنى هو معاناتى وأنا طالب فى تطبيق قواعد هذا الباب فى أثناء حديثى مع الآخرين ، ومعاناة الآخرين فى تطبيقهم لقواعده فى أثناء كلامهم ، ثم معاناة الطلاب – فى كل المراحل العمرية والدراسية – بل المتخصصين – فى الإلمام بقواعد هذا الباب ، والنجاح فى الإجابة عن أسئلته فى الامتحانات.

---

[1] الممنوع من الصرف بين التقعيد والاستعمال – مجلة كلية الدراسات العربية ، الفيوم ، ١٩٩٩م من ص ٧١ –١٥١ بترقيم المجلة – للمؤلف .

(٢) كان ذلك عند حضوره لمؤتمر كلية الدراسات العربية بالفيوم فى مايو ١٩٩٨م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فكانت فكرة بحثى عن الممنوع من الصرف بين التقعيد والاستعمال وهو العنوان الذى ارتضاه وكان صاحبه أستاذنا أ.د / محمد حماسة".

وانتهيت بعد بحث الموضوع ، ودراسته أن صرف الممنوع من الصرف ضرورة ملحة ، فرضتها قوانين التطور.

وناديت بإلغاء هذا الباب كاملاً من كتب النحو المعاصرة والإكتفاء بالإشارة إلى أنه توجد بعض كلمات فى اللغة يجوز – على سبيل الجواز لا الوجوب – جرها بالفتحة وعدم تنوينها مثل : أحمد ، عمر ، فاطمة، شعبان ، كبرى ، نجلاء ، إبراهيم .. مدارس و غيرها ....إلخ.

وقد استقصيت – هناك – العلل التى بسببها أوجب النحاة – رحمهم الله– منع الألفاظ التى منعوها من الصرف ، ورأيت أنها علل من اجتهادات النحاة المشكورة ، وأن أهم رأى يمكن أخذه من كل ما جاءوا به هو جواز صرف الممنوع من الصرف لا فى الشعر فقط ، بل فى كل الكلام العربى شعره ، ونثره فى اختيار الكلام ، وليس فى الضرورة فقط ، لعدم فساد المعنى فى الصرف أو فى المنع.

ولأن الشعراء هم أكثر الناس إحساساً بثقل قيود بعض القواعد التى لا أثر لها على دلالة التركيب ، رأيت أن أستقصى هذا الباب فى شعر نزار قبانى، لأتعرف على موقفه من قواعد هذا الباب ، وهل أحس بثقلها فتجاوزها ، وصرف ما منع من الصرف عندما احتاج إلى ذلك ، أم أنه احتال للأمر ، وأبقى على قواعد هذا الباب كما جاء بها النحاة ؟

وقد وجدت أن الأمر يحتاج إلى إحصاء قصائد نزار قبانى فى أعماله الشعرية الكاملة ، وإحصاء الكلمات التى صرفها وحقها المنع من الصرف، والكلمات التى التزم فيها بقواعد هذا الباب.

واستقصيت أعماله الشعرية الكاملة التى أصدرتها "منشورات نزار قبانى- بيروت – لبنان ١٩٩٣م فوجدت أنه تجاوز قواعد هذا الباب وصرف الممنوع من الصرف يستوى فى ذلك ، ما منع لعلة واحدة أو ما منع لعلتين.

وأنه كان ممن ينادون بذلك فى قصائده – كما سنرى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك لأن إحصائى الشخصى لعدد قصائد نزار قبانى أفاد بأن مجموع قصائده فى أعماله الشعرية الكاملة فى الأجزاء الثمانية هو ألف قصيدة تقريباً ١٠٦٣. ألف وثلاث وستون قصيدة وأن عدد الألفاظ التى حقها أن تمنع من الصرف ثم صرفها نزار قبانى قد بلغت مائتى لقطة تقريباً جاءت فى خمس وسبعين قصيدة ، وبمقارنة هذه النسبة بما جاء فى كتاب الحجة لابن خالوية من قوله : قد تأملت كتاب الله فوجدت فيه مائة وخمسين حرفاً مما ينون ولا ينون" فإذا فهمنا أن قولة "مما ينون ولا ينون" أنه على سبيل الجواز، كان ذلك بمثابة سند قوى لنزار قبانى الذى صرف مائتى لقطة كان حقها أن تمنع من الصرف لكن نزار قبانى لم يلتزم بذلك التزاماً كاملاً ، إذ إنه كان يصرف الألفاظ الممنوعة ، وكان أحياناً يمنع هذه الألفاظ ، لكن صرفه لها كان هو الأكثر لأنه كان هو الطابع العام والخط الرئيسى الذى سار عليه فى أعماله الشعرية كلها و قد جاء فى شعره أيضاً منع المصروف عندما يحتاج لذلك .

وقد يقول قائل إن الأمر ليس فيه جديد لأن نزار قبانى قد صرف الممنوع فى الشعر ، وصرفه فى الشعر جائز ، والعبرة فى ذلك تكمن فيما لو أنه صرف الممنوع وكانت لديه الفرصة لمنعه ، لكنه أثر الصرف على المنع فى الوقت الذى كان يمكنه أن يمنع دون ضغط من وزن أو قافية ولم يفتنى ذلك إذ إن نزار قبانى صرف الممنوع من الصرف عندما اضطره الوزن وعندما لم يضطره الوزن أى عند الضرورة ، وعند الاتساع والاختيار ، حيث بلغت نسبة ما صرفه لغير ضرورة ما يعادل ٤٠% من مجموع الألفاظ المصروفة.

وليست هذه النسبة شيئاً يسيراً أو قليلاً يستهان به ، لأنها تشكل ظاهرة واضحة تحتاج إلى وضع قاعدة لها ، لأن كثيراً من قواعدنا بنيت على وجود شاهد واحد أو شاهدين أو ثلاثة ، فما بالك بأكثر من أربعين شاهداً – أو مثالاً – من شاعر مثل نزار قبانى ألا تحتاج مثل هذه النسبة إلى القول بجواز صرف الممنوع من الصرف فى الشعر والنثر ، فى الضرورة والاختيار ألا تحتاج تكلم النسبة إلى القول بحتمية حذف هذا الباب من كتب النحو الحديثة ، ونبقى عليه فقط فى مناهج الدراسات العليا أو المتخصصة قبلها.

إن لغة نزار قبانى الثالثة كان من ملامحها الرئيسية صرف الممنوع من الصرف فى الاختيار ؛ لأنه يريد أن يجعل القواعد النحوية ، والقواميس والمعاجم فى خدمة الحياة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والإنسان ، والشعر والنثر من الوجبات الخفيفة الشهية ، المعشوقة من جميع مستويات الشعب العربى من المحيط إلى الخليج.

إن لغة نزار قبانى الثالثة لا ترى بأساً من منع المصروف إذا اقتضت الظروف ذلك ، لأن الصرف والمنع كلها أمور صوتية لا علاقة لها بالمعنى ، مع إيمانه بأن منع المصروف قليل ، لكنه ليس إثماً كبيراً أو أمراً خطيراً يحرم على الشاعر أو الناثر فعله وعلى هذا فقد منع لفظة " خالد " فى قوله وقبر خالد فى حمص نلامسه فى النص الأتى وسيصرف كثيراً من الألفاظ الممنوعة من الصرف فى هذا النص وفى غيره مما سيأتى:

يقول نزار رحمه الله :

- يا شامُ أين هما عينا معاويةِ
- وأين من زحموا بالمنكب الشهبا
- وقبرُ خالدَ فى حمص نلامسه
- فيرجف القبر من زواره غضبا
- يا رُبَّ حىٍّ رخام القبر مسكنه
- ورُبَّ ميت على أقدامه انتصبا

ويتحسر نزار قبانى على أمته المشغولة بأمور لا تقدم ولا تؤخر ، ولا أثر لها فى معنى الكلام ، بينما تركت هذه الأمة أعداءها ينخرون فى جسدها ، ويهدمون حصونها ، ويخترعون ، ويتقدمون ، وأمته مشغولة بالمصروف والممنوع من الصرف ، وجيش الغاصب المحتل .

ممنوع من الصرف !!! **يقول نزار قبانى :**

- أبا تمامٍ أين تكون .....

.....

- أبا تمام إن النار تأكلنا
- وما زلنا نجادل بعضنا بعضاً...
- وعن المصروف والممنوع من صرف
- وجيش الغاصب المحتل ممنوع من الصرف

.....

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وقل لى أيها الشاعر
- لماذا الشعر .....حين يشيخ
- لا يستر سكيناً .....ويتحرُ
- فلا أحد بسيف سواه ينتصر[1]

ويقول :

- اغتصب العالم بالكلمات
- اغتصب اللغة الأم – النحو – الصرف
- الأفعال الأسماء
- اجتاح بكارات الأشياء
- وأشكل لغة أخرى
- فيها سر النار ، وسر الماء [2]

ويصرف نزار "فلسطين" ، "مكة" ، "حيزران" ، ويمنع "حطين" و قيائل فى قصيدته " إليه فى يوم ميلاده " فى ذكرى ميلاد جمال عبد الناصر ١٩٧١م.

- تضيق قبور الميتين بمن بها.
- وفى كل يوم أنت فى القبر تكبرُ
- .....
- تأخرت عنا .....فالمسيح مُعذبٌ
- هناك ، وجرح المجدلية أحمر
- نساء فلسطين تكحلن بالأسى
- وفى بيت لحم قاصرات ....وقصّر
- تُغنى بك الدنيـا .....كأنك طـارق
- على بركات الله .....يرسو ويُبْحر
- تناديك من شوق مآذن مكة
- وتبكيك بدرٌ يا حبيبى وخيبر

---

(١) جـ ٣ / ٣٤٨

(٢) جـ ٣ / ٧٨٢ – اغتصب العالم بالكلمات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- هُزمنا .....وما زلنا شتات قبائل
- نعيش مع الحقد الدفين وتثأر. [1]

ويصرف لفظة "عصافير" ، " زمامير" فى قوله :

- فى الزمن اليابس
- حيث تموت عصافيرٌ وحقول
- وتموت من الإحبـــاط خيول
- فى زمن النصر الكاذب
- حيث الحرب زماميرٌ ..... وطبول [2]

ويصرف لفظة فرعون فى ١

- هناك دوماً مخرجٌ
- من بطش فرعونٍ يُسمى الشعر. [3]

ويصرف لقطة "هياكل" فى قـــوله :

- لم يبق منهم لا أبو بكرٍ ولا عثمان.
- جميعهم هياكل " عظمية فى متحف الزمان".
- تساقط الفرسان عن سروجهم.
- وأعلنت دويلة الخصبان.
- واعتقل المؤذنون فى بيوتهم.
- وأُلغى الآذان[4]

ويصرف لفظة "يزيد" فى قوله :

- سامحونا إن صرخنا
- كتب التاريخ لا تعنى لنا شيئاً
- وأخبار على ويزيد أتبعتنا[5]

---

(١) جـ٣/ ٣٨٣- ٣٨١

(٢) جـ٦ /١٩ القصيد ، والغول.

(٣)جـ٦/ ١٥ البـــوابة.

(٤) جـ٦ / ٢٧ البـــوابة.

(٥) جـ٦/٣٠٧ المحضر الكامل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويصرف لفظة "آخر" فى قــوله :

- أجّلى الحكم لوقت آخر.
- فأنا منكسر فى داخلى مثل الإناء[1]

ويصرف لفظة " مريم " فى قوله:

- جميعهم تخنثوا
- تكحلوا
- تعطروا
- تمايلوا أغصان خيزران
- حتى تظن خالداً سوزان
- ومريماً مروان
- الله يازمان [2]

ويصرف لفظة "فاطمة" ، إبريق ، وغزة ، نفيسة فى قوله:

- إبريق للماء ..... وسجّان[3]
- فاطمة تهدى إلى والدها سلاما
- وخالد يسأل عن أعمامه فى غزةٍ
- وأين يقطنون
- نفيسةٌ قد وضعت مولودها [4]

---

(1) جـ ٦/ ٢٧٧ حوار مع إمرأة غير ملتزمة.

(٢) جـ٦/ ٢٩ دولة قمعستان.

(٣) جـ١/ ٤٣ زيتية العين و جـ ٣ / ١٠٤ ، ٨٧

(٤) جـ٣ / ١١٦ وانظر جـ٢ / ٣٠٨ ، ٥٢ جـ ٣ / ١٥٦ ، جـ ٣ /١٢٤ ، جـ ٣/١٤٤ ، جـ٤ /١٠ ، ٣٨ ، ٧٦ ، ٩٦ ، ١٤٩ ، ١٩٠ ، ٣٣٦ ، جـ٥/٥٦ ، ١٣١ ، ١٦٢ ، ٤١٩ ، ٤٤٣ ، جـ٥ /٤٧٠ ، ٥٠٣ ، ٥١٢ ، ٥١٥ ، ٥٢٥ ، ٥٣١ ، جـ٦ / ١٥ / ٣٠٧ ، ٣٢٣ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٨ ، ٣٩٣ ، ٤٤١ ، ٥٥٨، ٥٩٦ ، ٦٢١ ، جـ٧ / ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٣٠١ ، ٣٨٠ ، ٣٠٠ ، جـ٨/٩٦ – ١٠٠، وراجع فى ذلك النزاع بين الشعراء والنحاة فى القديم والحديث – مجلة كلية دار العلوم / الفيوم ٢٠٠٠ م هى ٧٢-١٠٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- **أ : الإضافة : -**

- إذا كانت الإضافة " محضة " و المضاف إليه جملة ، فإن هذه الجملة فى حكم المفرد المضاف إليه ، لأنها تؤول بمصدر لفعلها ، مضاف إلى فاعله إن كانت الجملة فعلية ، و بمصدر خبرها مع إضافته إلى مبتدئة إن كانت اسمية ، و لا يحتاج هذا المصدر المؤول إلى أداة سبك ، فالأولى : مثل : أزورك حين يوافق الوالد ، و تأويلها : أزورك حين موافقة الوالد ،
- و الثانية : أزورك حين الوالد موافق " و تأويلها : أزورك حين موافقة الوالد.
- و يترتب على ما سبق أن المصدر الناشئ من التأويل يكون معرفة إن أضيف لمعرفة ، و نكرة متخصصة إن أضيف لنكرة ، نعم إن الجمل نكرات فى حكمها، و لكن لا ينظر لهذا وقوع الجملة صفة للنكرة المحضة فى كل الأحوال لا يقدم فى هذا ، لأنها تكون صفة باعتبار ظاهرها ، و قطع النظر عن تأويلها بمصدر مضاف لمعرفة أو نكرة .
- و قد وردت نماذج لإضافة حين إلى جملة اسمية يمكن تأويلها بمصدر من غير سابك ، يتيح ذلك ويعين عليه، كأن السبك هنا تم بلا سبك و ذلك فى قول نزار:-
- هل من شروط الحب يا حبيبتى .
- بأن أسمَّى قاتلاً حين أنا المقتول .
- و صدقينى دائماً . . .
- حين أجئ حاملاً إليك يا حبيبتى .
- الأزهار . . . الأقمار . . . و الفصول . [1]

و يقول فى نصٍ آخر : -

- لماذا أظل هنا ، حين كل الوسائد ضدّى .
- و كل المقاعد ضدى
- و كل المرايا . [2]

و فى نص آخرٍ يقول :

- إننى أزداد حُزناً -
- حين عيناك تزيدان اتساعاً ، و سواداً . [3]

---

(١) حـ ٤ / ١٣١
(٢) حـ ٤ / ٤١٨ ، ٤١٩
(٣) حـ ٦ / ١٥٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب: الإضافة : -

أسماء مضافة للجملة سماعاً : -

- لفظة، ألف : -

تحدثت كتب النحو عن ألفاظ تستعمل مضافة و غير مضافة و أسماء لا تستعمل مضافة البتة مثل أسماء الإشارة و أسماء يجوز إضافتها إلى المفرد ، و أسماء تضاف للجملة و أسماء يجب إضافتها للجملة . . . الخ

لكن كتب النحو لم تنص قطّ على مجئ لفظ " ألف " مضافاً لجملة بعده ، لكنها نصت على مجئ تمييز هذه اللفظة مضافا مجروراً مفرداً تقول : قرأت ألف كتاب نافع، و اشتريت ألف متر أرض "

فلفظة " كتاب " و لقطة " متر " تعتبر مضافة إليه و هى كما نلاحظ مفردات و ليست جملاً ..

لكن نزار قبانى أراد للغتة الثالثة أن تتحرك خطوة لافتة للنظر ، فجعل لفظة ألف " من الألفاظ التى تضاف إلى الجمل الفعلية ، ذات الفعل المضارع المبنى للمجهول ، و ذلك حيث يقول :

- طوبى لكم
- على يَديكم أصبحت حدودنا
- من ورق
- فألف تشكرون
- على يديكم أصبحت بلادنا
- امرأة مباحة . . .
- فألف تشكرون (١)

فقد أضاف لفظة ألف ، إلى جملة " تشكرون" و هى جملة فعلية فعلها مضارع مبنى للمجهول و نائب فاعله هو واو الجماعة .

و هذا أمر لم تعهده قواعد اللغة فى باب الإضافة ، إذ إن هذه الألفاظ ألف ، ومائة

---

(١)حـ ٣ / ١١١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مما يضاف إلى المفردات فهل يجوز جعل جملة و تشكرون " فى حكم المفرد أى؛ فألف شكر " لكنه عدل عن التصريح بالمفرد و لغرض بلاغى أراده؟!
أم أن هذه اللفظة مضافة إلى مفرد محذوف:أى فألف مرة تشكرون ؟

و كلا التخريجين مقبول لدينا ، و غير مرفوض على أساس أن الأول جديد فريد يعـد ملمحاً من ملامح لغة نزار قبانى الثالثة ، و أن الثانى تخريج موروث يعتمد على الحذف و التقدير ، الذى نلجأ إليهما عند الحاجة و هى أمور قد لجأ إلى شئ منها لحاجته إليها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ج : الإضافة : -

- من الألفاظ الملازمة للإضافة : -

- أى : -

إذا أضيفت " أى " النعتية إلى نكرة دلّت على الشمول و العموم فى المعنى المجرد الذى نقلته مما أضيف إليها ، ففى مثل : إننى مسرور بك فقد رأيتك رجلاً أىَّ رجل " فكأن معنى الكلام : إننى مسرور بك فقد رأيتك رجلاً تحمل كل الصفات التى يصح أن توصف بها ، وكلها صفات إيجابية و خيّرة و .... و... و... .

فإذا قلنا : عن امرأة بغيضة إنها امرأة أىُّ امرأة .

فإنما يعنى أنها جمعت كل الصفات الرديئة التى تذم بها المرأة .

- و الأغلب فى هذه النكرة التى هى الموصوف – أن تكون مذكورة فى الكلام ، و من الشاذ الذى لا يقاس عليه فى رأى كثير من النحاة – ورود السماع بها محذوفة ، ومن هذا الشاذ قول الشاعر :-

إذا حارب الحجاج أىَّ منافق * علا بسيف كلما هُزَّ يقطع

قال السيوطى تعليقاً على هذا البيت : إن هذا فى غاية الندور . فلا يصح – عند النحاة – محاكاته –لأن أى هنا – و فى مثل هذا المثال – فارقت جميع الصفات و سائرها ، لأنه لا يجوز حذف موصوفها و إقامتها مقامه ، لا تقول : مررت بأى رجل ، لأن المقصود بالوصفُ بأى " هنا هو المبالغة ، و تقوية المدح أو الذم ، و الحذف يناقض هذا " (١)

إذن فمن المحتم عند كثير من النحاة إضافة " أى " لفظاً و معنى و أن يكون الموصوف بها مذكوراً ، لكنا رأيناه محذوفاً كذلك فى كلام لعلى بن أبى طالب نصُّه :

أصحب الناسَ بأى خلق شئت يصحبوك بمثله (٢) " أ . هـ أى ؛ بخلق أى خلق " و هى لا تصلح هنا أن تكون موصولة ، لأن الموصولة ، لا تضاف عند الجمهور إلى نكرة ، كما لا تصلح نوعا أخر . فورود موصوفها محذوفاً فى الشعر ، و

---

(١)الهمع حـ ١ / ٩٣ باب الموصول ، عند الكلام على النكرة الموصوفة
(٢) النحو الوافى فى حـ ٣ / ١١٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فى نثر الإمام على أفصح البلغاء ، يبيح استعمالها مع محذوفه و لو كان هذا الاستعمال – بالحذف – قليلاً ثم أن كثيراً من الضوابط النحوية لا تمنع حذف الموصوف ، و بهذا تعتبر " أى " فى مثل هذه الأساليب صفة لموصوف محذوف [1]

و قد ورد ذلك فى القرآن الكريم فى قوله سبحانه :

" يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم الذى خلقك فسوّاك فعدلك ، فى أىّ صورة ما شاء ركبّك " سورة الانفطار ٦ ، ٧

فقد قال المفسرون فى إعرابها أقوالاً مختلفة ، و منها ما جاء فى الألوسى تعليقاً على تلك الآية : –

فى أى صورة ما شاء ركبّك .. أى ركّبك ووضعك فى أى صورة اقتضتها مشيئة الله تعالى ، و حكمته جلّ و علا من الصور المختلفة : فى الطول، و القصر ، و مراتب الحسن و نحوها ، فالجار و المجرور متعلق : " ركبّك " و " أى " للصفة ، مثلها فى قوله :

أرأيت أىّ سوالف و خدود * برزت لنا [2]

و لما أريد التعميم لم يذكروا موصوفها ، و جملة " ما شاء " صفة لها ، و العائد محذوف ... و " ما " مزيدة أو شرطية [3]

و قيل أن " أى " موصولة ، وصلتها جملة "ما شاء ربك " و قد صرح كثير من النحاة بأن الموصولة لا تضاف ،

ولكثرة ورود مثل هذا الاستعمال قديماً و هو أكثر من أن يحصى حديثا حتى يظن أنه من الدارج لكثرة استعماله ، اهتم مجمع اللغة العربية بهذه القضية فى دورته الخامسة و الثلاثين بالقاهرة فى شهر فبراير ١٩٦٩ م . ، و فيما يلى النص الحرفى لرأى مجمع اللغة العربية منقولاً عن مجلته – العدد الخامس و العشرين ص ١٩٦ :

---

(١)السابق

(٢) التبيان فى إعراب القرآن حـ ٢ / ٢٨٢ ، تفسير البيضاوى حـ ٥ / ٤٦١ و قيل أن " ما " صفة لـ أى . تفسير أبى السعود حـ ٩ / ١٢١ ، الدر المنثور حـ ٨ / ٣٤٩ – فتح القدير حـ ٥ / ٣٩٥ – و المغنى حـ ٤ /٣٢٢ و روح المعانى حـ ٣٠ / ٦٤ ، ٦٥ .

(٣)السابق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(شاع بين الكتاب مثل قولهم : اشتر أيَّ كتاب - باستعمال " أى " مضافة إلى اسم نكرة و مثل قولهم : اشتر أى الكتب - بإضافتها إلى معرفة ،' و مثل قولهم : لا تبالِ أى تهديد بإضافتها إلى مصدر . و المقصود فى كل هذه الاستعمالات هو الإبهام و التعميم.

و الإطلاق ، و لا بأس بتجويز د لا لاتها - و منها الوصفية -و معنى الإبهام و أن حذف موصوفها مما قيل بجوازه ، و يجوز أن تضاف إلى معرفة و حينئذ يكون موصـــوفها معرفة ، ذُكِر أو حذف ، و أنها تدل على التبغيض فى إستعمالها نائبة عن المصدر ، و يمكن أن يقاس عليه أحوالها الأخرى " أ . هـ

و لأن نـــزار قـــبانى - رحمـــه الله - كان مشغولاً بجعل شعره يصاغ بلغة يفهمها المثقفون و العامة على حدٍ سواء فقد انحاز إلى الفريق الذى يبيح استخدام " أى " النعتية صفة الموصول محذوف بل أنه زاد معها " ما " التى فى مثل - إنما - لكنها لا تكف " أى " عن شئ و قد جاء ذلك فى قوله :

- هذا بلاغٌ من بلاط صاحب الجلالة .
- الأخضر اليدين ، و المكتمل الصفات ، و المبجل الألقاب .
- تحسساً من ملك الملوك .
- بحاجة الشعب إلى العدالة .
- و الخبز و الثياب .
- فقد رسمنا ما يلى .
- يطلب من وزارة التجارة .
- أن تمنع استيراد أيّما كتاب .
- و تقنع التجار أن يستوردوا النخالة . (١)

* **كناية العدد : - كم خبرية : -**

تحدث النحاة عن الكنايات العددية و غيرها و ذكروا منها كم الخبرية و هى التى تفيد فى جملتها الإشعار بكثرة معنى الجملة التى دخلت عليها لأن لها الصدارة و معناها هو " كثير من " فنقول : كم مرات تزاورنا .. و نص كثير من النحاة على أن كم الخبرية

---

(١) حـــ ٦ / ٢٠٥ " خبر ثقافى "

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تجر تمييزها مفرداً أو مجموعاً و هذا أشهر فرق بينها و بين كم الاستفهامية التى تنصب تمييزها المفرد و عند جمهور النحاة . كم مرة تزاورنا ؟؟

لكـــن الاســـم الذى بعد كم يجئ مرفوعاً ، و قد يجئ فعلاً و ... و ... . فما إعرابه

و ما إعراب كم على أى حال ؟

قرر النحاة رحمهم الله أن " كم " خبرية أو استفهامية تعرب حسب موقعها فى الجملة و حسب حاجة الجملة إليها فهى مرة مبتدأ و مرة أخرى خبراً ، و مرة مفعول به ، و مـــرة مفعـــول مطلق أو ظرف مع ملاحظة أن لها الصدارة لذلك لا تعرب فاعلاً لأن رتبة الفاعل هى التأخير عن فعله .

أمـــا الاســـم الذى بعد " كم " فهو إما منصوب على التمييز أو مرفوع [1] على أنه مبتدأ ، أو مجرور على أنه مضاف إلى " كم " أو مجرور بجار محذوف .

و قد ورد ذلك فى قول الفرزدق :

كمْ عمةٍ لك يا جرير و خالةً * فدعاءُ قد حلَبَتْ علىَّ عشَارى

كم : استفهامية أو خبرية مفعول مطلق فى محل نصب أو ظرف و عمةً : مبتدأ مرفوعة و خبرها هو شبة الجملة لك .... [2]

هذا موجز ما فى كتب النحاة حول " كم " وما بعدما ووظيفتها النحوية .

والســـؤال الـــذى يفرض نفسه هو ما علاقة هذا بشعر نزار أو باللغة الثالثة عند نزار أو برغبته فى نحو حى يتماشى مع لغة حية متغيرة حرة متطورة . ؟

والإجابة عن هذا التساؤل تكون من خلال ذكر الآتى :

- أن نـــزار كان يميل إلى استخدام كم الخبرية كثيراً فى شعره لأنها تساعده على البوح بهمومـــه - هموم الشعوب العربية فى كل مكان - لأنها كثيرة كثيرة ، وهى تعينه على الإفضاء بالكثير من التهكم مما يستحق ذلك .....

---

(١) راجع فى ذلك الفصول المقيدة حـــ ١ / ٢٥١ ، و المفصل حـــ ١ / ٢٢٤ و المغـــنى حـــ ١ / ١٨١ ، و سر صناعة الأعراب حـــ ١ / ٣٤٩ ، ٢/ ٥٠٥ و الأنصاف حـــ ١ / ٣٠٤ و الخصائص حـــ ٣ / ٣٣٠ .

(٢) أوضح المسالك حـــ ٣ / ٢٢٨ و شرح ابن عقيل حـــ ٢ / ٣١٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أن نزار قد وردت عنده جملة كم الخبرية مكونة من

أ) * كم + ضمير للرفع + تكملة — خبرية

كم + اسم نكرة مرفوع + تكملة

ب) كم + جملة فعلية فعلها مضارع . — استفهامية

كم + اسم مرفوع = مبتدأ

ومن نماذج المجموعة الأولى(أ) " قول نزار " :-

- لا تحسبين جميلةَ
- لكنّ شيئاً فيك أقنعنى .
- الله ..... كم هو رائعٌ
- أن تصبح امرأة قضية [١]

• وقوله :-

- كم أنت رائعة
- و كم أنا مقصر فى مذاكرة وجهك الجميل [٢]

• وقوله :-

- فبعد ثلاثين عاماً من الشعر والعشق .
- كم أنت فى حاجة أن تنامى . [٣]

* وقوله :-

- يا من تدوخ على أقدامك الصور . [٤]
- كم صعبة أنت ..... تصويراً وتهجيةً !!
- ومن نماذج المجموعة الثانية " ب " قوله :
- كم يكون الكون – لولاك – قبيحاً . [٥]

---

(١) حـ ٢ / ٧٩٨

(٢) حـ ٢ / ٨٥٢

(٣) حـ ٥ / ٥٤٥

(٤) حـ ٤ / ١٠٧

(٥) حـ ٥ / ٢٥٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وقوله :-

- سألنى ضابط الحدود ..
- كم عمرك ؟
- قلت : خمس و ستون قصيدة .
- قال : الله .... كم أنت طاعن فى السن (١)

- وقوله :-

- هل تتذكرين ؟
- كم كنت مجنونة فى السادسة عَشْرة (٢)

- وقوله :-

- الله .... كم تضحكنى الوصية (٣)

* و مجئ " كم" الخبرية مصحوبة بضمير للرفع هو الشئ الجديد فى شعر نزار ، و هو مـلمح من ملامح لغته الثالثة لأن معظم كتب النحو تتحدث عن مجئ الاسم اللاحق لـ "كـم " على أنه نكرة حتى يتمكنوا من إعرابه تمييزاً ، أو إعرابه مبتدأ مع إيجاد المسوغ المناسب لجعله مبتدأ .

أمـا نزار فقد جاء بالاسم الذى بعد " كم " خبرية أو استفهامية جاء به معرفة من أشـهر المعارف و هو الضمير ، و جاء به للرفع ليساير المعنى المقصود وهو فى هذا يجعل الكثرة المطلوبة أو المعنية مأخوذة من معنى الجملة كلها استفـهم أو أخبر .

فقولـه : كم أنت طاعن فى السن " نلحظ أن الاستفهام على اعتبار كم استفهامية - منسحب على الجملة كلها و هى كذلك عند احتساب " كم " خبرية .

و لا توجد صعوبة فى توجيه إعراب كم خبرية أم استفهامية بناء على ما تقدم من إعرابها فى كلام النحاة .

وعـند مـراجعة كثير من كتب إعراب القرآن وبيان معانيه سنلحظ كثيرا من استعمالات القرآن الكريم للفظة "كم" الخبرية حيث استفاد منها نزار . (٤)

---

(١) حـ ٥ / ٢٨٥
(٢) حـ ٥ / ٩٢٤
(٣) حـ ٢ / ٢٧٦
(٤) يراجع في ذلك كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم موضع كم الخبرية والاستفهامية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- النواسخ : -

- لا النافية للجنس : -

- نصب اسم " لا " بالفتحة نكرة و غير نكرة : -

لا النافية للجنس حرف ناسخ من أخوات إنَّ ، ينصب الاسم و يرفع الخبر ، و لكن النحاة - رحمهم الله - اشترطوا لكى تعمل هذا العمل ستة شروط :

١- أن تكون نافية للجنس ، فإن لم تكون نافية لم تعمل عمل " إن " .

٢- أن يكون اسمها نكرة فإن كان معرفة لا تعمل - برغم ورود ذلك عن العرب.

٣- عدم توسطها بين عامل يحتاجه ما بعدها معمولاً له .

مثل : أنتَ بلا شكَّ محمدُ .

٤- أن يكـــون اسمها و خبرها نكرتين فإن كانا غير نكرتين أو كان أحدهما معرفة فهى ليست من أخوات "إن" و لا من أخوات ليس الحجازيات .

مثل قول الشاعر :

لا القوم قومى ، ولا الإخوان إخوانى .....

٥- عدم تكرارها فالمكررة الثانية ليست نافية للجنس .

٦- عـــدم وجـــود فاصـــل بينها و بين اسمها [١] ، و قد تحققت هذه الشروط فى مثل:-

. لا رجل فى الدار - لا رجلين فى الدار - لا مهملين فائزون

لا راجى شر محبوب .

فهل قبل نزار قبانى كل هذه الشروط ؟

الحقيقة أنّ اللغة الثالثة التى يريدها نزار أن تنتشر فى يسر و سهولة على ألسنة أفراد الأمة العربية ، لا يمكن أن تكون كل هذه الشروط جزءاً من قواعدها ، بل جزءاً من آلاف الأجزاء ذات الشروط الكثيرة من قواعدها

إن قواعد اللغة الثالثة ينبغى أن تكون قواعد سهلة يسيرة بسيطة مختصرة بعيدة عن الاشتراطات الكثيرة المعقدة و غير المعقدة ، بعيدة عن كل ما لا علاقة له بالمعنى و لا أثر له فى التركيب .

---

(١)الكتاب لسيبويه ، المقتضب للمبرد ، معانى القرآن للفراء ، سر صناعة الإعراب معنى اللبيب ، شرح بن عقيل ، النحو الوافى حـ ١ / ٦٨٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و على هذا الأساس فنحن فى حاجة إلى إجابة شافية عن سؤال مهم هو :
ما أثر بناء اسم لا أو إعرابه على المعنى ؟
- فماذا سيحدث لو قلنا:" لا رجلاً فى الدار" بدلا من " لا رجلِ فى الدار " ؟

إن النحاة قد نصوا على أن " لا " النافية للجنس تنفى خبرها عن جنس أسمها ، و عن أفراده سواء كان اسمها نكرة مبنياً ، أم كان منصوباً معرباً مضافاً [1] و هى تشترك مع " لا " الحجازية العاملة عمل ليس برفع اسمها و نصب خبرها فى الدلالة ، حيث إن كلا منهما يمكن أن تكون لنفى الوحدة عن اسمها ، و تزيد النافية للجنس فى صلاحيتها لنفى خبرها عن جميع أفراد جنس اسمها [2] و مع اتفاق هاتين الأداتين فى هذه الدلالة التى هى أساس كل كلام ، إلا أن القدر فرّق بين هاتين الأداتين ، و جعل لكل منهما قاعدة ذات شروط كثيرة لا أثر لشرط واحد منها فى دلالة الكلام أو معناه المتبادل بين المتكلمين.

أما الأثر الحقيقى لكل هذه الاشتراطات فهو العلامة الإعرابية التى فهم سرّها كثير من المتقدمين ، و كثير من الباحثين المحدثين ، و نادوا بعدم جعلها أساساً فى صياغة القواعد العربية [3] ، و بخاصة إذا كان وجود هذه العلامة أو غيرها من العلامات لا أثر لها فى معنى الجملة أو دلالاتها .

و يبدو أن نزار قبانى لم يكن ممن ينادون بإهمال العلامة الإعرابية تماماً ، لكنه - كما هو واضح من شعره - كان ممن ينادون بإهمال كل قاعدة و كل شروط جئ بها فقط من أجل تثبيت علامة إعرابية أو بنائية معينة ، لا أثر لها على معنى الجملة، لأن معنى الجملة واضح بلا لبس أو غموض بوجود هذه العلامة ، و بغير وجودها ، و بهذه العلامة و بغيرها من العلامات ، حروفا أو حركات ، أصلية أو فرعية للبناء أو للإعراب . . . الخ .

---

(١)النحو الوافى حـ ١ / ٦٨٥
(٢) النحو الوافى حـ ١ / ٦٨٥
(٣) من أسرار العربية إبراهيم أنيس ص

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن نزار قبانى لا يرى بأساً من نصب اسم " لا " و تنوينه بالفتحة مطلقا سواء كان نكرة أم مضافاً ، هذا إذا كان لا بد من تقسيم " لا " إلى نوعين بناءً على العلامة الإعرابية حيث أصبحت واحدة من أخوات "كان" و أخرى من أخوات " إنّ " و إن كنت أرى أن كلاً منهما تودى وظيفة واحدة فى الجملة الاسمية هى نفى خبرها عن اسمها بغض النظر عن الفروق الدقيقة التى يمكن فهمها من سياق الكلام .

و بناء على هذا فالأداة " لا " النافية هى أداة واحدة يصح رفع اسمها أو نصبه منوناً و غير منون و قد ورد ذلك فى كلام العرب القدماء و هم ينفون للجنس و كذلك و هم ينفون للوحدة .

وورد عدم التفريق بين اسم" لا " المبنى و اسمها المعرب و جعلهما جميعاً معربين سواء كانا نكرة مفردة غير مضافة أم كان مضافاً .

و من ذلك قول نزار :

- و أخيراً شرفونى

. . . . . .

- إنهم يدرون أن الشعر عندى هو فنُّ الكبرياء
- و هم يدرون أنْ لا أحداً نفض الغبرة عن كعب حذائى
- و هم يدرون أنى . . . .
- لم أقدّم لسوى الله ولائى . (١)

إن الحديث عن " لا " النافية فى كتب النحو يأتى فى باب النواسخ الناصبة للمبتدأ و الرافعة للخبر و يحمل عليها " لا " النافية للجنس ، لأن اسمها لا يكون منصوبا دائماً بل يكون مبنياً أحياناً إذا كان نكرة لا مضافاً

مثل : لا رجل فى الدار - لا رجلين فى الدار - لا نائمين فى الدار

فاسم " لا " هنا مبنى على الفتح أو على الياء .

و تجئ لا النافية فى باب كان وأخواتها محمولة على ليس فى رفع المبتدأ أو نصب الخبر

---

(١) حـ ٦ / ٢٩٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و تسمى " لا " النافية للوحدة

(لا محمدٌ موجودٌ – و لا رجلُ موجوداً)

و قد أثير جدل كبير فى كتب معانى القرآن و تفسيره و فى كتب الاحتجاج للقراءات القرآنية

و توجيهها حول أى منهما – لا النافية للجنس أم لا النافية للوحدة التى لها أثر قوى فى نقل المعنى المراد مؤكداً تأكيدا قوياً ، لا يحتمل أدنى لبس أو شك عند سماعه ، أو إلقائه.

و قد ورد هذا الجدل و هذا النقاش عند ورود قراءات قرآنية مرة ببناء اسم "لا" على الفتح و مرة برفعه منوناً مثل لا خوفُ عليهم و لا هم يحزنون [1] و كان ينبغى التسوية بين القراءتين على أساس أنهما متواترتان ، و إذا أُريد البحث عن سبب لتفضيل واحدة منهما على الأخرى فيجب أن يكو ن ذلك على أساس مدى صحة و تواتر كل منهما أو عدم تواتره .

لكن الذى حدث أن فريقاً من المفسرين و النحاة اختار قراءة بناء اسم لا على الفتح ، و الفريق الآخر اختار رفع أسم " لا " على أساس أنها الحجازية العاملة عمل ليس أو التميمية المهملة . [2]

أما حجة الذين اختاروا جعل " لا " نافية للجنس فتتلخص فى أن " لا " النافية للجنس أقوى فى نفى الخبر عن كل اسم " لا " و عن كل ما له صلة به من جنسه كله .

بخلاف جعل " لا " نافية للوحدة فهى لا تنفى الخبر عن جنس اسم " لا " ، بل إنها تنفى الوحدة العددية فقط فعندما نقول : لا خوفَ عليهم – أى أن مطلق الخوف قليله و كثيره و مسبباته و كل ما له صلة به منفى عن اسم " لا " ، بخلاف ذلك لو قلنا: لا خوفٌ عليهم برفع

و تنوين اسم " لا " ، فتتحول " لا " من نفى الجنس إلى نفى الوحدة العددية و يكون المعنى لا خوف واحد بل خوفان أو خوف قليل ، أو على غير ذلك .

---

(١) البقرة ٣٨ - ٢٥٤

(٢) راجع فى ذلك المحتسب لابن جنى حـ ١ / ٣٠٨ و البحر المحيط حـ ٥ / ١٢٧ و إعراب الحمل ص ٣٠٨ ، و الكتاب لسيبويه حـ ١ / ٥٧ - الأنصاف حـ ١ / ٢٣٨ - معانى القرآن للأخفش ٢ / ٣٧٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و بناء على هذا فقد وجدنا بعضاً من القراء يختار النفى بـــ " لا " النافية للجنس ، و يسانده فريق من المفسرين و المعربين لقراءات القرآن و المحتجين لها ، و فريقاً آخر يؤيـــد قـــراءة النفى بـــ " لا " الحجازية أو التميمية التى يرفع بعدها الاسم " خوف " و حجتهم أنها قراءة متواترة ، مثل النفى بـــ " لا " التى لنفى الجنس . (١)

فإذا عدنا إلى شعر نزار قبانى وجدنا الأمر لا يساعد كثيراً على مثل هذا الخلاف الذى نشأ عن تفضيل النفى بأى من " اللاءين " .

فـــنزار قبانى قد استعمل النفى بهما جميعاً فمرة ينفى بـــ " لا " الحجازية و مرة يـــنفى بـــــ " لا " التى لنفى الجنس ، غير أنه كان مدركاً - كعهدنا فيه - للفروق التى لمســـها المتخصصون بين " لا " التى لنفى الجنس و لا التى لنفى الوحدة ، فكان يختار نفـــى الجـــنس حيـــن يُلِحُّ عليه معناها و يفرض السياق المجئ بها فإذا ألحّ المعنى على ضـــرورة استخدام " لا " التى لنفى الوحدة فنراه لا يتردد فى استخدامها و كأنه يقول إن كـــلا منهما لها أهمية كبرى فى الجملة العربية ، و لا يجوز تفضيل إحدى اللاءين على الأخـــرى تفضـــيلاً مطلقـــاً ، بل ينبغى أن يتم التفضيل على أساس واحد هو إذا اقتضى الأسلوب " لا " النافية للجنس ثم جئ بـــ " لا " النافية للوحدة أو حدث العكس ، فساعتها يجـــب الاعتراض ، و يتم رفض مثل هذا المسلك الذى لا يعطى السياق الحق فى اختيار العناصر التى تحذفه دلالياً و نحوياً و بلاغياً و .. و .. الخ .

استمع إلى نزار قبانى و هو يقول مستعملاً " لا " بنوعيها :

- يا قطتى القزحية العينين
- لا أحدٌ
- فى شارع الأحزان ، يعرفنى
- لا مركبٌ فى البحر يحملنى
- لا عطرَ مهما كان يسكرنى
- لا ركبةٌ شقراءُ . . أو سمراء تدهشنى
- لا حبَّ

---

(١) النشر حـــ ٢ / ٢١١ ، غيث النفع ص ٥٥ ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول حـــ ٢ / ٥٣٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- يدخل مثل سكين بشريانى . [١]

* و يقول مستعملاً " لا " التى لنفى الجنس :
- برغم ما يثور فى عينىَّ من زوابع
- أقول : لا غالبَ إلا الحب [٢]

* و يقول مستعملاً " لا " التى لنفى الجنس :
- كنت الرجل الأوحد فى التاريخ . [٣]
- فلا أولادَ . . . و لا أحفادَ . . و لا ذرية
- كنت أمير العشق .

و يقول مستعملاً " لا " التى لنفى الوحدة : -
- و الشعر يسأل عن قصيدته .
- و لا أحدٌ . . . . يجيب على السؤال . [٤]

* و يقول :
- لا أحد يعرفنا فى هذه الصحراء
- لا نخلةٌ لا ناقة
- و لا وتدٌ لا حجر
- لا هند لا عفراء
- أوراقنا مريبة
- فلا الذين يشربون النفط يعرفوننا .
- و لا الذين يشربون الدمع و الشقاء . [٥]

* و يقول :
- لا أحدٌ ينجو من وصفات الحكم [٦]
- و أدوية السلطة .

---

(١) حـ ٤ / ٤٣
(٢) حـ ٥ / ١٣١
(٣) حـ ٦ / ١٥٠
(٤) حـ ٤ / ٥٤
(٥) حـ ٦ / ١٠٤
(٦) حـ ٦ / ١٢٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

* و يقول :

- و طنٌ مشنوق فوق جبال الانتينات
- وطنٌ لا يعرف من تقنية الحرب سوى الكلمات
- وطنٌ ما زال يذيع نشيد النصر على الأموات
- العدل أساس الملك
- لا أحدٌ يرقص بالكلمات سوى الدولة
- لا أحدٌ يزنى بالكلمات
- سوى الدولة
- القمح أساس الملك . (١)

* و يقول :

- أيا طويل العمر
- يا من تشترى النساء بالأرطال
- لسنا نريد منك أى شئ
- لا أحدٌ . . .
- يريد منك ملكك السعيد .
- لا أحدٌ يريد أن يسرق منك جبة الخلافة .
- فاشرب نبيذ النفط عن آخره
- و أترك لنا الثقافة (٢)

---

(١) حـ ٦ / ١٣٢

(٢) حـ ٦ / ٤٠٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الجملة الشرطية

- وقوع الاسم بعد أدوات الشرط : -

قلنا فيما مضى أنّ نزاراً كان يميل إلى استخدام الجمل الشرطية التى يذكر فيها الاسم بعد أداة الشرط ، برغم اختصاص أدوات الشرط بالأفعال و من ذلك قوله .

- مهما تعددت النساء حبيبتى .
- فالأصل أنت . . .
- مهما اللغات تعددت
- و المفردات تعددتْ
- فأهم ما فى مفردات الشعر
- أنـــتِ . . . (١)

و من ذلك قوله : إنْ

- إنّ السماء صديقتى
- إن أنا يوما عشقت
- و زرعتها فى كل عاصمة
- كغابة كستنا (٢)

و قوله :

- إنْ هم فجّروك . . فعندنا
- كل الجنائز تبتدى فى كربلاء . . .
- و تنتهى فى كربلاء . . . (٣)

و قوله :

- فاعذرينى . .
- إنْ أنا قصّرت فى التعبير عما يعترينى (٤)

*** اقتران جواب إذا الشرطية بـــ الفاء إذا الفجائية**

أجـــاز الـــنحاة اقتران جواب " إذا " الشرطية بالفاء أو إذا ، برغم أن دلالة إذا على الشـــرط غريب عندهم لأن إذا ظرف زمان مستقبل والزمان المستقبل لا بد أن يجىء

---

(١)حـــ ٥ / ٤٣

(٢) الأعمال الشعرية حـــ ٣ / ١٠

(٣) السابق حـــ ٤ / ٥٢

(٤) السابق حـــ ٢ / ٨٣٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويـتحقق مـا يقع فيه من أحداث ، وكل هذا مقطوع به ، مع أن الشرط المقتضى للجـزم لا يكون فى أمور محققة الوقوع ، و إنما يكون فى أمور محتملة الوقوع أو غـير محتملة ، و من أجل ذلك رفض النحاة الجزم بها مطلقا فى نثر أو فى شعر ، برغم ورودها جازمة فى نصوص قديمة، لكنها نادرة . (١)

و هـى عندما تكون ظرفية ، تكون منصوبة بجوابها مضافة إلى شرطها ، و يجوز اقتران جوابها بالفاء و"إذا"الفجائية ، لا يمنع عمله فيها لتوسعهم فى الظرف . . . و اتفق الجميع أن إذا الشرطية لا تضاف إلى شرطها إذا عملت فيه . (٢)

و مـن يطـالع قصيدة " من يوميات رجل مجنون " يلحظ سير نزار فى هذا القصـيدة علـى كثـير مما قرر النحاة القدامى حول " إذا " الشرطية و بخاصة عند اقـتران جواب الشرط بالفاء ، لكنه يسير أيضاً على ما قرره النحاة عند حديثهم عن مواضع اقتران جواب الشرط بالفاء ،

و ذلك فى مواضع مجئ جملة جواب الشرط طلبية أو مبدوءة . بجامد أو . . أو وقد ورد ذلك فى هذه القصيدة التى منها قوله :

- إذا ما صرختُ
- أحبُّك جداً
- أحيك جداً
- فلا تسكتينى
- إذا ما أضعت اتزانى
- و طوّقت خصرك فوق الرصيف
- فلا تنهرينى . . . (٣)

اقتران جواب الشرط الجازم بـ اللام : -

أشـرنا إلـى أن جملـة جواب الشرط يمكن فى بعض المواضع اقترانها بالفاء أو إذا الفجائية .

و قد أشار النحاة إلىّ أن جواب " لو " يجوز فى بعض المواضع اقترانه باللام .

لكن هل يجوز اقتران جواب أدوات الشرط الجازمة باللام أو المتفق على عملها الجزم فى دلالتها على الشرط مثل " إنْ " الشرطية ، أو مَنْ . ؟

---

(١) مغنى اللبيب : إذا

(٢) النحو الوافى حـ ٤ / ٤٤٠ ، ٤٤١

(٣) حـ ٤ / ١٣٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد نص النحاة على أنه ورد فى المسموع القليل اقتران جواب " إنْ " الشرطية باللام ، على اعتبار " إنْ " الشرطية بمنزلة " لو " و منه قول الشاعر :

فإن يجزع عليه بنو أبيه * لقد حدعوا وفاتهموا قليل

و قول أبى بكر رضى الله عنه : يا معشر الأنصار إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم فى ظلالنا، و شاطرناكم فى أموالنا ، و نصرناكم بأنفسنا - لقلتم" [1]

و من خلال كلام النحاة نفهم أن اللام تدخل أصلاً فى جواب " لو " و إذا دخلت فى جواب " إنْ " الشرطية فهذا على اعتبار مشابهة " إنْ " الشرطية " للو " الشرطية غير الجازمة و حملها عليها.

أى أن النحاة لم يسلموا بدخول اللام فى جواب " إنْ" إلا على حملها على معنى " لو "

و لم يشر النحاة إلى مجئ اللام فى جواب بقية أدوات الشرط الأخرى مثل " من " مثلاً لأن الأصل عندهم أن تدخل اللام فى جواب " لو " و تحمل إن على " لو " و كلاهما حرف

أما "من" الشرطية الجازمة فلم يشر النحاة إلى صحة اقتران جوابها باللام ، لعدم إمكان صحة حملها على " لو " لكون " من " اسماً و " لو " حرفاً ، و لكون " لو " ليست جازمة و " مَنْ " جازمة .

فماذا يحدث لو وقع فى أيدينا نص من نصوص اللغة اقترن فيه جواب " مَنْ " باللام؟

هل نحكم عليه بالفساد ؟ أم نبحث له عن مخرج فى ضوء ما تقدم ؟

الحقيقة أن دخول اللام فى جواب " من " يمكن تفسيره عندى على أحد أمرين :-

١ - أن " من " يمكن أن تكون جوابية غير جازمة أى أنها ليست شرطية ، بل موصولة محتاجة إلى جملة صلة و جملة تكميلية خبرية جوابية .

٢ - و يصح دخول اللام فى جواب " من " و اعتبارها شرطية جزائية ، و سوّغ دخول اللام فى جوابها كون شرطها و جوابها ماضيين .

و فى ضوء هذا يمكننا قراءة قصيدة " مَن " علّمنى حباً كنت له عبداً "

و عند قراءتها سوف نلحظ جواب " من " مقترناً باللام ، ولن نحكم على مثل هذا التركيب بالفساد لأننا قدّمنا ما يسوّغه فيما مضى .

يقول نزار - رحمه الله - :

---

(١) زهر الآداب للحصرى حـ ١ / ١٠ و راجع شفاء الغليل للخفاجى ص ١٧٦ ، و النحو الوافى حـ ٤ / ٤٥٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١)

- مَنْ علّمنى
- كيف أقشرُ كالتفاحة قلبى
- حتى تأكل منه نساءُ الأرض جميعاً
- كنت له عبداً ... [١]

- **الضمير بعد لولا :-**

ذكـر بعض الباحثين المعاصرين أن النحاة وقعوا فى خطأ عندما خصوا لولا بأن مـا بعدها يكون مرفوعاً أو فى محل رفع ، وذلك لورود أمثلة ونماذج قديمة جاء بعـد "لـولا" فـيها ضمائر خاصة بالنصب أو بالجر مثل : ياء المتكلم ، وكاف الخطاب ، وهاء الغيبة ولا تكون هذه الضمائر للرفع البتة. [٢]

ولا يكون الخروج من هذا الخطأ – أو التناقض – إلا بأحد أمرين :-

– صـحة خفـض "لولا" لما بعدها ، وبذلك لا يكون ما بعدها مرفوعاً دائماً ، بل يجـوز رفعـه علـى الابتداء أو خفضه على الإضافة أو على أساس أنها حرف جر. [٣]

– اعتـبار هذه الضمائر الماضية ليست خاصة بالنصب أو بالجر فقط بل صحة ورودها للرفع ، أى وقوعها موقع المرفوع.

جاء فى النحو الوافى :

"هذه الضمائر – السابقة الذكر – لا تكون فى محل رفع ، ولكنه قد تقع أحياناً بعد لـولا الـتى للامتناع ، والتى لا يقع بعدها إلا المبتدأ ، فيقال : "لولاى" لتعبت ، ولـولاك لـم أحـتمل شقة الحضور ، ولولاها لضاعت فرصة المعاونة الكريمة وسـيبويه يعرب "لولا" حرف جر شبيه بالزائد ، وما بعده مجروراً لفظاً فى محل رفع مبتدأ ، وخبره محذوف.

ورجـع أ. عباس حسن اعتبار هذا النوع فى محل رفع مبتدأ فى حالة وقوعه بعد "لولا" فقط، ولا يجوز اعتباره ضمير رفع إلا فى هذه الحالة فقط [٤]

---

(١) الأعمال الشعرية جـ٦/ ٢٠٨- ٢٠٩

(٢) القاعدة النحوية د. أحمد عبد العظيم ص ١١٩

(٣) النحو الوافى جـ١/ ٢٤١

(٤) النحو الوافى جـ١/ ٢٢٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد ورد فى شعر نزار مجئ الضمير الخاص بالنصب أو بالجر بعد " لولا " وذلك فى قوله :

- كم يكون الكون لولاك قبيحاً [١]

وقوله فى قصيدة "ورقة إلى القارئ" :-

- جمالك منى ... فلولاى لم تكُ
- شيئاً ... ولولاى لم توجدا
- ولولاى ما انفتحت وردة
- ولا فتح الثدى أو عربدا [٢]

وقوله :

- لولاك وجه الأرض لم يُعْشب
- دوسى فمن خطْوك قد زغرَد
- الربيع ... يا للموسم الطيب [٣]

وقوله فى قصيدة "قرص إسبرين" :-

- يا أيها المضئ كالنجمة والساطع كالحسام.
- لولاك ما زلنا على عبادة الأصنام.
- لولاك كنا نتعاطى علناً .
- حشيشة الأحلام [٤]

- الجزم أو الرفع فى جواب الطلب :

قال الزمخشرى : وإن لم تقصد الجزاء فرفعت كان المرفوع على أحد ثلاثة أوجه صفة كقوله سبحانه : فهب لى من لدنك ولياً يرثنى " أو حالاً كقوله سبحانه : فذرهم فى طغيانهم يعمهون" أو قطعاً واستئنافاً كقولك:

لا تذهب به تغلبُ عليه ، وقم يدعوك"

ومما يحتمل الأمرين الحال والقطع مثل : ذَرْه يقول ذلك ومره يحفُرها" [٥]

إذن فرفع المضارع فى جواب الطلب وارد عن العرب ولم يخرج على صحة وروده إلا مَنْ لم يعرف جيداً كلام العرب.

---

(١) جـ٥/ ٢٥٧

(٢) جـ ١/ ١٧

(٣) جـ١/ ٢١

(٤) جـ٦/ ٦٨

(٥) المفصل جـ٩/٥٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد رفع نزار قبانى المضارع الواقع فى جواب الأمر أو الدعاء تأدباً مع الله سبحانه- وذلك على الاستئناف.

فى مثل قــوله فى قصيدة منظمة فتح:

- ياربنا
- هم قتلوا أولادنا
- فاسمح لنا يا ربّنا
- نكونَ قاتلين [١]

وقوله فى قصيدة "فاطمة" :

- اتركينى أوقف التاريخ يا فاطمة
- لحظة أو لحظتين [٢]

وقوله فى قصيدة أخرى :

- دعينى أحبُّك
- كى أتخلص من فائض الحزن فى داخلى
- وكى أتحرر من زمن القبح والظلمات
- دعينى أنام بجوف يديك قليلاً [٣]

وقــوله :

- دعينى
- أنــام على درجات البيانو
- فلم يبق من فسحة العمر
- إلا القليل
- القليل. [٤]

---

(١) جـ٣/ ١٤٦

(٢) جـ ٤/ ١٥٨

(٣) جـ٥/ ٤٩٢

(٤) جـ٥/ ٤١٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولاً - الوقف

لقد قسّم د.إبراهيم أنيس قبائل العرب إزاء الوقف مجموعتين ، مجموعة تنتظر حركة الحرف الأخير ، ومجموعة لا تنتظر ثم يقول عن المجموعة الثانية: أولئك الذين كانوا لا ينتظرون في وقفهم بل يتعجلون نهاية الكلمة ، ويسرعون في النطق بآخرها لا يعلون بتمامها ولا يحفلون بسقوط بعض أجزائها فهؤلاء تمثلهم قبيلة ربيعة، وقبيلة طيئ خير تمثيل ، فما رواه الرواة عن هذه القبائل وعن طرق الوقف عندها يجعلنا نحكم ونحن مطمئنون أنها لم تكن تحفل بأواخر الكلمات في حالة الوقف عليها مما ترتب عليه بتر بعض أجزائها فسقطت في وقفهم حركات الإعراب جميعاً ، بل وفي بعض الأحيان سقط منها بعض الأجزاء الأخرى للكلمة الموقوف عليها ولم يكن مثل هذا بطبيعة الحال متعمداً أو مقصوداً، بل صدر عنهم في صورة لا شعورية ، وأغلب الظن أن المتكلم منهم كان يظن أنه ينطق بالكلمة تامة كاملة [1]

فقد قيل لنا إن ربيعة تقف بالسكون على الاسم المنون أياً كانت حركته وقيل لنا إن قبيلة لخم يقفون على ضمير الغائبة بحذف ألفه فيقولون والكرامة ذات أكرمهم الله به " أي : بهـا!! وقيل لنا إن قبيلة طيئ تقف على جمع المؤنث السالم بحذف تائه فيقولون "دفن البناه من المكرماه " أما موقف قريش ومن حذا حذوهم من القبائل الحجازية فقد كان موقفاً وسطاً بين من ينتظرون ، ومن لا ينتظرون ، فتراهم في وقفهم على الاسم المنون يسقطون الضم والكسر ، ويبقون على الفتح [2]

قائلين :هل جاء خالدْ ، هل مررت بخالدْ ، هل رأيت خالدْ "

ثم يفسر د.أنيس – رحمه الله – هذا المسلك من الفتح قائلاً : وربما كان السر في الإبقاء على الفتح أنه أوضح في السمع من الضم والكسر ويتطلب زمناً أطول للنطق به ، وسقوط الصوت الأكثر وضوحاً من الكلام يبرز للسامع بصورة تشعره بفقدان شئ أو نقصان شئ ، ولا سيما إذا كانت الفتحة مع التنوين ، قد تحولا إلى ألف مد ، وقد ظهر الفرق بين الفتحة وبين الكسرة والضمة في كثيرة من الظواهر اللغوية ولاسيما في أحكام القافية الشعرية[3]

---

(١) من أسرار العربية – ٢٢٠-٢٣٦

(٢) السابق

(٣) السابق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثـم قال د. أنيس – رحمه الله – وطريقة قريش والقبائل الحجازية فى الوقف أفصـح الطرق ، وهى الشائعة فى فواصل القرآن الكريم ، فلا شك أن نظام الفواصل القرآنـية يتطلب الوقوف على رؤوس الآيات لتبرز موسيقاها ، وتستريح الآذان إلى سماعها كما تستريح إلى القوافى الشعرية ولا تتضح موسيقى الآيات إلا بالوقوف على رؤوسها [١]

– وهكذا كان النبى {ﷺ} يقرأ أصحابه الأولون فإذا قرأ القارئ سورة الرحمن أحس بجمال الوقـف على رؤوس الآيات ، وأحس بموسيقى الفواصل حين يقف عليها جميعاً بما يسمى السكون قائلاً.

" الرحمـنْ ، علـم القرآنْ ، خلق الإنسانْ ، علّمه البيانْ ، الشمسُ والقمر بحسبانْ ، والنجم والشجر يسجدانْ " [٢]

وكـان المـرحوم د. إبراهـيم أنيس قد ذكر فى بداية حديثه عن الوقف ، أن تحـريك أواخر الكلمات كان صفة من صفات الوصل فى الكلام شعراً أو نثراً ، فإذا وقف المتكلم أو اختتم جملته لم يحتج إلى تلك الحركات ، بل يقف على آخر كلمة من قوله بما يسمى السكون ، كما يظهر أن الأصل فى كل الكلمات أن تنتهى بهذه السكون وأن المتكلم لا يلجأ إلى تحريك الكلمات إلا الضرورة صوتية يتطلبها الوصل [٣]

ويشـبه هـذا الـرأى مـا نادى به أحد تلاميذ سيبويه وهو الإمام محمد بن المسـتنير المعروف بقطرب المتوفى سنة ٣٠٦ إذ يقول " إنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم فى حال الوقف يلزمه السكون فجعلوه فى الوصل محركاً حتى لا يبطئوا فى الإدراج ، وعاقـبوا بيـن الحركة والسكون وجعلوا لكل واحد أليق الأحوال به ، ولم يلـتزموا حركة واحدة لأنهم أرادوا الاتساع ، فلم يضيقوا على أنفسهم ، وعلى المتكلم بحظر الحركات إلا حركة واحدة" [٤]

والـذى نفهمـه من كلام د. أنيس ، وغيره إزاء عملية الوقف على أواخر الكلمات لدواعـى مخـتلفة، أن الأصل فى الوقف هو السكون ، لكن د. أنيس رأى أن ذلك فى الوقف هـو السكون، لكن د. أنيس رأى أن ذلك الوقف يكون على الكلمات المرفوعة أو المجرورة **أما الكلمات المنصوبة،فتحريكها بالفتح هو الأصل هذه الفتحة لينتج عنها ألف الأطلاق فى الوقف.**

---

(١) السابق

(٢) السابق

(٣) جـ٥/ ٤١٧

(٤) من أسرار العربية ص ١٢١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غير أن هناك أنواعاً أخرى من الوقوف على أواخر الكلم فى نهاية الجمل أو الآيات القرآنية أو الأبيات الشعرية بما يسمى الفواصل أو القوافى" (١)

وقد رُوِىَ لنا عنْ بعض العرب الوقف بهاء السكت أو الوقف بالألف التى كانوا يقلبونها همزة، أو يسكنونها أو يقلبونها ياء ، أو واواً ساكنة".

بل إن بعض القبائل كانت تعامل الاسم المنقوص معاملة الصحيح عندما يكون منصوباً ، أو مرفوعاً أو مجروراً مع أن عامة العرب تجعل السكون فقط بعد حذف الياء للاسم المنقوص المنون رفعاً أو جراً أما المنصوب فتبقى ياؤه وتضاف إليه ألف للنصب مثل نصب لفظة : قاضياً " .

ونجد تسكين المنقوص المنصوب فى قراءة ، لقوله سبحانه "كلا إذا بلغت التراقْ ، وقيل مَنْ راق ، وظن أنّه الفراق والتفّت الساقُ بالساقْ" (٢) .

مع أن معظم القراء قد قرؤا التراقىَ "بنصب المنقوص بفتحة على الياء "

بل إن بعض العرب كان منهم من يشدد آخر الاسم غير المشدد عند الوقف فيقول : خالدّ ، فيجعل النبر على المقطع الأخير وبعضهم كان يترك تشديد آخر الاسم المشدد ويقف عليه بالسكون"

وقد أيدت ذلك بعض قراءات القرآن فى بعض مواضع منها ببعض آيات من سورة القمر:

١- وإنْ يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمرْ " (٣).

٢- وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقرّ" (٤).

٣- إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى يوم نحس مستمرّ" (٥)

٤- ولقد صبّحهم بكرة عذاب مستقرْ " (٦).

٥- بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرْ " (٧)

وانسجام هذه الآيات الخمس مع الآيات الخمسين الأخرى من هذه السورة يقتضى الوقف على رؤوس الآيات فى هذه السورة دون تضعيف الراء ، ولذلك نرجح أن

---

(١) من أسرار العربية ص ١٢٥

(٢) سورة القيامة ٢٦-٢٩

(٣) القمر آية رقم ٢

(٤) آية رقم ٣

(٥) آية رقم١٩

(٦) آية رقم ٣٨

(٧) آية رقم ٤٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النبى {ﷺ} كان يقرأ هذه السورة بلا تضعيف لهذه الآيات الخمس ، مثلها مثل بقية الآيات الخمسين ، لتنسجم موسيقى التواصل فى جميع الآيات" (١)

وهناك أنواع أخرى من الوقوف تركها الوقف القرآنى مثل الوقف بالنقل إلا ما روى عن أبى عمرو وتواصوا بالصَّبرْ "(٢) ، ولسنا ندهش لذلك فهو وقفٌ منسوب لبنى تميم وقد اشتهر ذلك عنهم".

ونراه ملتزماً فى سورة النساء فيما عدا نحو سبع من آياتها التى تبلغ ١٧٦آية ، وفى سورة

الفرقان والأحزاب فيما عدا آية واحدة فى كل منهما، وفى سورة الفتح ، وفى سورة الطلاق وفى سورة الجن. (٣)

إذن فظاهرة الوقف بالسكون تتناسب معها تلكم الأهمية التى استحقتها ؛ لأنها قد شغلت حيِّزاً ملحوظاً فى القرآن الكريم ، إنها أمر ليس عابراً أو عارضاً يمثل ناحية متواضعة من نواحى اللغة ، بل كانت صفة من الصفات التى انتظمت معظم القبائل العربية وجرت على ألسنتهم جميعاً ولم تكن تقلُّ أهمية أو فصاحة عن ظاهرة تحريك أواخر الكلمات فى حالة الوصل ، بل لم تكن أقل شيوعاً ودوراناً فى أفواه الناس من ظاهرة الوصل"

وبرغم أننا نوافق على كل ما قرَره المرحوم د. أنيس فى كثير من مؤلفاته ، وبخاصة فى كتابه من أسرار العربية وموسيقى الشعر ، ودلالة الألفاظ ، إلا أننا لن نستخدم كلامه السابق للوصول إلى الهدف الذى أراده، بل إننا فقط حاولنا الاستفادة من كلامه السابق فى تأصيل فكرة اللغة الثالثة عند نزار قبانى ، وتأصيل صور ومظاهر وملامح هذه اللغة ، وقد كان من ملامح لغته الثالثة ذات القواعد الحية غير الميتة ما جاء على ألسنة أفصح الشعراء ، واستخدمته أشهر اللهجات ، وأقرته الدراسات الصوتية واللغوية الحديثة.

وسوف نعود إلى أنواع الوقوف عند نزار قبانى مستفيدين من أقوال د.أنيس السابقة ، ولكن بعد إلقاء نظرة على هذه الظاهرة عند علمائنا الأولين .

---

(١) موسيقى الشعر ص ١٤٨ و من أسرار العربية ص ٣٤١

(٢) السابقان

(٣) من أسرار اللغة ص ٢٣٥ ، ٢٣٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانياً: -

وعند المنشغلين بعلوم القرآن كلام كثير حول الوقف والوصل فقد ذكر الزركشى فى البرهان أن إيقاع المناسبة فى مقاطع الفواصل مطّرد ، ومتأكد جداً ، ولها أثرها فى اعتدال نسق الكلام وحُسْن موقعه فى النفس...

ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها فى مواضع ، ثم ذكر منها زيادة حرف لأجلها ؛ ولهذا ألحقت الألف بـ"الظنونا " فى قوله سبحانه : " وتظنون بالله الظنونا " ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها ؛ ولهذا ألحقت الألف بـ"الظنونا" فى قوله سبحانه: {وتظنون بالله الظنونا} [1] ، لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفات منقلبة عن تنوين فى الوقف فيزيد على النون ألف لتساوى المقاطع ، وتناسب نهايات الفواصل ومثله فأضلونا السبيلا ، وأطعنا الرسولا ....."

وقد عارض بعض المغاربة القول بأن زيادة الألف كانت لمراعاة الفاصلة القرآنية ، أو لتناسب رؤوس الآى فى سورة الأحزاب ؛ وذلك لوجود: {والله يقول الحق وهو يهدى السبيل} بدون ألف ، وهى رأس آية ، وثبتت الألف هنا لبيان القسمين، واستواء الظاهر والباطن ، ولو كانت لمراعاة الفاصلة لثبتت فى الجميع "

ثم ذكر الزركشى أن الوقف قد تجتلب له هاء السكت مثل : ماهيهْ ، سلطانية ....." [2]

ومنها تأخير الفاعل ، وإفراد ما أصله الجمع ، وجمع ما أصله المفرد، وتأنيث ما حقه التذكير ، ودقة اختيار اللفظ وصرف ما لا ينصرف ، واستخدام الثلاثى مكان الرباعى وإمالة ما أصله ألا يُمال ، والعدول عن صيغة المضى إلى الاستقبال ، وختم مقاطع الفواصل بحروف المد واللين.

قال سيبويه : إن العرب إذا ترنمت ألحقت الألف والواو والياء ما ينون وما لا ينون لأنهم أرادوا مد الصوت. [3]

وقد جاء القرآن على أعذب مقطع وأسهل موقف.

ثالثاً :-

أما الوقف عند نزار قبانى فقد أخذ أشكالاً عديدة وكان يجرى على أفصح الوقوف عند المحققين ، لأنه أكثرها استعمالاً عند فصحاء العرب.

---

(١) البرهان فى علوم القرآن جـ١/٦١ ، الأحزاب.١٠

(٢) الحاقة :١٩-٢٩

(٣) البرهان جـ١/ ٦٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غير أن ذلك لا يعنى أن نزار قبانى كان يتعمد المجئ بهذه الوقوف فى شعره لـيكون شعره فصيحاً أو ليكون مشابهاً للأنموذج المثال لدى شعرائنا الأقدمين أو لكى يرضى عنه المنشغلون بعلم النحو درساً وتدريساً وتأليفاً.

كـــلاّ ، إن وقـــف نزار قبانى – رحمه الله – جاء متسقاً تماماً مع أجواء كل قصيدة ، وما تحمله من معانى وما تعبر عنه من مواقف شعورية مؤثرة، وما ترسمه من صور شعرية تُثمَّنُ بالملايين إذا تحولتْ إلى صورة فوتغرافية جميلة.

أضـــف إلـــى ذلك أمراً مهماً غاية فى الأهمية لفت انتباهى وأنا أطالع أعماله الشعرية كلمة كلمة هذا الأمر هو عشقه للنسيج القرآنى ، ونفوره من كل نسيج لغوى يخالف النموذج القرآنى ، وكأنه كان مشغولاً بفصاحة القرآن ، وعلو شأن نظمه وكأنه " لعمـــرى" كـــان يعرف ما سيتخرصه عليه المتخرصون المتعجرفون ، قليلو العلم ، وصنّامو الناس بما ليس فيهم ، بأنه خرج على تعاليم القرآن الكريم وكان ماجناً خليعاً لـــيس مشـــغولاً بشئ إلا بأقبح الألفاظ ، وأوضع الأساليب ليصوّر بها نزقه وفسقه ، ومغامـــراته النســـائية المنبوذة من قبل ذوى الحياء والعفة ، والمثل والمبادئ الفضيلة و...و....!!

كـــلا إن نـــزار قبانى قد احترم كل شئ جاء به القرآن الكريم حتى ألفاظه ، ووقوفه ، وفواصله كان يعتد بها لتكون مثالاً يحتذيه فى التعبيرات الرمزية التى ملأت شـــعره ، وكانـــت المرأة واحدة من محطاته الرمزية التى يقف عندها ليصرُخ ويبوح أمامها بكل همومه وهموم أمته وشعوبها المطحونة.

وانقسمت الوقوف عند نزار قبانى إلى :

- وقف بالألف
- وقف بهاء السكت
- وقف بالسكون

وكل نوع من هذه الثلاثة قد جاء به القرآن الكريم واستخدمته لغته الجميلة ونظمه المعجز.

وسوف نلاحظ أن الوقف بالألف قد جاء فى صور متعددة منها:-

أولاً:

أ- الوقف بالألف مع الاسم المعرف بأل المنصوب و قد مضت أمثلة له و مما ورد عند نزار قبانى منه قوله :-

- لماذا هى تدعونى صبياً .....

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وأنا لستُ الحبيبا

ولماذا هى لا تمحو ذنوبى ؟

- أبداً .....والله فى علياءه يمحو الذنوبا (١)

ومن ذلك قــوله :

- يا مَنْ يعيد كراريسى .....ومدرستى.
- والقمح ، واللوز ، والزرق المواويلا
- ياشامُ ، إنْ كنتُ أُخفى ما أكابده
- فأجمل الحبِّ حُبٌّ – بَعْدُ – ما قيلا ..... (٢)

ومن ذلك الوقف بالألف قــوله :

- يا فتحُ يا حصاننا الجميلا
- يا طفلنا الذى انتظرنا وجهه طويلاً
- يا فتح ، نحن مكةٌ
- تنتظر الرسولا.
- يا فتح شاب الدمع فى عيوننا.
- ولم يزل خنجر إسرائيل فى ظهورنا.
- ولم نزل كالأمس أغبياء.
- نردد الخرافة البلهاء.
- الصبر مفتاح الفرج .!! (٣).

***ومن ذلك قــوله :**

- بابلٌ ، كربلاءُ – رُدّى السلاما
- هل أتتك الأخبار – يا متنبى
- أن كافور مصر ، فكّك الأهراما(٤).

ومن ذلك قــوله :.....

- أيام فى دُمّر كنا ..... وكان فمى
- على ضفائرها ...حفراً وتــنــزيلاً

---

(١) جـ٤/ ١٢٠

(٢) جـ٣/ ٥٢٠

(٣) جـ٣/ ١٤٤

(٤) جـ٣ / ٥٠٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- والسرو يلبس بالساق الخلاخيلا(١)
- يا مَنْ على ورق الصفصاف يكتبنى.
- شعراً وينقشنى فى الأرض أيلولا "
- ومن ذلك قــوله :
- حاولت إقناع حُبك أن إجازة عامٍ
- على البحر .....أو فى أعالى الجبال .....تفيد كلينا
- ولكن حبك ألقى الحقائب فوق الرصيف
- وأخبرنى أنه لا يريدُ الرحيلا(٢)

ومن ذلك قــوله :

- فرشت فوق ثراكِ الطاهرِ الهّدبا
- فيا دمشقُ ، لماذا نبدأ العَتَبا
- حبيبتى أنتِ .....فاستقلى كأغنية.
- على ذراعى ، ولا تستوضحى السببا(٣).

ب- الوقف بإطلاق فتح ياء المتكلم:-

ومن ذلك قــوله :-

- بلقيسُ يا بلقيسُ - يا بلقيس
- كلُ غمامةٍ تبكى عليكِ
- فمن تُرى يبكى علّيا
- بلقيسُ .....كيف رحلتِ صامتة
- ولم تضعى يديك .....على يديّا (٤).

جـ - الوقف بإطلاق فتح نون جمع المذكر :

ورد ذلك فى قــوله :

- الاسم : جميلة بوحَيْرَدْ
- رقم الزنزانة : تِسعونا
- فى السجن الحربى بِوَهْــرَان

---

(١) جـ٣/٥١٩

(٢) جـ٢ / ٢٦٧

(٣) جـ٣/ ٤١٧

(٤) جـ٤ / ٣٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- والعمـــر: إثنان وعشرونا[1].

ثانياً : الوقف بالإسكان :-

١- تسكين المنصوب غير المنون :

ورد ذلك فى قول نـــزار :

- نريد جيلاً غاضباً
- نريد جيلاً يفلحُ الآفاقْ.
- وينكشُ التاريخ من جذورهْ
- نريد جيلاً رائداً ، عملاقْ . [2]

٢- تسكين المنصوب المنون :-

ورد ذلك فى قول نـــزار :

- فى بلادى
- حيث يحيا الناس من دون عيونْ
- حيث يبكى الساذجون
- ويصلون
- ويزنون
- ويحيون اتكال
- منذ أن كانوا
- يعيشون اتكال
- يا هـــلال
- أيها النبع الذى يُمطر ماسْ
- وحشيشاً ونعاسْ. [3]

ومن ذلك :

- نريد جيلاً رائداً ، عملاقْ [4]

ومن ذلك قوله :

- ووقع الكبـــارْ

---

(١) جـ٣/ ٥١

(٢) جـ٣/ ٩٥

(٣) جـ٣/ ٢١

(٤) جـ٣/ ٩٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أربعة ....يلقبون نفسهم كبار
- صكّ وجود الأمم المتحدة ..... [1]

ومن إسكان الاسم المنصوب المنون:

- نركب أحصنة من خشبْ
- ونقاتل أشباحاً...
- وسراب
- يا رب الأرباب
- حرمات القدس قد انتهكت
- وصلاح الدين من الأسلابْ
- ونسمى أنفسنا كتابْ [2]

ومن ذلك قوله :

- لأن هارون الرشيد مات من زمانْ
- لأننا نحن قتلناه ، وأطعمناه للحيتان
- لأن هارون الرشيد لم يعد إنسان[3]

وقوله فى قصيدة أخرى :-

- وانتظرناه قروناً .....وقرونْ
- فلماذا هرب العصفور منا
- دون أن يلقى التحية [4]

ومن تسكين الاسم المنصوب المنون:

- أنا ضيعت تاريخاً .....
- وأهلاً
- وبلاد
- .....
- يا أصدقاء الجرحِ فى بيروتْ
- ألم تبيعوا قمراً .....لتشتروا زلزال

---

(١) جـ٣/٢٩

(٢) جـ٣/ ١٥٧

(٣) جـ٣/ ١٩٠

(٤) جـ٣/ ١٩٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- لقد مر عشرون عام
- ونحن نؤسس حكم القبيلة
- ونعد فى كل يوم وثن[1]

- **الإسكان**

٣- إسكان الاسم المجرور :

ورد ذلك فى قول نزار قباني:

- وآلت الحربُ إلى ختام
- وأعلن السلامْ
- ووقع الكبارْ [2]

ومن ذلك قول نـــزار قباني:

- شعراء الأرض المحتلة
- تتعلم منكم منذ سنين
- نحن الشعراء المهزومين
- نحن الغرباء عن التاريخ
- تتعلم منكم
- كيف الحرف يكون له شكل السكين [3]

ومن تسكين المجرور بالحرف أو بالإضافة قوله:

- لقد مر عشرون عام
- ونحن نوالبيت مصنوعة من رخام
- نبايع أىّ عقيد يجئ
- ونلعق حزمة أى نظام[4]

ومن ذلك قـــوله:

لا أحدٌ من مُضرٍ ، أو من مبنى تقيف[5]

---

(١) جـــ٦/ ٢٦٥ - ٢٣٦

(٢) جـــ٣/ ٢٩

(٣) جـــ٣/ ١٥٢

(٤) جـــ٦/ ٢١١

(٥) جـــ٦/ ١٠٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- وقد ورد إسكان الفعل المرفوع فى قوله:

- متى تفهمْ
- متى يا سيدى تفهمْ
- بأنى لست واحدة .....
- كغيرى من صديقاتكْ
- ولا فتحاً نسائياً يضاف إلى فتوحاتكْ.
- أيا جملاً من الصحراء لم يُلْجَمْ
- ويا منْ يأكل الجُدَرىُّ منه الوجه والمعصمْ
- متى تفهمْ[١]

إسكـــان المرفوع:

ورد ذلك فى قــول نزار :

- يا أيها الأطفالْ
- لا تقرؤا عن جيلنا المهزومْ.

فنحن خائبونْ[٢]

ومن ذلك قولــه:

- يا هلالْ
- أيها النبع الذى ينبت ماس
- وحشيشاً ونعاس[٣]

٥- ومن تسكين المبنى - كاف المخاطب المبنية على الفتح :-

- ولن تتملك الدنيــا
- بنفطك وامتيازاتكْ
- أيا متشقق القدمين ، يا عبد انفعالاتكْ.
- ويا من صارت الزوجات بعضاً من هواياتك.
- متى تفهمْ
- بأنى لست من تهتمْ.
- بنارك أو بجناتك.

---

(١) جـ٣/ ٦١

(٢) جـ٣ / ٩٥

(٣) جـ٣/ ٢١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- كهوف الليل فى باريس قد قتلت مروءاتكْ.
- على أقدام مومسة هناك.
- دفنت ثاراتكْ...
- فبعت القدسَ ، بعتَ الله .....بعتَ رماد أمواتك[1]

الإســـكان :

٦- تسكين نون جمع المذكر:

- شعراء الأرض المحتلة
- نتعلم منكم منذ سنينْ
- نحن الشعراء المهزومينْ
- نحن الغرباء عن التاريخ
- وعن أحزان المحزونينْ
- نتعلم منكم
- كيف الحرف يكون له شكل السكينْ[2]

٧- تسكين المشدد :-

ورد ذلك فى قول نزار :

- متى تفهمْ
- بأنى لستُ مَنْ تهتَمْ
- بنـــارك أو بجناتكْ [3]

ثالثاً :-

- الوقف بزيادة هـــاء السكت :

ورد ذلك فى قــول نزار :-

- ما كان معى شئٌ سوى أحزانيهْ.
- وكانت بلادى بعد ميل واحدٍ[4]

ثم يقــول:-

- من عهد فرعون ..... إلى أيامنا

---

(١) جـ٣/٦١

(٢) جـ٣/١٥٢

(٣) جـ٣/ ٦١

(٤) جـ٦/ ٩٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- هناك دوماً حاكم بأمره
- وأمة تبول فوق نفسها كالماشيه[1]
- فى مركز للأمن فى بلاديه

وكان قد قال فى قصيدة أخرى :

- ممنوعة أنت من الدخول يا حبيبتى عليَّهْ
- ممنوعة أن تجلسى .....أو تهمسى أو تتركى يديك فى يدّيه[2]

إن قراءة غير متعجلة لأنواع الوقوف عند نزار قبانى تؤكد لنا حرصه على جعل لغته الثالثة تستمد قوتها ونظامها من نحوٍ حىٍّ مستعملٍ كثيراً فى النظم القرآنى وقد جاءت أنواع الوقوف عنده مستوحاة من هذا النظم المعجز ، الذى خاطب العرب بما يقولونه و يحبونه ويعجبون به، وبطريقته.

قال ابن منظور عن زيادة الألف فى مثل "الظنونا" و "السبيلا" .. و"الرسولا" وهى تلكم الألفاظ التى استخدم نظيراً لها نزار قبانى فى وقفه فى قوافيه فى مثل :

- الذنوبا ، والحبيبا ، "المواويلا"
- "الرسولاْ" ، "الجميلا" ، "السلاما" ، "الخلاخيلا" ، و"الأهراما" ، "الهدبا" ، "العتبا" ، " السيبا"

قال ابن منظور : وإنما فعلوا ذلك لأن رؤوس الآيات عندهم فواصل ، ورؤوس الآى وفواصلها يجرى فيها ما يجرى فى أواخر الأبيات والفواصل ، لأنه إنما خوطب العرب بما يعقلونه فى الكلام المؤلف فيدل بالوقف فى هذه الأشياء وزيادة الحروف فيها نحو "السبيلا ... " على أن الكلام قد تم وانقطع ، وأن ما بعده مستأنف ويكرهون أن يصلوا فيدعوهم ذلك إلى مخالفة المصحف"

وأيد البيضاوى ذلك فى قوله : والظنونا .. والألف مزيدة فى أمثاله تشبيهاً للفواصل بالقوافى وقد أجرى نافع وابن عامر وأبو بكر فيها الوصل مجرى الوقف.

وقد تحدث الزركش عن الفاصلة القرآنية ، والوقف فيها حديثاً مستفيضاً نقلنا منه جزءاً يسيراً فى بداية حديثنا عن الوقف عند المنشغلين بالدراسات العربية والقرآنية فى بداية هذه الصفحات وقد ذكر الزركشى أيضاً أن الفاصلة "كلمة فى آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع ونقل عن الدانى أن الفاصلة : كلمة فى آخر الجملة"

---

(١) جـ٦/ ٩٢

(٢) جـ٢/ ٢٧١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونقل عن الجعبري أن القول بجعل الفاصلة كلمة في آخر الجملة يعتبر قولاً مخالفاً للمصطلح ، ولا دليل عليه في تمثيل سيبويه في "يوم يأت" وما كنا نبغ ، وليسا رأس آي لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية وقال القاضي أبو بكر الفواصل : حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني . أ هـ.

وفرق الإمام أبو عمرو الداني بين الفواصل ورؤوس الآيات قال : أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس آية وكذلك الفواصل: تكون رأس آية وغيرها وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية ، فالفاصلة تعم النوعين ، وتجمع الضربين ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي "يوم يأتي" ، وما كنا نبغ" وهما غير رأس آيتين بإجماع أهل العلم والصناعة مع إذا يسر " وهو رأس آية بالاتفاق " أ هـ[1]

- البرهان جـ١/٧٠ت

- قالوا وأحسن السجع ما تساوت قرائنه ليكون شبيهاً بالشعر فإن آياته متساوية كقوله تعالى: " في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود " ودعته إلى ذلك أن السمع ألف الانتهاء إلى غاية فألحقه بالأولى فإذا زيد عليها ثقل عنه الزائد لأنه يكون عند وصولها إلى مقدار الأول كمن توقع الظفر بمقصوده ثم طالت قرينته الثانية كقوله : والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى أو الثالثة كقوله تعالى : " خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ، وهو إما قصير: كقوله . والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً "

وإما طويل كقوله : " إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم ، إنه عليم بذات الصدور ....."

أو متوسط : " اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر "[2][3][4]

- وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام ، وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاعاً "

---

(١) البرهان جـ١ / ٥٣
(٢) سورة الأنفال ٤٣.
(٣) سورة القمر ١ ، ٢.
(٤) البرهان جـ١/٥٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأمـــا مناسبة فواصل : " فلقوله تعالى " كتاب فُصلتْ آياته " [1] وأما تجنب أسجاع فلا أصـــله مـــن سجع الطير فشرف القرآن الكريم أن يستعار لشئ فيه لفظ هو أصل فى صـــوت الطائـــر ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث فى اسم السجع الواقـــع فـــى كلام أحاد الناس ولأن القرآن من صفات الله عز وجل فلا يجوز وصفه بصفه لم يرد الإذن بها وإن صح المعنى ثم فرقوا بينهما فقالوا السجع هو الذى يقصد فـــى نفســـه ثم يحيل المعنى عليه والفواصل التى تتبع المعانى ولا تكون مقصودة فى نفسها.

قـــال الـــرمانى فى إعجاز القرآن وبُنى عليه أن الفواصل بلاغة وأن السجع عيب، ونقل عن الأشعرية امتناع وجود السجع فى القرآن.

- وذهب كثير من مخالفى الأشعرية ، إلى إثبات السجع فى القرآن ، وزعموا أن ذلك مما تبين فيه فضل الكلام وأنه من الأجناس التى يقع بها التفاضل فى البيان والفصاحة كالتجنـــيس والالـــتفاف - الالتفات" ونحوها ، قال وأقوى ما استدلوا به على الاتفاق علـــى أن موسى أفضل من هـــارون عليهما السلام ولما كان السجع قيل فى موضع هـــارون ومـــوسى ولـــما كانت الفواصل فى موضع آخر بالواو والنون قيل موسى وهارون:

قالوا: وهذا يفارق أمر الشعر لأنه لا يجوز أن يفتح فى الخطاب إلا مقصوداً إلـــيه وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذى نسميه شعراً، وذلك القدر يتفق وجوده من المفحم كما يتفق وجوده فى الشعر وأما ما جاء فى القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه.

قـــالوا : وبنوا ذلك كله على تحديد معنى السجع فقال أهل اللغة : هو موالاة الكلام على وزن واحد قال ابن دريد : سجعت الحمامة رددت صوتها.

- قـــال القاضى : وهذا الذى يزعمونه غير صحيح ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خـــارج عن أساليب كلامهم ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز ولو جاز أن يقال هـــو ســـجع معجز لجاز لهم أن يقولوا شعر معجز وكيف والسجع مما كانت كهان العرب تألفه ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفى الشعر لأن الكهانه تخالف النبوات .[2]

---

(١) سورة فصلت ٣

(٢) يراجع البرهان ١ /٥٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وما توهموا أنه سجع باطل لأن مجيئه على صورته لا يقتضى كونه هو لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو فى معنى السجع من القرآن لأن اللفظ وقع فيه تابعاً للمعنى وفرق بين أن ينظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود وبين أن المعنى منتظماً دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان أفيد وكان كغيره ، ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع كان مستحلياً لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى قال : وأما موضوع موسى وهارون لأجل السجع ولتساوى المقاطع فمردود بل هو إعادة القصة بألفاظ مختلفة مثل غيرها من القرآن .

- فبان بما قلنا أن الحروف الواقعة فى الفواصل مناسبة موقع النظائر التى تقع فى الأسجاع لا يخرجها عن حدها ولا يدخلها فى باب السجع وقد بينا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء فكان بعض مصاريعه كلمتين وبعضها يبلغ كلمات ولا يرون ذلك فصاحة بل يرونه عجزاً فلو فهموا اشتمال القرآن على السجع لقالوا نحن نعارضه بسجع معتدل فنزيد فى الفصاحة على طريق القرآن ، ونتجاوز حدّ فى البراعة والحسن ورد عليهما الخفاجى فى كتاب سر الفصاحة فقال :

وأما قول الرمانى : إن السجع عيب والفواصل على الإطلاق بلاغة، فغلط ، فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة والفواصل مثله وأن أراد به ما تقع المعانى تابعة له وهو مقصود متكلف فذلك عيب والفواصل مثله .

قال : وأظن أنهم سموا كل ما فى القرآن فواصل وليس سجعاً رغبتهم فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم وهذا غرض جيد والحقيقة ما قلنا.

- قال والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفواصل ، وإن قيل إذا كان عندكم أن السجع محمود فهلا ورد القرآن كله مسجوعاً وما الوجه فى ورود بعضه مسجوعاً وما الدرجة فى ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع ؟!

قلنا إن القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى عرفهم وعاداتهم وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعاً ولا كله مرسلاً لأن المسجوع كله متكلف وفيه استكراه وتصنع لاسيما فيما يطول من الكلام. فلم يرد كله مسجوعاً جرياً منه على عرفهم فى اللطيفة العالية من كلامهم ولم يخل من السجع لأنه يحسن فى بعض الكلام على الصبغة السابقة وعليها ورد فى فصيح كلامهم فلم يجز أن يكون عالياً فى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصـــاحة وقـــد أدخل فيه بشرط من شروطها فهذا هو السبب فى ورود بعضه كذلك وبعضه بخلافه.

- وخصت فواصل الشعر باسم القوافى فى مرآة الشاعر يقفوها أى يتبعها فى شعره لا يخرج عنها فى الحقيقة فاصلة ؛ لأنها تتصل آخر الكلام فالقافية أخص فى الاصطلاح إذ كـــل قافـــية فاصلة ولا عكس ، ولامتناع استخدام السجع فى القرآن امتنع استخدام الفاصلة فى الشعر.

- قـــال قـــد يقع فى القرآن الايطاء : وهو ليس بقبيح فيه إنما يقبح فى الشعر كقوله ســـبحانه كـــأنهم لا يعلمون ثم قال فى آخرين لو كانوا يعلمون ثلاث فواصل متوالية يعلمون يعلمون – يعلمون " فهذا لا يقبح فى القرآن قولاً واحداً قيل ويقع فيه التضمين ولـــيس بقبـــيح إنما يقبح فى الشعر ومنه سورتا الفـــيل – وقريش "فإن اللام" لإيلاف قريش " قيل إنها متعلقة بجعلهم فى آخر الفيل" .

وحكى حازم فى منهاج البلغاء خلافاً غريباً فقال وللناس فى الكلام المنثور من جهـــة تقطـــيعه إلى مقادير تتقارب فى الكمية وتتناسب مقاطعها على ضرب منها أو بالنقلة من ضرب واقع فى ضربين أو أكثر إلى ضرب آخر مزدوج فى كل ضرب. فضرب يزيد على الإزدواج.

وإذا عدنـــا إلـــى أنواع الوقف عند نزار قبانى وجدنا أنه استخدم جميع أنواع الوقـــف الـــتى وردت فى القرآن الكريم غالباً واستخدمت فى الشعر العربى الفصيح المشـــهور ، ورويت عن قبائل العرب المشهورين بالفصاحة ، والمشهورة لغتهم على ألسنة أهل الفصاحة والبيان.

فقد قلنا إنه استخدم الوقف بإطلاق فتحة الاسم المنصوب المعرف بأل ، وقلنا إن ذلك موجود فى النسيج القرآنى المعجز.

واســـتخدم أيضاً ‘إطلاق فتح نون جمع المذكر مثلما استخدمها القرآن الكريم فى لغته العذبة الجميلة ففى القرآن الكريم : " وتظنون بالله الظنونا" بإطلاق فتح نون "الظنون".

وفعـــل ذلـــك نـــزار قـــبانى عندما أطلق فتح نون وعشرون فى قوله : "العمر اثنان وعشرونا"

وقد ورد تسكين الاسم المنصوب أو المجرور أو المرفوع فى مواضع عدة من القـــرآن الكـــريم وقد نقلنا ذلك عن د.أنيس فى بداية هذا الموضوع وقد ورد ذلك عند نزار قبانى ، وقد نقلنا ذلك فى ثانياً من ١-٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكن يلفت النظر أن رقم (٧) قد ورد فيه إسكان الفعل المشدد نهائياً ، حيث أصبح "نهلّم" والسكون المشدد علامة قد ورد في القرآن الكريم ، وقد ذكرنا خمس مواضع من سورة القمر عند تلاوتنا حديث د. أنيس رحمه الله حول تسكين المشدد.

وقد بحثت عن الوقف بحذف حرف وإسكان ما قبله عند نزار فلم أعثر عليه عنده ولعل له قصائد أخرى لم تتحسنها الطبعة التي بين أيدينا ، فقد ورد فيها حذف آخر الكلمة ثم إسكان الحرف قبل الأخير على لغة من لا يبتغي كما أسماهم د. أنيس .

- أما الوقف بهاء السكت فهي ظاهرة قرآنية لها أصولها في قبائل العرب، لكنها ظاهرة لم تحظ على موافقة جميع اللغويين والنحاة ، بل والقراء الذين لم تر عنهم هذه الظاهرة ، ولم يقرؤوا بها.

ومنذ الوهلة الأولى تقرر أن اللغة الثالثة التي كان يطمح إلى تحقيقها نزار قباني ، لم تكن لغة قبيلة بعينها ، أو بيئة محددة جغرافياً أو سياسياً ، بل إنه - كما لاحظنا وسنلاحظ قد جعل لغته الثالثة التي احتوتها أصالة الشعرية والنثرية ، مستوحاة من فصيح كلام ، وغير رافضة لكل أداء منتشر على ألسنة مستخدمي اللغة العربية ، على اختلاف مستوياتهم ، وطبقاتهم ، وبلدانهم ، وهي أدامت له صلة قوية بالبنية العربية القديمة على ألسنة قبائل العرب الأقحح.

أما مدى موافقة لغة نزار قباني التي أسماها اللغة الثالثة - لقواعد النحاة أو عدم موافقتها فهو أمر لم يخل به نزار قباني ؛ لأنه أيقن أن حصوله على إجماع النحاة على صحة كل ما جاء به أمر مستحيل، بل إنه لن يحقق له هدفه من تجديد اللغة الشعرية - أو اللغة الشاعرة وسيجعل لغته في دواوينه مسخاً مشوهاً من كلام قديم خال من التصوير والإبداع هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن قواعد النحو العربي لا تشكل لغة واحدة أو مساحة جغرافية محددة ، بل هي قواعد محددة للغات متعددة متغيرة ، ومن الواجب تجديد هذه القواعد في كل فترة زمنية ، ولا يتم ذلك إلا على يد صناع اللغة ، ومحركيها ، والمطورين لها ، ولا ننسى أولاً وأخيراً مسرحات نزار قباني الداعية إلى تجديد قواعد النحو العربي، وقد حاول تحقيق ذلك من خلال إحيائه القواعد التي كان النحاة قد حكموا عليها بالموت لعدم استعمال أو لأي سبب آخر ويكون إحياء هذه القواعد بإحياء واعتماد واستعمال الأساليب التي تمثل هذه القواعد، فيكون ذلك بمثابة حكم أخضر ، أو كأية قرار - ممنوع - من قرارات مجامع اللغة العربية بإباحة استعمال مثل هذه الأساليب أو هذه الإدامات ، واعتماد قواعدها واستعمالها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا يهم – بعد ذلك وقبله أن يرضى النحاة جميعاً أو بعضهم على مثل هذا ، لأن نـــزار قـــبانى لـــم يكن مشغولاً بإرضاء النحاة بقدر حرصة على ارضاء نفسه الشاعرة وارضاء جمهوره الغفير فى كل مكان من بلاد العرب والعجم ذلك أن إرضاء جميع النحاة غاية لا تدرك ، وهذا أمر قد وعاه وأدركه نزار قبانى .

وإذا نظرنا فى كلام النحاة حول هاء السكت التى جاء بها نزار فى رقم (٧) مـــن مواضـــع الوقوف الماضية رأينا أن نزار وقف على موضع واحد من المواضع الـــتى أجاز النحاة الوقف عليها بهاء السكت هو ياء المتكلم المفتوحة – المضافة إلى اسم قبلها أو أخرى مثل : بلادية = بلاد + ي + ه أو عليّة = على + ي+ ه .

وموجز كلام النحاة حول هاء السكت وبخاصة فى مثل هذين الموضعين نراه فى الحديث الآتى

هاء السكت :–

يسميها الهروى " هاء الاستراحة " وتبعه فى ذلك آخرون ، وكلا التسميتين تفيد أن هـــذه الهاء يؤتى بها فى أخر الكلمة المراد الوقف عليها ، أو الاستراحة بعد نطقها ، فتساعد المتكلم أن يستأنف كلامه أو يقف عليه بلا صعوبة .

وقـــد اشترط النحاة شروطاً محددة فى الكلمة المراد الحاق هاء السكت بها ، وهذه الشروط هى :

١ – أن تكون الكلمة مبنية .

٢ – أن تكون حركة بنائها لازمة .

٣ – ألا تشبة المعرب .

فـــإذا تحققت هذه الشروط الثلاثة مجتمعة ، جاز إلحاق هاء السكت بهذه الكلمة ، فإن اختل شرط منها امتنع الحاق " الهاء " ، هذا هو ضابط جواز إلحاق " هاء السكت " ببعض الكلمات، عند جمهور النحويين .

وقد شرح النحاة أسباب الإتيان بهذه الهاء فقالوا إن العرب كرهت أن يذهب الوقف بحركة لازمة وهى حركة بناء الألفاظ المبنية ، مثل هو ، هى وياء المتكلم فى مثل : مالية ، سلطانية عليّة ، لديّه ، إليّه ، عليه .... الخ .

إذا لو وقفوا على أىٍّ من هذه الكلمات لذهبت حركة بنائها ، وأسكنوا ذلكم الحرف المبـــنى ، وهذا إخلال به ، ومن أجل ذلك جاءوا بهاء السكت وألحقوها – عند الوقف بمـــثل هذه الكلمات، فيوقف بالسكون على " هاء السكت " وظل آخر مثل هذه الكلمة مبنياً ، أى : تبقى حركته فى الوقف والوصل ، كما هى على ما قبل " هاء السكت "

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقـول سيبوية : وقالوا : هيه ، وهم يريدون هى شبهوها ، بياء بعدى ، وقالوا : هوه ، ولما كانت الواو لا تعرف للاعراب ، كرهوا أن يلزموها الإسكان فى الوقف .

ويتابع ابن هشام سيبوية فى هذا ، ويستشهد لصحة ذلك بقول حسان بن ثابت :

إذا ما ترعرع فينا الغلام فما إن يقال له مَنْ هُوَهْ

ثـم قـال ابـن هشـام : ومَنْ لم يفتح وقف بالسكون ، ولم يأت بها السكت لعدم فائدتها.. (١)

وكـلام ابن هشام السابق هو قريب من كلام سيبويه عند حديثه عن جواز إلحاق هاء السكت ببعض المواضع ، وذلك حيث يقول : لأن ناساً من العرب وهم كثيرون لا يلحقـون الهاء فى مثل المواضع عند الوقف ، لذا فهى جائزة و ليست واجبة (٢) ولا يوجـد خلاف بين النحاة يستحق الذكر حول إلحاق هاء السكت بمثل هذه المواضع، و نعنى بها الألفاظ المبنية على الفتح أو التى تشبه المبنى ، و يراد الوقوف عليها وقبل ترك هذه القضية أشير الى أمرين هامين هما :

١ – أنه قد رويت روايات تفيد أن بعض النحاة أو اللغويين القدامى ، كان لا يستملح زيـادة هاء السكت فى أواخر الكلمات المباح الحاقها بها ظناً منه أن هذه الهاء تجعل الكلام الذى تدخل علية رخواً . قال الزجاجى : مجلس أبى عمرو بن العلاء مع رجل من أهل المدينة "

قال الزجاجى : حدثنا ، أبو هفان ، قال مصعب الزبيرى ، أنشد رجل من أهل المدينة أبا عمرو بن العلاء قول بن قيس الرقيات :

إن الحوادث بالمدينة * أوجعننى وقرعن مروتيَّة

فإنتهره أبو عمرو ، وقال له : مالنا ولهذا الكلام الرخو أو الشعر الرخو إنّ هذه الهاء لم تدخل فى شئ من الكلام إلا أرخته ، فقال المدنى : قاتلك الله يا أبا عمرو ما أجهلك بكـلام العـرب ، قال الله سبحانه فى كتابه الكريم " ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانية (٣).... " وتعيبه؟؟!

فانكسر أبو عمرو انكساراً شديداً .

---

(١) معنى اللبيب ، و شرح التصريح : ٢ / ٣٤٥

(٢) الكتاب لسيبويه : حـ ٢ / ٢٧٩ ، و راجح المقتضب : حـ ٣ / ١٧٤ و شرح عمدة الحافظ ، و عدة اللفظ : ص ٩٧٦ ، الكانية ٢/ ٤٠٨ ، و شرح الفصل ١٠ / ٢ ، و حاشية الخضرى : ٢ / ٧١ و الحجة لأبى على حـ ١ / ٩١ ، ٢٤٣ ، و فتح التقدير : حـ ٥ / ٢٨٤ - و الفائق حـ ٢ / ٤٢٠ ،و تفسير النفى حـ ٤ / ٢٤١ ، روح المعانى حـ ٧ / ٢١٧ ، ٣٦/١١ ، ١٢٤ / ١٦

(٣) الحاقة : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقــد روى ابن هفان أيضاً أن عبد الملك بن مروان أنشده ابن قيس الرقيات شعراً ، فقال له عبد الملك أحسنت يا ابن قيس . لولا أنك خنست قوافيه !!

فقــال ابن الرقيات : يا امير المؤمنين ما عدوت قول الله سبحانه : " ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه .... "

فقال عبد الملك ،أنت فى هذا أشعر منك فى شعرك (١)

٢ - أن نزار قبانى قد وقف وقوفاً متنوعاً ، أو جاءت القوافى عنده متنوعة ، مناسبة للموقف الشعورى الذى كان يعايشه .

فنحــن نــراه أحــياناً يقف بالسكون ، ومرة يقف بإطلاق الفتحة ، أو إسكان المتحرك ، أو جلب هاء السكت للحفاظ على فتحه ياء المتكلم .

لكنــنى أعتقد أنه لم يأت بهاء السكت فى مثل هذه المواضع ليحقق قاعدة هاء الســكت ، بــل ليجعل حروف الكلمة ، ومقاطعها ، وأصواتها تناسب المشاعر التى تفيض بها قصيدته كلها .

---

(١) مجالس العلماء للزجاجى ص١٨٨ ، ١٨٩
وراجع فى هاء السكت الاشمونى ٣ / ٧٥٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- **إلزام جمع المذكر السالم الياء وإعرابه بالحركات عليها :-**

ورد فـــى شرح التصريح : وبعضهم : أى بعض العرب يجرى " بنين " وباب " ســنين " وإن لـــم يكن علماً ، مجرى " غسلين " فى لزوم الياء والحركات على النون منونة غالباً على لغة بنى عامر ، وغير منونة على لغة بنى تميم ، حكاه عنهم الفراء، ولا تسقط النون للإضافة ثم ذكر قول الصّمة بن عبد الله بن الطفيل :-

دعانى من نجد فإن سنينه : لعبن بنا شيباً وشيبننا مرداً

والـــرواية بإثبات النون وفتحها ، ولم تسقط النون للإضافة وهذا دليل على إعرابها بالحركة . لا بالحرف.(١)

وبعـــض النحاة يجعل إلزام جمع المذكر السالم الياء وإعرابه بالحركات حكماً مطرداً ، لأن لغته مطردة فى جمع المذكر وكل ما يحمل عليه .

ويذكـــر الشيخ خالد الأزهرى سبب الاقتصار على حالة الياء والنون وإجراء علامات الإعراب على النون قوله :

لأن باب الياء أوسع من باب الواو ، وهذا قول جيد . (٢)

وعلـــى هـــذه اللغة المطردة قديماً ، والمنتشرة على السنة قطاعات كثيرة من شعوب الأمة العربية جاء قول نزار :

- سامحونا
- إن تجمعنا كأغنام على ظهر السفينة
- وتشردنا على كل المحيطات سنيناً ... وسنيناً
- لم نجد ما بين تجار العرب .
- تاجراً يقبل أن يعلقنا ... أو يشترينا
- لم نجد بين جميلات العرب
- مرأة تقبل أن تعشقنا ... أو تفتدينا
- لم نجد ما بين ثوار العرب .
- ثائراً ... لم يغمد السكين فينا . (٣)

---

(١) شرح التصريح على التوضيح ص ١/ ٧٧
(٢) السابق
(٣) ص ٦/٣٠٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملمح الثانى : محاكاة لغة

فصحى التراث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الظرف :-

- بين : ظرف متصرف تصرفاً متوسطاً ، مبنى فى محل نصب على الظرفية الزمانية أو المكانية ويجوز إعرابه وخروجه عن الظرفية فيقع مضافاً إليه مجروراً ، أو فاعلاً مرفوعاً أو غير ذلك مثل :

وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله ، وحكما من أهلها [١] ... فلفظة " بين " هنا مضاف إليه مجرور بالكسرة ، وهى فاعل فى قوله سبحانه" لقد تقطع بينُكم " فى قراءة رفع بينكم " .[٢]

وفى اشتقاقها يقول الأمير : أصل بين ، مصدر ابان ، إذا تفرق ثم استعملت استعمال الظروف – زمانيه أو مكانيه [٣] - ، وقال الصبان : أعلم أن " بين " أصلها أن تكون مصدراً بمعنى الفراق [٤] – ويقصد الصبان من الفراق ، مكان الافتراق أو الانفصال فى الشئ المتعدد أو الشيئين .

وبين ظرف ملازم للإضافة ، وإضافتها تكون لمتعدد ، أو ما فى حكم المتعدد، ومن المتعدد قولهم : مقتل الرجل بين فكيه ، وقول الشاعر :-

شوقى إليك نقى لذيذ هجوعى :. فارقتنى فأقام بين ضلوعى [٥]

فإن أضيفت لمفرد وكان ضميراً لا يدل على تعدد ، وجب تكرارها مع عطف المكررة بالواو ، كالآية السابقة ، وهى :" هذا فراق بينى وبينك "...[٦]

فإن أضيفت إلى اسم ظاهر فالكثير أنها لا تتكرر ، إذ يكتفى بالعطف بالواو على الاسم الظاهر المضاف إليه ، مع جواز التكرار وإن كان الأول هو الأكثر ، مثل تضيع الغاية بين التردد واليأس وقولهم : شتان بين روية وتسرع .[٧]

إذن فتكرار " بين " بين المتعاطفين الضميرين واجب وتكرارها بين المتعاطفين الظاهرين جائز ، حيث لا يصح أن نقول : بينك وأنا لأن الصحيح : بينك وبينى مودة ووفاء ويصح أن نقول : المال بين محمود وبين على " بزيادة بين للتوكيد ويصح المال بين

---

(١) سورة النساء ٣٥
(٢) سورة الأنعام ٩٤
(٣) حاشية الأمير على المغني ص ٢٣٥/١
(٤) حاشية الصبان على الأشمونى
(٥) النحو الوافى ص ٢٨٨/٢
(٦) سورة الكهف ٧٨
(٧) النحو الوافى ص ٢٨٨/٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محمـــود وعلى بعدم زيادتها ، قال بذلك أبن برى وغيره ، لكن الحريرى منع تكرارها بين الاسمين الظاهرين وتبعه آخرون .[١]

لكـــن التحقيق يثبت ورود "بين" مكررة عند العطف بالواو بين الاسمين الظاهرين ورد ذلـــك فى الأحاديث النبوية الشريفة وورد فى أقوال الصحابة والتابعين ، وفى شعر كثير من الشعراء [٢] ومن ذلك قول عدى بن زيد :

وجاعل الشمس مصراً ، لإخفاء له :. بين النهار ، وبين الليل قد فصلا

والمصر بمعنى الحاجز .

ومن ذلك قول أعشى همدان :

بين الأشج وبين قيس باذخ :. بخ بخ لوالده وللمولود [٣]

وقد وردت "بين" فى شعر نزار مضافة لمفرد متعدد غير مكررة ، ومكررة

فما وردت فيه غير مكررة مع العطف قوله :

- لا فرق فى مدن الغبار ... صديقتى .
- ما بين صورة شاعر ... ومقاول .

وقوله :

- هل تطلبون نبذة صغيرة عن أرض قمعستان .
- تلك التى تمتد من شمال أفريقيا
- إلى بلاد تفطستان
- تلك التى تمتد من شواطئ القهر إلى شواطئ
- القتل
- إلى شواطئ السحل إلى شواطئ الأحزان
- وسيفها يمتد بين مدخل الشريان والشريان [٢]
- وقوله :
- وأقول إن نضالنا كذب .
- وأن لا فرق

---

(١) لسان العرب (ب ين)
(٢) السابق
(٣) نفسه
(٤) حـ ١٢١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ما بين السياسة والدعارة!! [1]

وقوله :

- إنها معجزة
- أن تزرع الأزهار
- ما بين حصار وحصار .

وقوله :

- وأقول بأن الله
- سيجمع يوماً ما بين الأرحام [2]

ويقول :

- لا تتركيني نازفاً
- بين القصيدة و القصيدة
- إني تعبت من اللغات
- فعلميني النطق يا لغتي الجديدة
- يا من تخيط قصائدي ثوباً لها
- هل ممكن بين القصيدة والقصيدة
- أن أراك [3]

واستخدم " بين " مضافة إلى متعدد غير معطوف عليها فى مثل :

- يمتد خط " أحمر "
- ما بين برلينين ، بيروتين ، صنعائين
- مكتين ، مصحفين ، قبلتين .
- مذهبيين
- لهجتين
- حارثين [4]

وفى مثل قوله

- أين أنا

---

(١) حـ ٣٢/٦
(٢) حـ ٣٩٤/٧
(٣) حـ ٤-٩٤
(٤) حـ ٩٦/٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ما بين كل شارع وشارع
- قامت بلد
- ما بين كل حائط وحائط
- قامت بلد
- ما بين كل نخلة وظلها
- قامت بلد
- ما بين كل امرأة وطفلها قامت بلد . (١)

واستخدم نزار " بين " مكررة مع العطف كثيراً بنسبة أكثر من استخدامها غير مكررة مع العطف مما يدل على أن ما منعه الحريرى وغيره ليس ممنوعاً بل هو مكرر ، ومستعمل لدى قدامى الأدباء ومتأخريهم ومحدثيهم ومعاصريهم ، ولا يجوز التضييق فيما نحن فى حاجة إلى التوسعة فيه .

وقد استخدم نزار "بين" عند إضافتها للضمير وكررها ، ولم يستخدمها غير مكررة مما يدل على عدم رغبته فى خرق قاعدة الوجوب هنا ، لأن ذلك لم يرد عن العرب ولأن العربية تأباه ، وتنفر منه ، ونزار حريص على استعمال التراكيب التى يحبها الجميع خاصة وعامة .

ومن نماذج استخدامه للظرف "بين" مكرراً مع العطف قوله :

- بلقيس : صعب أن أهاجر من دمى ...
- و أنا المحاصر بين ألسنة اللهب
- وبين السنة الدخان .... (٢)

ومن استخدام " بين" مضافة لمفرد متعدد غير معطوف عليها قول نزار :

- عندما أشرب الكأس الثانية
- أرسم الوطن على شكل امرأة جميلة
- واشنق نفسى بين نهديها . (٣)

واستخدم "بين" مضافة لضمير مكررة عند العطف فى مثل قوله :

- بينى وبينك علاقة حب صعبة
- بينى وبينك لغة لا تزال فى طور التشكيل

---

(١) حـ٦/٩٥
(٢) حـ ٤/١٨١
(٣) حـ ٦/١٢٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكلام لم يتعلم بعد الكلام . (١)

وقوله :

- دخلت الثلاثين منذ شهور :
- ألا بد أن يتدخل شيخ القبيلة
- بيني وبينك ... كي تطمئني (٢)

وقوله :

- ألا تجلسين قليلاً
- وما كان بيني وبينك ، لم يكن نقشاً على وجه ماء .
- ولكنه كان شيئاً كبيراً ... كبيراً ... كهذي السماء (٣)

وقوله قبل ذلك :

- هذا هو التاريخ ... يا بلقيس ..
- كيف يفرق الإنسان
- ما بين الحدائق و المزابل . (٤)

وقوله :

- فالخنجر العربي ليس يقيم فرقاً
- بين أعناق الرجال .
- وبين أعناق النساء . (٥)

ويقول :

- أيتها الشورى
- فتشنا عنك طويلاً
- بين الماء وبين الماء
- بين الرمل وبين الرمل
- بين القتل وبين القتل
- بين قريش وبين قريش
- فوجدنا أنقاض خيول
- ووجدنا أشباه رجال

---

(١) حـ ٨٦٠/٢

(٢) حـ ٧٨٧/٢

(٣) حـ ٧٩٩/٣

(٤) حـ ١٨/٤

(٥) حـ ١٨/٤ ، وانظر حـ ٢٩٨/٦ ، حـ ٤٤٧/٥ ، حـ ٣٩٤/٧ ، حـ ٨٢١/٢ ، حـ ٤٠١/٥ ، حـ ٤٤٥/٥ ، حـ ١٣٩/٥ ، حـ ٤١٣/٥ ، حـ ٤١٤/٥ ، حـ ٥٠٨/٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- العطف :-

- حتى العاطفة :-

حتى العاطفة تفيد أن المعطوف بلغ الغاية فى الزيادة أو النقص بالنسبة للمعطوف عليه .

ويشترط لكى تكون "حتى" عاطفة شروط أربعة :-

١- أن يكون المعطوف بها اسماً - فلا يصح أن يكون فعلاً ولا حرفاً ولا جملة - نحو استخدمت وسائل الانتقال حتى الطيارة " فالطيارة اسم معطوف منصوب ".

ولا يصح : صفحت عن المسئ حتى خجل . وحتى - هنا ابتدائية ، وخجل جملة جديدة .

٢- أن يكون الاسم المعطوف بها اسماً ظاهراً لا ضميراً وصريحاً لامؤولاً ، فلا يجوز اعتبارها حرف عطف فى مثل : انصرف المدعوون حتى أنا .

٣- أن يكون المعطوف بعضاً حقيقياً من المعطوف عليه ، أو شبيهاً بالبعض ، أو بعضاً بالتأويل .

٤- أن تتحقق الغاية الحسية أو المعنوية من العطف وتحقق فائدة جديدة فلا يصح : قرأت الكتب حتى كتاباً . (١)

وقد رفض الكوفيون استخدام " حتى " حرف عطف لأن استعمالها عاطفة أقل من استعمالها جارة (٢) ، ولأن العطف بها يحتاج إلى تحقق شروط حتمية ذكرنا أشهرها وأهمها ، لكن موقف الكوفيين غير مقبول لأن نحو اللغة يقبل الجر بها والعطف بها ، بل إن هذه الشروط التى اشترطها البصريون لنا معها موقف .

فالشرط الثانى ليس ضرورياً ، لأن عطف الضمير بها على الاسم الظاهر قد أجازه فريق من النحاة .

وأجازوا عطفها للمصدر المؤول على اسم صريح . (٣)

وأجازوا أيضاً استعمالها فى عطف الجمل .

أما نزار قبانى فقد استخدمها عاطفة وجعل المعطوف عليه بها محذوفاً ، جاء ذلك فى مثل قوله :

- كلِ نهارِ

---

(١) النحو الوافى حـ ٣/٥٨٠

(٢)

(٣) حـ النحو الوافى حـ ٣/٥٨١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أكتب للحرية شعراً .
- يمنعه حتى الأحرار . [1]

فقوله : يمنعه حتى الأحرار .

تكون " حتى " عاطفة ، والأحرار اسم معطوف مرفوع والمعطوف عليه – الفاعل – محذوف ، أى : يمنعه الكثيرون حتى الأحرار .

وقد ورد ذكر شئ قريب من هذا فى المعنى عند التعليق على قول الفرزدق :

فوا عجبياً !! حتى كليب تسبنى :. كأن أباها نهشل أو مجاشع

قال أبن هشام : لابد من تقدير محذوف قبل "حتى" فى هذا البيت يكون ما بعد حتى غاية له ، أى : فوا عجباً : يسبنى الناس حتى كليب تسبنى . أ. هـ .[2]

على أن العطف بحتى فى عربيتنا المعاصرة ليس قليلاً ، و دونك الصحف و المجلات

و الكتب لتنظر فى أمثلتها الكثيرة. و قد تفرع عن هذا العطف عطفُ حتى على غير مذكور سابق فى الجملة مثل :

لم يستطيعوا حتى شراء ملابس لأولادهم .

لم تعد تحقق حتى النجاح المادى .

لا تقدم منها لا حتى سبحةً هديةً .

و هذا النوع الأخير كثير فى العربية الفصحى المعاصرة لكنه منعدم فى عربية عصر الاحتجاج لذلك كان طبيعياً أن يتعرض النحاة له ، سواء كانوا متقدمين أم متأخرين . فأما المتقدمون فمعلوم أنهم لا يصفون ظاهرة لم يجدوها أمامهم . و أما المتأخرون فلم يصفوا مادة لغوية جديدة . بل قصروا جهدهم على تنظيم أحكام النحاة القدماء ، و تهذيب مصطلحاتهم .

و نحن إنما تعلمنا قواعد الفصحى التى وقفت عند حدود عام ١٥٠ هـ ، فترتب على ذلك أن بعض الباحثين إذا وقف على ظاهرة نحوية فى الفصحى الحديثة لم يجد لها ذكراً عند القدماء، عدّ ذلك من قبيل تأثير الترجمة عن اللغات الأوربية الحديثة فى العربية المعاصرة ، بطريق مباشر أو غير مباشر. فكأن العربية لا تتطور ذاتياً – بالمعنى العلمى المحايد للتطور – بل بحاجة إلى مصدر أجنبى حتى تتغير ، و مما نحن بصدده

---

(١) حـ

(٢) المغني اللبيب حـ ٣٨٠/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بشـــأن هذه الظاهرة أن باحثاً رائداً فى دراسة الفصحى المعاصرة وقف على جمل مثل _(لـــم يقبلوا حتى الصمت)فعلق عيها بقوله (و قد شاع استخدام " حتى " على النحو السابق بتأثير اللغات الأجنبية، فهى تقابل فى المثال السابق كلمة even فى الإنجليزية).

و نحـــن مـــع تسليمنا بوجود تشابه بين اللغات المختلفة سواء كانت من أرومة واحدة أو مختلفة – لا نرد هذا التشابه بالذات إلى التأثر بالإنكليزية بل نقول أن ظاهرة العطـــف بحـــتى على غير مذكور موجودة فى الفصحى شعراً و نثراً منذ القرن الثالث الهجرى على الأقل ، و النص الذى يلغى الاجتهاد سيكون هو الحكم .

و نـــبدأ فـــى مـــتابعة هـــذه الظاهرة فى العربية الفصحى المشتركة بين عصر الاحتجاج باللغة ، فنجدها عند الشاعر الأندلسى يحيى بن الحكم الغزال (ت ٢٥٥ هـــ) قال :

أرى أهل اليسار إذا توفّوا * بنوا تلك الـــمقابـــر بالصخور

أبوا إلاّ مبـــاهاة و فخراً * علي الفـــقراء حتى فى القبور

ففـــى البيت الثانى نرى أن البنية العميقة له : أبوا إلا مباهاة و فخراً على الفقراء فى كل شـــىء حتى فى القبور . و يصح أن تكون: أبوا إلا مباهاة و فخراً على الفقراء فى كل شىء و منها القبور .

ثـــم نجـــد الظاهرة عند عريب بن سعد القرطبى (ت بعد ٣٣١ هـــ : " و قيل لصـــاحب الـــدار اكتـــب جميع ما ذهب منك ، ' فكتب حتى المكنسة و المقدحة " البنية العميقة للجملة الأخيرة : فكتب كل شىء حتى المكنسة و المقدحة .

و سنكتفى من الآم بعرض الشواهد المختلفة على ظاهرة العطف بحتى على غير مذكور فى الجملة فى بنيتها السطحية ، و لكنها مفهومة من البنية العميقة عند قارئ هذه الشواهد .

فنجد هذه الظاهرة فى شعر أبى الطيب المتنبى (٣٥٤ هـــ) ، منها :

" فجاز له حتى على الشمس حكمه * و بان له حتى على البدر ميسم "

و يقول الشارح : (ظهر اسمه على كل شئ حتى على البدر)

و قد أحسن الشارح فى بيان هذه الظاهرة لكنه نسى أيضاً أن بنية الشطر الأول العميق تعنى : فجاز له حكمه على كل شئ حتى على الشمس .

و من شعر المتنبى أيضاً :

(كتمت حبك حتى عنك تكرمةُ *ثم استوى فيك إسرارى و إعلانى)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و يشـــرح ابن سيدة البيت بما يوضح العطف غير المذكور ، فيقول : (أى كتمت حبى عـــن الأنـــام حـــتى عنك ، و إنما كان كتمانه تكرمة لك ، ثم غلبنى فاستوى سرى و جهرى، أى اظهرت منه مثل ما كتمت)

كذلك نجد هذه الظاهرة فى شعر محمود حسين الشهير بكشاجم (ت ٣٦٠ هـــ) :

(لـــقد بـــخلت حتى بطيف مسلم علىَّ ، و قالت رحمة و لنحيبى :

أخـــاف على طيفى إذا جاء طارقاً و سادكَ أن يلقاه طيف رقيبى)

ثـــم نجدهـــا عند المحسن التنوخى (ت ٣٨٤ هـــ) : " و لكن الطباع خستّ حتى فى الحسد "

و نجد هذه الظاهرة عند ابن سينا (ت ٤٢٨ هـــ) فى مواضع متفرقة من القانون ، و مـــنها حديثه عن الطفل : (فإذا كانت بنيته غير متناسقة كان رديئاً حتى فى فهمه و عقله)

و فى حديثه عن خواص نبات الإذخر : (دهنه يشفى من الحكة حتى فى البهائم)

و فـــى حديثه عن ضرورة معرفة الطبيب المباشرة : (فلا يحكم جرزماً حتى فى النبض أيضاً)

و نجد الظاهرة عند العميدى فى حديثه عن المتنبى (ت ٤٤٣ هـــ) :

(و لـــولا أنه كان يجحد فضل من تقدمه من الشعراء و ينكر حتى أسماءهم حتى فى محافل الرؤساء . .)

ثـــم نجدها فى شعر أحمد بن يوسف المنازى (ت ٤٣٧ هـــ) مادحاً وواصفاً دوحةً :

(نفى حتى الذباب الخضرَ منها ذباب من حسامك ذو اخضرار)

بعد ذلك نجد الظاهرة عند أبى العلاء المعرى (ت ٤٤٩ هـــ) يشرح بيتاً للمتنبى :

(ما زلت أطلب العفاف حتى فى حال الخلوة مع الرقيب) كذلك نجدها فى لزومياته :

و قد كذبوا حتى على الشمس أنها تهان إذا حان الشروق و تُضربُ

و نجدهـــا عند بن رشيق (ت ٤٥٦ هـــ) : (كانت العرب لا تتكسب بالشعر و فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجراً . و قصد حتى ملك العجم)

و نجدهـــا عـــند عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧٤ هـــ) : (. . . و لذلك تجد الشىء يلتبس منه حتى على أهل المعرفة)

و نجدها عند نصر الله بن قلاقس الاسكندرى (ت ٥٦٧ هـــ) :

(و الخط حتى فى الحروفِ مؤثرٌ يختص بالترقيق و التفخيم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم نجد الظاهرة فى شعر أحمد بن عيسى الهاشمى (ت٥٩٣ هـ) :

(لم أكتحل فى صباح يومٍ أهـريق فـيه دم الحـسين

إلا لحزنى ، و ذلك أنـى سودت حتى بياض عينى)

و فى أول القرن الهجرى السابع نجدها عند كمال الدين الفارسى :

(و ذلك غير مضر حتى فى الحسبانات)

ثم نجدها فى تاريخ بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) :

(فأخذهم البربر و ذبحوهم حتى النساء و الصبيان)

(و قتلوا منهم خلقاً كثيراً حتى عند الضريح)

(و قدّمه حتى على أنفاسه)

ثم نجدها عند الوزير بن شداد (ت ٦٢٣ هـ) :

(و كان للمسلمين لصوص يدخلون إى خيام العدو فيسرقون منهم حتى الرجال)

ثم نجدها فى شعر البهاء زهير (ت ٦٥٦ هـ) ؛ و منها :

(و استـهـلـك الـبيع حتى طـراحـتـى و لـحافى)

(سجدت له حتى العيون مهابة أو ما تراها حين يقبلُ تطرقُ)

(ومن أجله أضحى المقطم شامخاً ينافسُ حتى طور سينا فى القدر)

و نجد عند الشاعر ابن باتكين أحد المتوفين فى أول القرن الثامن ، يهجو القاضى ابن بنت الأعزّ ، ساخراً من اسمه :

(لا تعجبوا كثرة إسقاطه فإنه أسقط حتى أباه)

و نجد هذه الظاهرة فى شعر احمد بن أبى عَزَفَةَ (ت ٧٠٨ هـ) :

(و حملت من حُبّك ما لو حُمِّلَتْ شـم الجبـال أخفها لم تحمل

من حيف دهر بالحوادث مقدم حتى على غيل الهزبر الشُبل)

و نجدها كذلك عند ابن الطقطقى (ت ٧٠٩ هـ) و منها : (و قد كان الملوك يبالغون فى إقامة الهيبة و الناموس ، حتى بارتباط الأسود و الفيلة و النمور)

و فى موضع آخر يقول : (و خفى ذلك حتى على الصاحب علاء الدين)

ثم نجدها فى شعرمحمد بن دنيال الكحّال (ت ٧١٠ هـ) يصف برذونمه المتعب :

(يجفل حتى من الشعير فما يذوق قضما إلا مع الغلس)

كذلك نجدها فى شعر صفى الدين الحلى (ت ٧٥٠ هـ) :

(و أعرضت عن طيب الهناء لأننى نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كذلك نجدها فى المؤلفات المختلفة للأديب المؤرخ صلاح الدين الصفدى (ت ٧٦٤ هـ) ، فمت ذلك ما جاء فى حديثه عن تقديم السمع على البصر فى القرآن الكريم : (قدّم السمع على البصر حتى فى قوله تعالى (صمّ بكم عمىً)، فقدم متعلّق السمع على متعلق العين)

وفى كتابة الوافى تكرر ، و من ذلك : (رأيت له عدة تصانيف حتى فى الأطعمة)

و (وله أشياء من مراعاة الإعراب فى لفظة حتى مع النساء)

كذلك وردت عند ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) : (و فرضت المغارم على الحُجّاج)

و تكررت هذه الظاهرة عند الحافظ بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) . و منها :

(و كان يؤثر على نفسه حتى بقميصه)

(فوجدوا الماء جليداً حتى فى القرب و الزمزميات)

بعد ذلك نجدها فى تاريخ ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ) ، و منها (و أخذوا حتى رخام بيته)

و منها : (و لعبت مماليك السلطان بالرمح بين يديه مخاصمة ، و لعّب حتى المعلمين)

ثم نجدها عند الشاعر محمد بن عبد الكريم البسطى (ت ٨٩٠ هـ):

(فأذهل الناس حتى عن مراشدها و استقبلتنى به الأشجان و الغير)

ثم نجد الظاهرة عند النهروانى (ت ٩٩٠ هـ) الذى أرخ للفتح العثمانى لليمن .

ففى حديثة عن والى جدة يمدحه قائلاً : (.....أو أشار إلى الليل البهيم لانجاب ، مع عفاف حتى عن الطيف)

وفى حديث عن أحد المقاولين الترك من اليمين واليسار والقلب ، ومنع حتى الطائر أن يطير)

وهى موجودة عند المقرى (ت ١٠٤١) ومن ذلك :

(و رعى الله من بان ، و شاق حتى الرند و البان)

(و صار ملوك الطوائف يتباهون فى أحوال المُلك حتى فى الألقاب)

و هى موجودة عند الجبرتى (ت ١٢٣٧ هـ) مؤرخ الحملة الفرنسية و أول أيام محمد على باشا فى مصر ، و منها: (و إذا هم بالخير أو عمل به أدخل الله الركة على أهل مملكته حتى فى التجارات و الزراعات)

و نجد الظاهرة فى أقوم المسالك الذى ألفه خير الدين التونسى علم ١٨٦٧ م:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(كما أشرت إلى ما كانت عليه أمة الإسلام المشهود لها حتى من مؤرخى أوربا الأعيان بسابقية التقدم فى مضمارى العرفان و العمران)

ثم نجد حتى العاطفة على غير مذكور عند الكواكبى (ت ١٩٠٢ م) :

(كادت تجعل الغربيين أدرى منا حتى فى مبانى ديننا)

ثم تجد الظاهرة عند الشيخ محمد عبده (ت ١٩٠٥ م) فى حديثه عن أهل البيت :

(يعيش فيه كل منهما و قلبه ملآن بعيوب الآخر ، و تبدو فيه المناقشات و المخاصمات فى كل آن بسبب و بغير سبب ، فى الصباح و فى المساء حتى فى الفراش)

و هذه الظاهرة موجودة عند عباس محمود العقاد فى أكثر من مؤلف ، و من ذلك :

(مثلهم فى ذلك مثل السوائم و الأوابد فى حريتها ، فإن لا تفعل ما تريد علوا عن رقبة الأوهام و نبواً عن أحكام التقاليد ، بل لخلوها من قابلية التقيد حتى بالأوهام الباطلة)

(. . . فإن من أصحاب المظاهر و الأبهة من يترفع عن البكاء و يتكلف الجلد و السكون حتى فى الفجائع الفادحة)

(بل هو لم يكن ممثلاً حتى للثورة العرابية التى كان زعيماً من زعمائها)

ثم نجد الظاهرة عند أمين الريحانى فى الكتاب الذى تحدث فيه عن حكام الجزيرة العربية [صدر أول مرة عام ١٩٢٤ م] ؛ و منها : البساطة لتدنو فى القصر من التقشف ، فتبدو فى السجاد العادى ، و كراسى الخيزران و الدوواوين المغطاة بقماش من القطن ، و الجدران العارية حتى من الآيات)

ثم نجدها عند توفيق الحكيم : (فأنا لم أحاول عقد صلات حتى مع من كان يجب أن أتصل بهم من أدباء وفنانين)

ثم نجدها عند المؤرخ الأدبى الكبير شوقى ضيف : (وهذا كله هزل ودعابة ودليل على أن المصريين لم ينسوا حتى فى عصور الظلام ما طبعوا عليه من التندر والفكاهة)

ثم نجدها عند الفقيه اللغوى صبحى الصالح : (إن لك أن تقدر جسامة الخطأ الذى وقع فيه بروكلمان حين أطلق القول بأن اللغات السامية تخلوا من الصياغة التركيبية ، شاملاً بحكمه هذا حتى العربية)

ونجدها عند المؤرخ الأدبى محمد زغلول سلاّم فى أكثر من كتاب ، ومنها :

(ولم يسلم حتى الشعراء ، من استخدام المصطلح)

واشتهر بروحة المرحة وسخريته الضاحكة حتى فى مجالس السلاطين)

ونجدها عند القصصى يحى حقي : (ستبقى نظراته منكسرة حتى أمام جيرانه)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثـم نجدها عند الناقد الأدبى الكبير شكرى عياد : (ولكن الشاعر العبقرى يصنع الجمال حتى من القبح)

كذلـك نجدهـا عند تلميذه الناقد عبد الحكيم راضى : (هل ذلك هو سلوك الرجل الذى يرفض شعر الإسلاميين حتى فى مجال الاحتجاج اللغوى)

ثـم نجدها عند القانونى حسن الزين : (....عندما ظهرت تصرفات الوالى الجديد وما حملت من مخالفات مسّت حتى جوهر العقيدة ، بما عبرت عنه من فسق وفجور)

ونختـتم جملة هذه الشواهد على الظاهرة الشائعة فى كل صحيفة ومجلة وكتاب بما جاؤ عـند المفكر محمد عمارة : (....بل هم مأمورون بتعميم العدل حتى على الأعداء وهم يكرهون)

وهكذا رأينا ظاهرة العطف بحتى قليلة فى عصر الاحتجاج باللغة ، ولم نعثر فى كتابات هـذا العصر على شاهد للعطف على غير مذكور ، ثم لاحظنا بعد عصر الاحتجاج أن هذه الظاهرة بدأت تبرز شيئاً فشيئاً عند كثير من المؤلفين فى شتى فنون التأليف فى كل القرون السابقة على قرننا ، وهى ألان ليست بالظاهرة القليلة الورود ، بل هى شائعة لا يكاد ينجو من استخدامها أحد .

لذلك نظرت لجنة الأصول التابعة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة فى دورة المؤتمر الثالثة والأربعين (٧ / ٣ / ١٩٧٧) ، فى تعبيرات مثل :

أ – الهزيمة تهدد إسرائيل ، يعترف بذلك حتى المتعاطفون معها .

ب – مجلس الأمن ينعقد وينفضّ دون أن يعرض عليه حتى مشروع قرار

ج – لم يقرأ حتى الصحف .

د – لم ينجح فى أن يكون حتى عضواً فى مجلس القرية .

هـ – ترك الخلاف أثره حتى على العلاقات الثقافية بين البلدين .

ورأت اللجنة أن حتى فى الأمثلة السابقة عاطفة والمعطوف عليه محذوف من المقام .

ولسنا فى حاجة للقول بأن هذه الظاهرة عريقة فى العربية ، كما هو واضح من الشواهد الكثيرة التى أوردناها ، وبذلك يسقط القول باستيراد هذه الظاهرة من اللغة الإنكليزية عن طـريق الترجمة . راجع فى ذلك بحثا بعنوان (حتى العاطفة على غير مذكور للدكتور عـباس علـى السوسـوة) مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى العدد ٦٣ السنة السادسة والعشرون شوال ١٤٢٣ هـ من ص١٧٢ : ١٨٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتى الابتدائية :

- أما قول نزار :
- حتى الطيور تفر من وطنى
- حتى الدفاتر والكتب
- وجميع أشياء الجمال
- جميعها ضد العرب [1]

فـ حتى هنا ابتدائية ، وما بعدها جملة أسمية مكونة من مبتدأ وخبر .

العطف : عطف النسق :-

- حتى : من حروف العطف بشروط معينة

وقد تحدثنا أنها تعطف اسماً على اسم ، لكنها لا تكون عاطفة إذا جاء بعدها جملة اسمية أو فعلية فعلها ما من وتكون فى هذه الحال ابتدائية ، ومن ذلك

قول نزار :

- وشجعت نهديك فاستكبرا .
- على الله ... حتى فلم .. تسجدا . [2]

فحتى هنا ابتدائية - بناء على هذا الرأى - ويمكن تقدير جملة بعد " حتى " تفهم من قوله: فلم يسجدا " وهو قولنا :

حتى [تمردا] فلم يسجدا . وهى جملة ما ضوية حقيقية ، وجملة فلم يسجدا " ما ضوية حكماً .

---

(1) حـ ٦٢/٤

(2) حـ ٢٥/٢٤/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- المضارع :-

- زمن المضارع :

المعروف أن زمن المضارع هو الدلالة على حدث يحدث الآن وقد يستمر للمستقبل ، ولكن هذا الزمن يتغير إلى المضى إذا دخلت على المضارع لم " لما " مثل : لم يذاكر محمد ... فزمن المضارع هنا هو الماضى المنفى أى : ما ذاكر محمد وهذا الأسلوب يمكن إعادته إلى زمنه المضارع مرة أخرى إذا أوجدنا فى الجملة عناصر لفظية إضافية مثل قول شوقى :

يا سلاح العصر بشرنا به :. كل عصر ، بكمى وسلاح

إن عزاً لم يظلل فى غد :. بجناحيك ذليل مستباح

ففى البيت الثانى ترى أن شوقى لم يقبل بقول النجاة إن "لم" تنفى المضارع وتحول زمنه إلى المضى المنفى واستعمل الجار والمجرور " فى غد " لم يجعل هذا النفى للزمن المستقبل ، وليس للزمن الماضى . (١)

فهل هذا يعد تجديداً من شوقى فى أساليب صياغة زمن الجملة العربية، وهل هذا مباح لدى مجامع اللغة العربية ، فتقر القياس عليه .؟

الحقيقة أن القياس " فى الأساليب أقل حظاً من اهتمامات المجمع من القياس فى الألفاظ وكان ينبغى أن نولى الأساليب عناية أكثر بل ينبغى أن تنشط لجنة الألفاظ والأساليب أكثر وأكثر ويظهر نتاجها أكثر وأكثر ، وينبغى على المجمع أن يأخذ حقه فى نشر قراراته ، وإعلام الناس بها تباعاً وبصفة مستمرة وثابتة .

إن ظروف الحياة ، والتقدم العلمى فى شتى مجالات الحياة واتصال الشعوب بعضها ببعض ينتج كثيراً من الألفاظ والأساليب التى تتسلل إلى لغتنا كثيراً وبصفة يومية، وهذا يحتم علينا مسابقة الزمن فى إقرار كثير من الألفاظ ، والأساليب وإيجاد الوسيلة المناسبة التى تجعل لها مكاناً فى لغتنا .

ويبدو أن شوقى لم يكن وحده من بين هؤلاء الشعراء الذين يجددون فى أساليبهم بل لحقه نزار قبانى الذى أصطنع أسلوباً محيراً وغريباً لزمن المضارع ليجعله أمراً مستحيلاً ، وكأنه طرفه مملوءة بالسخرية ، والتهكم .

استمع إليه وهو يقول :

- إن كان لا يمكنك الحضور يا حبيبتى

---

(١) من أسرار اللغة - إبراهيم أنيس ص١٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- لأى عذر طارئ .
- سأكتفى بالرائحة .
- إن كان لا يمكن أن تأتى غداً
- لموعدى
- إذن .... تعالى البارحة . (١)

ويقول فى قصيدة أخرى :

- ويمنحنى ثغرها موعداً
- فيخضر فى شفتيها الصدى
- وأين القرار ؟ سبق الزمان
- سبقت المكان ... سبقت غداً (٢)

إن القصـــيدة الأولى تحمل – حقيقة – زمناً محيراً غير مفهوم ، لا يعرف له تحديد، فما زمـــن الفعـــل : " تعالى البارحة " وما زمن الفعل " لم يظلل فى غد"؟ ربما يكون كلام شوقى " لم يظل فى غدِ " أمراً مقبولاً وله وجه فى الكلام حيث نقول إن المضارع الآن نفيه منصرف للاستقبال بعد ما كان نفيه خاصاً بالماضى .

أما قول نزار " تعالى البارحة " فهو أسلوب محير من حيث الصنعة ، لكن علوم البلاغة ذات الصـــلة الوثـــيقة بعلم النحو قد تجد له تخريجاً مريحاً حيث يمكن القول إن هذا أمر تهكمـــى ، يقرر فيه نزار عدم قدرة محبوبته على المجئ ، وعدم قدرتها على الوفاء له بوعدها لعدم صدقها ، واستحالة تحقيقها لما يريد و...و...

---

(١) حـ ٧٥٩/٢

(٢) حـ ٢٤/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الإضافة :

- حذف المضاف :-

أجاز النحاة - رحمهم الله - حذف المضاف بشرطين :

أن يكون المضاف المحذوف معطوفاً على كلمة مضافة مذكورة تماثله لفظاً، ومعنى فقط، أو تقابله ، ليكون دليلاً عليه بعد حذفه .

- وأن يكون حرف العطف متصلاً بالمضاف إليه الذي حذف قبله المضاف أو منفصلاً منه بـ لا النافية إن اقتضاها المعنى ، نحو كل فتى محاسب على عمله ، وفتاة على عملها أى : وكل فتاة ، فحذفت كلمة " كل " الثانية ، وهى المضاف . بعد أن تحقق شرطا الحذف وهما الاتصال ، وعطفها على نظيرتها فى اللفظ والمعنى " وهى كل الأولى كما فى قول الشاعر !

أكل امرئ تحسبين امرأ :. ونار توقد بالليل ناراً

أى : وكل نار ، ومما ورد فيه الفصل بـ لا النافية :

ولم أر مثل ، الخير يتركه الفتى :. ولا الشر يأتيه امرؤ وهو طائع

أى : ولا مثل الشر ، وقولهم : ما كل سوداء فحمه ولا بيضاء شحمه ، أى : ولا كل بيضاء شحمة "

لكن بعض النحاة يرى عدم اشتراط مثل هذه الشروط وبخاصة شرط الاتصال، أو المماثلة وقد ورد ذلك فى قوله سبحانه - على قراءة - تريدون خير الآخرة .

ومن المفيد ذكر كون المضاف إليه الباقى صالحاً لأن يحل محل المضاف المحذوف .

فماذا عند نزار قباني حول قضية حذف المضاف وبقاء المضاف إليه مجروراً ؟

الحقيقة أن نزاراً لم يخرج عما قرره النحاة فى هذه المسألة الدقيقة ، لكننا لا نستطيع الجزم بأنه التزم بشروطهم التزاماً كاملاً وبخاصة فى مسألة المماثلة لأن المحذوف فى قول نزار الآتي يمكن تقديره مماثلاً للمضاف المحذوف ، ويمكن تقديره غير مماثل .

ونرى ذلك فى قوله :-

- أنا الذى أسقطت ألف دولة ودولة

أى ألف دولة وألف دولة ، أو مائة دولة ، ومليون ... وكل ذلك وارد ويحتمله السياق الذى وردت فيه هذه العبارة فى قوله :

- لا تسألنى من أنا ؟

- وما الذى أفعله ؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- كى أتحدى الموت والزمان
- أنا الذى أسقطت ألف دولة ودولة .
- لكى أقيم دولة الإنسان . (١)

البدل المحول عن نعت :-

أو تقديم النعت على المنعوت :-

- لم يهمل النحاة رحمهم الله قضية تقديم النعت على المنعوت، لإدراكهم أن ذلك قد يجئ فى الأساليب العربية ، لكنهم نصوا على أن ذلك إن حدث فيجب عنده تغيير مسمى النعت والمنعوت إلى بدل ومبدل منه ، لأنه إذا تقدم النعت على المنعوت وجب تغيير مسماة فيصبح النعت مبدلاً منه ويصبح المنعوت بدلاً مثل :-

○ استعنت بمحمد الماهر	استعنت بالماهر محمد
موصوف صفة	مبدل منه بدل

نص على ذلك الشيخ ياسين فى حاشيته على المغنى ونص غيره أيضاً على ذلك هذا إن كان النعت والمنعوت معرفتين أما إن كانا نكرتين وتقدم النعت على المنعوت مثل :

استعنت برجل كريم استعنت بكريم رجل تصبح كلمة رجل هنا عطف بيان

- وإذا كان النعت مشتقاً أعرب حالاً عند تقدمه على منعوته مثل :

أينع زهر رائع ، وفاح عطر جميل نقول :-

أينع رائعاً زهر – وفاح جميلاً عطر .

هذا موجز ما عند النحاة حول تقدم النعت على المنعوت أو الصفة على الموصوف ، وهو موضوع لم ينشغل به كثير منهم ، وانشغل به المحققون من النحاة قدامى ومحدثين، ممن يدركون طبيعة اللغة ، وخصائصها الأساسية ، وهى الميل إلى التغير والتحرك .

وكادت قضية تقديم النعت على المنعوت وإعرابه بدلاً تموت ، لكن نزار قبانى لم يرد لها أن تموت وأبت شاعريته لها الموت وأبت ثقافته التراثية الأصيلة ، والمعاصرة الشاملة لها أن تندثر فيجرى على لسانه تقديم النعت المعرفة على المنعوت المعرفة ليتحول الأسلوب من باب النعت إلى باب البدل أو عطف البيان ومن ذلك قوله :

- يا من يعيد كراريس ... ومدرستى .

---

(١) حـ ٢٠١/٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- والقمح ، واللوز ، والزرق المواويلا
- يا شام ، إن كنت أخفى ما أكابده
- فأجمل الحب ، حب – بعد – ما قبلا ... [1]

فقدم لفظة "الزرق" على لفظة " المواويلا" فأصبحت لفظة "الزرق" هنا تعرب "بدلاً منه" وهى معطوفة على المفعول المنصوب قبلها ، وتعرب كلمة " المواويلا" هنا "بدلاً منصوباً أو عطف بيان منصوباً .

(1) مواويل ومشقيه حـ ٣/٥٢٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حروف الجر

تحدث النحاة عن حروف الربط ، تلكم الحروف التى تربط بين الذات والمعنى ، أو بين الاسم والفعل ظاهراً أو مقدراً ومن هذه الحروف حروف الجر : من – إلى – عن – على ... (١)إلخ . وقد أوصلها بعض النحاة إلى عشرين حرفاً ، وزاد سيبويه " لولا" لجر الضمير فقط فأصبحت واحداً وعشرين حرفاً (٢) وزاد آخرون مع " ساكنه العين (٣) فأصبحت اثنين وعشرين حرفاً يستعمل بعضها زائد وأصلياً ، وبعضا يستعمل أصلياً فقط ، وبعضها يستعمل شبيهاً بالزائد فقط وعند مراجعة أمثلة وشواهد النحاة الخاصة بعمل هذه الحروف فى هذه الاستعمالات وجدنا بعضاً من الأمثلة الميتة التى ليست ذات استعمال حقيقى على الإطلاق فمثلاً : مات استعمال الحرف " متى " حرف جر منذ ولادته ، ومات معه مثاله ، أخرجها متى كمه (٤) أى : من كمه ، لأن الدليل على قوة القاعدة على هذه الشواهد باستعمالها حيناً من الزمان على الأقل لكننا لم نرث لهذا الاستعمال أى نظير يقويه ، وينتشر معه . تدفعنا إلى الحكم بسلامته ،لأن كثرة الاستعمال تعد أساساً قوياً فى قبول كثير من القواعد التى لم تنل حظاً من الشواهد الكثيرة .

واستمر الحرف التاء فى اللغة التراثية وكذلك الواو مقصوراً على استعماله فى أسلوب القسم ، وكذلك الباء فى بعض استعمالاتها . إلا أن الباء فى القسم أكثر استعمالاً فى اللغة المعاصرة من التاء .

وكذا " لولا " أنحصر جرها للضمير فقط فى اللغة التراثية والمعاصرة وكذلك "حتى " الجارة ، لا نرى لها أمثلة حية :. باستثناء استعمالاتها القرآنية فى قوله سبحانه : " سلام هى حتى مطلع الفجر " وهى هنا بمعنى إلى وباستثناء تقدير جرها للمصدر المؤول المكون من أن المضمرة بعدها وجوباً عند دخولها على المضارع وتوافر شروط نصبها له . مثل : سأنتظر حتى تزورنا غداً "أى" : إلى أن ، ومات استعمالها جارة للضمير الذى ورد فى قول الشاعر :

فلا والله لا يلفى أناس :. فتى حتاك يا ابن أبى زياد .

ومات استعمال "رب" جارة محذوفة بعد "الواو " والفاء " وبل"

---

(١) شرح ابن عقيل ج ٣ص ٧
(٢) السابق ج ٣ ص ٧٠
(٣) نفسه ٢١/٣
(٤) نفسه ٣ /٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما الحرف " لعل" فقد مات استعماله حرف جر ومات معه شاهده الموروث :

فقلت ادع أخرى وأرفع الصوت جهرة * لعل أبى المغوار منك قريب

حيث يرى بعض النحاة أن " لعل "هنا حرف جر ولفظة " أبى " بعدها اسم مجرور بالكسرة المقدرة منع من ظهورها حركة ياء المتكلم .

ولست أدرى سبباً يدعو إلى مثل الانحراف فى استعمال "لعل" حرف جر بدلاً من استعمالها ناسخة مع انها تفيد الرجاء على كل حال .

فهل كان هذا الانحراف فى الاستعمال يمهد لجواز مجئ الاسم الذى بعد لعل مجروراً أو منصوباً ، لأن المعنى على أى حال لن يتأثر كثيراً ، لأن دلالتها على الرجاء حاصلة سواء كانت حرف جر أم حرفاً ناسخاً .

أما معانى هذه الحروف فقد ماتت بعض من الاستعمالات التى قررها النحاة نتيجة ورودها فى شاهد أو شاهدين لكل معنى لهذا الحرف أو ذلك ، ولقد أكثر النحاة من الحديث عن تبادل حروف الجر معانى بعضها ، فالمعنى الواحد يؤدى بأكثر من حرف فمثلاً الظرفية تؤدى أصلاً بـ "فى" لكنها يمكن أن وتؤدى بـ " عن " و" على " و" الباء " و" إلى " ... إلخ

وهكذا بقية الحروف الأخرى ، مما يجعلنا نحكم على هذه المعانى بأنها ليست للحرف بقدر كونها إما خاصة باستعمال نص معين وإما أن هذه المعانى تولدت من السياق ، أو أن هذا يرجع إلى ضعف اللغة العربية التى لم تأت لكل حرف بمعنى خاص به ، أو لم تأت لكل معنى بالحرف الذى يؤدى به ، أو يكون ذلك دليلاً على ثراء اللغة وتعدد معانى ألفاظها ...

ومات استعمال الكاف حرف جر بجر الضمير مثل " كه " "كهو " برغم وصف النحاة قديماً له بالشذوذ ، كشذوذ جر "رب" للضمير وكلاهما استعمال ميت ، منذ تبويب النحويين لهما ولأمثلتهما . (١)

أما الحرف " مع " أو اللفظ " مع" فقد اضطربت حوله آراء النحاة اضطراباً غريباً . فجمهور النحاة على أنه ظرف زمان منصوب غالباً – أو حال منصوب فى مواضع محددة لكن بعض النحاة قدامى ومحدثين – نصوا على أنه حرف جر، وبخاصة عند تسكين عينه ليصبح "مع" حيث يدل على المصاحبة ، ويجر الظاهر والمضمر (٢)، لكن

---

(١) شرح ابن عقيل ٣٤/٣

(٢) الكتاب لسيبويه ٤/ ٢٢٦ ، وشرح المفصل ١٢٨/٢ ، والخصائص ٣٠٩/٢ والمغني ٣٣٣/١ والمرادي ص٩٨ وابن عقيل ٣ /٤ والكليات ص ٨٣٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يلفت النظر فى هذا الباب أن هناك معانى كثيرة ، جئ بها لبعض الحروف أيضاً من خلال شاهد ، أو مثال أو مثالين ، ومات هذا المعنى لهذا الحرف فلم يعد يستعمل هذا المعنى لهذا الحرف لا فى نتاج أدبى ولا غيره . فمثلاً الحرف "عن" قيل إنه يكون بمعنى الباء وإلا ومفيداً للاستعانة مثل : رميت عن القوس " أى بالقوس " [١] وهذا استعمال ميت قديماً وحديثاً ومثل دلالتها أيضاً على الظرفية مثل :

الزعيم لا يكون عن حمل الأعباء الثقال وانياً "

أى : فى حمل الأعباء الثقال واني دلالاتها فهذه استعمالات ميتة منذ ولادتها.

أضف إلى ذلك استعمالات القرآن الكريم حروف الجر فى معانى أصبحت مقصورة على القرآن الكريم تقريباً فقط كأنه استعمال قد انفرد به القرآن ، ومات فى غيره من الكلام . فمثلاً استعمال " الباء " فى معنى "عن" جاء ذلك فى قوله سبحانه " فاسأل به خبيراً " أى: فأسأل عنه " وقوله سبحانه : سأل سائل بعذاب واقع "[٢] أى : عن عذاب .

واستعمال الحرف "عن" بمعنى "من" مثل قوله سبحانه : وهو الذى يقبل التوبة عن عبادة " أى : من عباده . [٣]

واستعمال الباء بمعنى "من" فى قوله سبحانه "عيناً يشرب بها المقربون " أى : منها،[٤] فكل هذه الاستعمالات لهذه الحروف فى هذه المعانى المشار إليها آنفاً، استعمالات قرآنية ليست مستعملة إلا فى القرآن الكريم وتكاد تكون ميته فى غير القرآن الكريم من نصوص . واستعمال "إلى" بمعنى "مع" كما فى

قوله سبحانه من أنصارى إلى الله " أى مع الله . [٥]

واستعمال "من" بمعنى "عن" كما فى قوله سبحانه ، قد كنا فى غفلة من هذا "أى" عن هذا. [٦]

واستعمال "من" بمعنى "على" كما فى قوله سبحانه : ونصرناه من القوم الذين كذبوا " أى " على القوم " .

واستعمال "من" جارة فى القسم مثل من الله لأفعلن كذا " [٧]

---

(١) شرح ابن عقيل ٣/ ٢٣١

(٢) سورة المعارج ١ ويراجع ابن عقيل ٣ /٢٣١

(٣) أوضح المسالك ٢ / ١١٧- ١٤٧

(٤) السابق

(٥) السابق

(٦) نفس المرجع

(٧) السابق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واستعمال رُبَّ "بمعنى " من" فى قولهم عن الرسول الكريم " إنه كان مما يحرك لسانه وشفتيه أى : ربما يحرك ... وذلك عند معالجته للتنزيل

وبرغم البحوث الكثيرة العميقة التى قيلت حول هذا الاستعمال لتحكم بصحته وبرغم أننا نحكم بصحته أيضاً ، لكننا نرى أنه استعمال ميت فى غير هذا النص المقدس المعجز.(١)

ومما تجدر الإشارة إليه أن مسألة موت استعمال لغوى ، يحتم القول بموت قاعدته التى تتعلق به ، أو التى قعدت لهذا الاستعمال هذا أمر ، لكن ذلك قد يعنى ولادة استعمال آخر ، تحتم كثرته ، وشيوعه إيجاد قاعدة له ، دعت كثرة الاستعمال إلى إيجادها والأخذ بها ، وهكذا تكون اللغة حية متجددة ولها قواعد حية متجددة أيضاً

وقد يقول قائل إن المجامع اللغوية تنهض بمثل هذه المهمة ولست أشك فى جهود المجامع اللغوية وما قدمته للعربية ، لكنى ألفت الانتباه إلى أمر خطير هو أن المجامع اللغوية عينها متجهة دائماً إلى التراث فكل تركيب أو أداء – ميتاً كان أو حياً – ينظر فى دراسة تسويغه وقبوله إلى التراث القديم أولاً فإن وجد له ما يؤيده فبها ونعمت ، وإلا كان من الصعوبة تسويغه وتمريره برغم كثرة استعماله ، ولم نرث عن المجامع حكماً واحداً يقول ، ويعترف بموت شئ من التراث اللغوى أو النحوى ألبته .

أما استخدام نزار قبانى لحروف الجر فى لغته الثالثة فقد عمد فيه إلى الاستعمالات الحية فى لغتنا التراثية والمعاصرة ، وباعثاً الحياة فى كثير من الاستخدامات التى أوشكت على الموت بسبب قلة استعمالها ...

فعلى سبيل المثال وردت الحروف الآتية فى لغة قبانى الثالثة من خلال شعره ،

أولاً : الكاف الجارة :

وهى حرف يفيد التشبيه والجر ، ويقع أصلياً وزائداً ، ويجر الظاهر فقط ، وتدخل عليه "ما" فتكفه عن العمل كثيراً ، ومن القليل النادر عدم كفها له .

لكننا نجد نزاراً ينزع إلى هذا الاستعمال المشهور للكاف عند دخول "ما" عليها وهو استعمال قد كثر استعماله فى اللغة المعاصرة فصحى وعامية .

يقول نزار فى لغته الثالثة نثراً : –

- هنا الديك يحكم وحده

---

(١) ارجع مجلة مجمع اللغة العربية المجلد التاسع ص ١١٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- كما الثور يحكم وحده
- كما الحاكم الفرد فى العالم العربى
- يغنى ... ويسمع وحده .

و فـــى أسلوب جميل – قل استعماله فى اللغة التراثية نجد نزار قبانى يدخل الكاف على الضـــمير المـــرفوع أنـــت " فاصلاً بينهما بـــ ما الزائدة وبرغم أن القدماء منعوا دخول الكاف على الضمير مثل كهن – كهو – كه – كك ... إلا أن نزاراً استطاع أن يجد حيلة جمـــيلة تخـــرجه من دائرة المنع إلى دائرة الإباحة فجاء بهذا التركيب الذى أباحه النحاة وجملـــه نـــزار بقوـــله فى اسلوب أقرب إلى اللغة الدارجة منه إلى فصحى العصر بله التراثية :

- خليك بدائية كما أنت
- خليك خرافية كما أنت
- خليك هجومية كما انت
- ليس لى القدرة على تغير طبيعتك
- أنت ملكة الفوضى ، والجنون وعدم الانتماء
- فظلى كما أنت
- أنت البدوية التى ذهبت مع كل القبائل
- وعادت عذراء
- فظلى كما أنت

ومعـــنى "كما أنت " هنا أى : على الحال التى كنت عليها أى فاستمرى على الحال التى أنت عليها أو كنت عليها فلا تتغيرى .

والكـــاف عند نزار ليست ملغاة دائماً عند دخول ما عليها لأنها – كما قرر النحاة – إذا أدخلت على ما المصدرية ومدخولها كانت جارة للمصدر المؤول كما فى مثل قوله :

- مستوطنة فى صوتى – كما يستوطن السكر فى شرايين العنقود .

والكاف فى بقية استعمالاتها فى شعر نزار جاءت على ما قرره النحاة لها من معان إلا معنى واحداً لم أجد نزاراً ميالاً إليه وهو مجيئها زائدة ، فلم أعثر عند نزار لها على نماذج تؤيده .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعليه فالحكم يموت استعمال الكاف الجارة زائدة فى شعر نزار قائم وقد يمتد إلى معظم الشعر المعاصر ، وعليه فهذا الاستعمال إن كان موجوداً فى أماكن أخرى فهو حى فيها على قلتها وندرتها .

ثانياً :

حتى :

- استخدم نزار "حتى" جارة للمصدر المؤول المكون من أن المضمرة وجوباً بعدها – على رأى فريق من النحاة .

غير أن استخدامه لها كان محيراً بعض الشئ ، فبرغم صحة تقدير المعنى بحتى على معنى "إلى أن" إلا أن معنى حتى يقترب فى استعمالاتها من معنى "حين" لاحظ النص الآتى :

- سأقول لك " أحبك "
- عندما أشعر أن الأرض حتى تدور بحاجة إليك
- وسنابل القمح حتى تنضج ... بحاجة إليك
- والفصول حتى تتعاقب ... بحاجة إليك
- والينا ببيع حتى تتفجر ..
- والحضارة حتى تتحضر .. (١)

فالحرف "حتى" فى النص السابق جاء على ما قرر النحاة لها ، حيث تكون جارة للمصدر المؤول بشرط كونها أو تقديرها على معنى " إلى أن "

وهى هنا كذلك فالمعنى : سأقول لك أحبك عندما أشعر أن الأرض إلى أن تدور فى حاجة إليك "

لكنى أرى أن المعنى على هذا التقدير ليس فى قوة المعنى الآخر الذى يقدر "حتى" بمعنى "حين" فى العبارة .

فالأرض حين تدور بحاجة إليك ، أما فى توقفها وهذا مستحيل فليست فى حاجة إلى محبوبته ، وشاعرنا يحب محبوبته فى حال دوران الأرض أى يحبها دوماً أما المعنى الأول فيرجع دوران الأرض إلى المحبوبة لأنها سبب من أسبابه ، أو على معنى كأن فإذا انتهت الحاجة فهو لا يحبها وهذا عكس المعنى الأول .

---

(١) ٦٢/٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومـــرة يـــستخدم "حتى" غير جارة لكنها استثنائية ، وهى فى استعمالاتها هنا أقوى منها جارة ، يقول :

- ما زال يكتب شعره العذرى قيس
- واليهود تسربوا لفراش ليلى العامرية
- حتى كلاب الحى لم تنبح .
- ولم تطلق على الزانى رصاصة بندقية . [1]

ومـــرة يســـتخدم "حـــتى" جارة لكنه يحذف مجرورها ، مستفيداً بذلك الحذف فى خدمة مقاصده ، ومعانيه التى يريد إيصالها فى قوله :

- وشجعت نهديك ... فاستكبراً
- على الله ... حتى ... فلم يسجدا .

ثالثاً :

الباء :

لها معان كثيرة مستعملة فى القرآن الكريم وفى غيره من النصوص ، غير أن لها معانى غير مستعملة إلا فى نصوص خاصة ، وهى بهذا الاستعمال ميتة خارج هذه النصوص.

أمـــا نزار فاستخدم الباء فى معانى حية كأنها جديدة ومن ذلك استخدامها بمعنى "مع" فى قوله :

- كان أخوال القتيلة يشربون الجن بالليمون
- يصطافون فى لبنان
- يرتاحون فى أسون [2]

أى : يشربون الجن مع الليمون ، أى : مخلوطاً معه ومرة يستخدم "الباء" بمعنى "فى" أو للإلصاق فى قوله :

- لم يبق من غرناطة
- ومن بنى الأحمر
- إلا ما يقول الراوية
- وغير لا غالب إلا الله
- تلقاك بكل زاوية [3]

---

(١) ٩٧/٤

(٢) ٣ / ٢٣٠

(٣) ٥٦١/٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويستخدم الباء بمعنى "مع" فى قوله :

- يظل القتيل على ما به
- أجل وأكبر من قاتليه

ويـــنزع إلـــى اســـتخدام الباء فى معنى "فى" وهو استعمال ينزع إليه أهل شبه الجزيرة العربية والخليج وذلك فى قوله :

- بلقيس
- كيف تركتنا فى الريح
- نرجف مثل أوراق الشجر

.....

- أتراك . ما فكرت بى "
- وأنا الذى يحتاج حبك ... مثل زينب أو عمر

ويقول فى القصيدة نفسها مستعملاً نفس المعنى السابق

- هل موت بلقيس
- هو النصر الوحيد
- بكل تاريخ العرب ؟؟
- ويستعمل الباء فى معنى الاستعانة فى قوله :
- لا تحملنى أبداً ببحر أزرق
- أو أسود
- أو أبيض
- فأنا بحارى ما لهن سواحل . (١)

ويستعمل الباء بمعنى "مع" فى قوله :

- الناطق الرسمى يعلن فى بلاغ لاحق
- أن اليهود تزوجوا زوجاتنا
- ومضوا بهن ... فبالرفاء وبالبنين ... " (٢)

وتجئ الباء عنده للاستعانة أيضاً فى قوله :

" بالسكين " وللظرفية فى قوله " بلحظة" وذلك كله فى قوله :

---

(١) ٤/ ٢٠

(٢) ٤/ ٢٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- يا وطنى الحزين
- حولتنى بلحظة
- من شاعر يكتب شعر الحب والحنين
- لشاعر يكتب بالسكين " (١)

رابعا :

أما الفصل بين حرف الجر ومجروره فقد أباحه كثير من النحاة ، واعتبر بعضهم " لا " الفاصلة بين الجار والمجرور بمعنى " غير " أى أنها اسم مضاف لما بعده مجرور بحرف الجر ، وعليه ، فلا فصل بين الجار والمجرور ومنه قوله سبحانه : " عما قليل ليصبحن نادمين " (٢)

لكن كثيراً من النحاة يرى جواز الفصل بين الجار والمجرور بـ "لا" أو "ما" وأن " لا" خاصة حرف باق على حرفيته ، لا يتأثر بالعوامل ، وإنما هو زائد معترض بين الجار والمجرور ، وأنه مع زيادته يؤدى معنى النفى ، ولا يعيق عمل حرف الجر فى الاسم بعده .

وكأنه حرف مقحم بين الجار والمجرور ، وأنه مع إقحامه له معنى ، بخلاف كثير من الحروف المقحمة أو الألفاظ المقحمة التى قد لا يكون لها معنى تفيده وقد جعل نزار قبانى "لا" مقحمة ، فاصلة بين الجار ومجروره ، وبين المضاف والمضاف إليه بحيث لا تعيق العمل ، وذلك حيث يقول :

- تأتين من لا جهة
- أعنى من كل الجهات .

---

(١) ٤/ ٢٠

(٢) سورة المؤمنون ٤٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الضمير ووظائفه النحوية فى شعر نزار

أولا: التوكيد :-

يقع ضمير الرفع المنفصل توكيداً لجميع الضمائر المتصلة وإن اختلف الموضع ، ووجه ذلك لدى السيرافى : أن الضمير المنفصل أصله للمرفوع دون المنصوب والمجرور ، لأن أول أحوال الاسم الابتداء وعامل الابتداء ليس بلفظى ، فلم يكن بد من انفصال ضميره. (١)

وأما المنصوب والمجرور فلابد لهما من لفظ يعمل فيهما فيتصلان به ، فإذا احتجنا إلى توكيدهما لتحقيق الفعل الثابت للشئ بعينه دون من يقوم مقامه أو يشبهه احتجنا إلى ضمير منفصل ، ولا ضمير منفصل فى الأصل إلا ضمير الرفع ، فاستعملناه فى الجميع ، كما اشترك الجميع فى " نا " فى نحو " قمنا " و"أكرمنا" ، و" غلامنا" ، وهو القياس ؛ لأن أصل الضمائر أن تأتى مع لفظ واحد ، كالأسماء الظاهرة. (٢)

ويكمل الشيخ خالد الأزهرى حديث السيرافى السابق فيقول :

وبقى عليه أن يقول واستعير المرفوع للمنصوب والمخفوض فى حالة التبعية إذ المرفوع لا يتبع المنصوب ، ولا المخفوض وكان ابن مالك قد لخص مسألة توكيد الضمير المرفوع المنفصل لما سبقه من ضمائر رفع منفصلة أو متصلة ومن ضمائر نصب أو خفض فى قوله :

ومضمر الرفع الذى قد انفصل : أكّد به كل ضمير اتصل ويفهم من تعليقات شراح الألفية أن قول ابن مالك "أكد به " هو على سبيل الإباحة والندب لأنه يجوز أن نؤكد المنصوب المتصل بمنصوب منفصل فتقول: رأيتك إياك ، وجَعَلَ الرضىُّ ذلك أصلاً حيث تقول : رأيته إياه ، ورأيتك إياك" (٣)

هذا رأى الرضى ، لكنّ ابن يعيش كان قدر رأى أن مثل رأيته إياه ، ورأيتك إياك " تعرب إياه ، وإياك بدلاً ، لا تأكيداً ، أما قولنا : رأيتك أنت فتعرب أنت تأكيداً لا بدلاً. (٤)

ومن خلال مراجعة شاملة لورود الضمير فى شعر نزار نلاحظ أن ضمير الرفع المنفصل قد استخدمه نزار بعد ضمائر منفصلة ، أو متصلة، للرفع أو للنصب أو للجر

---

(١) شرح التصريح على التوضيح جـ٢/ ١٢٨

(٢) السابق

(٣) السابق

(٤) السابق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كـــنا بصـــدد الحديث عن باب التوكيد فيمكن لنا تطبيق قواعد باب التوكيد – أقصد توكيد الضمير – على ما ورد من ضمائر شعر نزار ، وفى نثره أيضاً.

فمن أمثلة استخدام نزار لضمير الرفع المتكلم للجماعة :-

" نحن " بعد ضمير نصب وجر " نـــا" فى محل نصب اسم إن قوله فى بعض مقالاته – نثراً:-

– لم أكن أشعر أن الجنس وحشٌ يفترس كل منْ يقترب منه ، على العكس كنت أعتقد أن الجنس قطٌ منزلى أليف ، وأننا نحن الذين روّعناه ، وخوّفناه ، وجعلناه يتسكع فى الأزقة الضيقة ، وينام بين الخرائب... "

وفـــى حديـــث آخر يقارن نزار بين الظروف التى يعيشها كُتّاب الغرب والظروف التى يعـــيش فـــيها الكتاب العرب فيقول عنهم : " إنهم ذهبوا فى كتاباتهم إلى أبعد مما ذهبنا إليه، ولكنهم لم يدفعوا الثمن الذى دفعناه ، ولم ينفوا خارج أسوار مدنهم كما نُفينا نحن "(١)

فقولـــه : وأننا نحن "جاءت نحن " بعد الضمير " نا " فالوظيفة التى تصلح لها هنا فى هذا السياق هى أنها توكيد لفظى لضمير النصب قبلها " نا "

وقـــد تكـــون " نحن " توكيداً لضمير متصل بارز آخر لكنه للرفع ، لأنه نائب فاعل ، وهو أيضاً " نا " فى قوله :

" نفينا نحن "

ويخاطب جمال عبد الناصر ، مؤكداً بالضمير المنفصل نحنْ ضميراً متصلاً للرفع هو " نا " فى قوله :

- قتلناك ..... يا جبل الكبرياء،
- قتلناك نحن بكلتا يدينا
- وقلنا المنـــية. (٢)

وقولـــه :

- لم أكن منتظراً .....
- أن تصبحى أنتِ الثقافةْ
- لم أكن منتظراً ..... (٣)

---

(١) جـ٧/٣٣٢

(٢) جـ٣/ ٣٥٧

(٣) جـ٤/١٢٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقــوله :

- هل تذكرين فى باريس تسكعنا ؟
- تمشين أنت .....فيمشى خلفك الشجر [١]

وقولــه فى بيروت :

- كل ما يشغل بالى يا حبيبه
- أن تكونى أنت فى خير .....وعيناك بخير [٢]

ويؤكد بالضمير " أنت " ضمير جــر مخاطب متصل هو الكاف فى قوله:

- وأعُلن أن الجميلات فى الكون نثر "
- ووحدكِ أنتِ التى صرتِ شعراً. [٣]

- ويقول :
- تبكى بصوت أزرق .. أزرق
- يفضى إلى لا حيث شباكنا
- يفضى إلى لا منتهى شيق
- ويقول :
- فى مدخل الحمراء .. كان لقاؤنا
- ما أطيب اللقيا بلا ميعاد

وقد يجئ ضمير المتكلم " أنا " توكيداً لضمير متصل للرفع المتكلم – وهو تاء الفاعل فى قوله:

- وكنت أنا ضائعاً مثل غيرى. [٤]

أو قــوله فى استخدام ضمير المخاطب توكيد لضمير بارز للرفع متصل

- وأصبحت أنت البديل.
- وأصبحت أنتِ النخيل. [٥]

وقــوله :

---

(١) جـ٤/١٠٩

(٢) جـ٣/٦٠٤

(٣) جـ٤/١٤٨

(٤) جـ٥/١٥٧

(٥) جـ٥/٤٨٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- سقطتُ هى كالفراشة ، تحت أنياب الجاهلية.
- وسقطت أنا بين أنياب عصر عربى. (١)

وقــوله :

- لو كانت نجد تسمعنى.
- والربع الخالى يسمعنى.
- لختمت أنا بالشمع الأحمر سوق عكاظ. (٢)

وقــوله إلى الجندى العربى المجهول :

- لو يقتلون ..... مثلما قُتلْتَ.
- لو مدمنوا الكلام فى بلادنا.
- قد بذلوا نصف الذى بذلتْ.
- لو أنهم من خلف طاولاتهم
- قد خرجوا .... كما خرجت أنت (٣)

وقــوله :

- فاربطى شعرك بشريط أزرق.
- واضربى الكرة أنت
- هاجمى أنت .....واقتحمى أنت
- واخترقى جسدى أنت .....
- فليس مهما أن أربح أنا. (٤)

ويقــول فى قصيدة أخرى :

- معك لا ينفع عنفٌ ولا خشونة
- لا ينفع هجر ولا ضيافة
- كلما مارست الحبّ مع امرأة أخرى.
- حَبلت أنت. (٥)

---

(١) جـ٤/٢٥٣

(٢) جـ٣/٢٢٠

(٣) جـ٣/٣١٩

(٤) جـ٢/٩٢٠

(٥) جـ٢/٨٩٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن نوع ضمير الرفع المنفصل توكيداً لضمير رفع متصل قوله :

فى البدء كنتِ أنتِ .....ثم كانت النساء. (١)

وقد وقع ضمير الرفع المنفصل توكيداً لمضير نصب متصل وتوكيداً لضمير جر.

أ- وقوع ضمير الرفع توكيداً لضمير نصب متصل :-

ومن ذلك قوله :

- أفتح باب منزلى ....
- أدخله من غير أن أنتظر الجواب.
- لأننى أنا السؤال والجواب. (٢)

وقــوله :

- لأن هارون الرشيد مات من زمــان
- لأننا نحن قتلناه ، وأطعمناه للحيتان
- لأن هارون الرشيد لم يعد إنسان (٣)

مع ملاحظة أن الضمير " أنا " فى النص الأول يمكن جعله فى وظيفة نحوية أخرى غير كونه توكيداً للضمير المنصوب الذى هو ياء المتكلم فى " لأننى " .

لأنــنا يمكننا جعل " أنا " مبتدأ ، وجعل لفظة السؤال خبراً له ، وجعل الجملة من المبتدأ والخبر خبراً لأننى"

ويمكن جعل هذا الضمير " أنا " ضمير فصل أو عماد وليس توكيداً.

كل ذلك يمكن أن يحتمله السياق فى النص السابق ومن نماذج ورود ضمير الرفع توكيداً لضمير النصب المتصل قوله أيضاً : -

- أحبك أنت
- وأكتب حبى على وجه كل غمامة
- أحبك يا امرأة من بلادى
- وأنوى على شفتيك الإقامةْ (٤)

---

(١) الديوان جـ٢/٨١٣

(٢) جـ٣/١٦٨

(٣) جـ٣/١٩٠

(٤) جـ٣/٤٥٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبملاحظة قوله " أحبك أنتِ " وقوله :أحبك " يا امرأة من بلادى " نجد أن استخدام نــزار للضمير فى مثل هذه التراكيب قاصداً به التوكيد أقرب من توجيهه إلى أى وظيفة نحوية أخرى

- وأقصــد هنا توكيد ضمير النصب بضمير رفع ، ذلك لأنه فى العبارة الثانية لم يحتج إلــى توكيد الكاف فى " أحبك " لأنه أباح بالمقصود منها وأعلنه وعرفه وذلك فى قوله " يــا امرأة من بلادى" وعليه فقد تكامل التعبيران فى تحقيق هدف شاعرنا ، وتدرجا شيئاً فشيئاً فى تحقيق مقاصده ، وكمل الثانى الأول.

ب- وقوع ضمير الرفع المنفصل توكيداً لمضير جر متصل :

من ذلك قــوله :

- قلبى - كمنفضة الرماد ...أنا
- إن تنبشى ما فيه تخترقى.
- شعرى أنا قلبى ..... ويظلمنى
- مَنْ لا يرى قلبى على الورق .

ونُلاحــظ هنا أن نزاراً فصل بين التوكيد والمؤكَّد ولكنه فى العبارة الثانية من النص لم يفصل بين التوكيد والمؤكد.

لكن هل ورد عند نحاتنا القدامى إباحة الفصل بين التابع والمتبوع فى باب التوكيد ؟

إن مــن يــراجع كلام النحاة فى هذا الباب يرى أنهم منعوا الفصل بين التوكيد والمؤكَّد بأجنبى عن العامل ، فالأجنبى لا يصح الفصل به.

ولذلك فقد أباحوا الفصل فى مثل قوله سبحانه:

" ولا يحزنَّ ، ويرضَيْنَ بما آتيتهنّ كُلُهُنْ ...." (١)

فقوله سبحانه : بما آتيتهن " هو الفاصل وهو ليس أجنبياً عن العامل.

أما قول نزار : قلبى - كمنفضة الرماد - أنا "

فالفاصل فيه هو الجار والمجرور ، وهو فاصل يمكن التسامح فيه على رأى من جعلوا الفصل بالجار والمجرور كلاً فصل" (٢)

ومن نماذج ورود التوكيد لديه قــوله :

- ويصبح الهواء الذى تتنفسينه يمر برئتى أنا

---

(١) النحو الوافى جـ٣/٥١٦ سورة من آية

(٢) الســابق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وتصبح اليد التى تضعينها على مقعد السيارة
- هى يدى أنا

فقد أكد ياء المتكلم فى " برئتى " ويدى " بضمير الرفع المنفصل "أنا" [1]

ومن ذلك قــوله :

- بخنجرى هذا الذى ترونه
- طعنته باسمى أنا

واسم الملايين من الأغنام [2]

(١) جـ٢/٨٥٨

(٢) جـ٣/١٣٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعض قضايا تخص الضمائر

ثانياً – الضمير بين وجوب الاستتار وجوازه :-

وقوع الضمير المنفصل المرفوع فاعلاً :

أو تحول الضمير المستتر وجوباً إلى ضمير مستتر جوازاً :-

مما هو معروف ومستقر لدى جمهور النحاة أن مثل قول نزار :

- هاجمى أنت ... واقتحمى أنت
- واحترقى جسدى أنت (١)

أن الضمير أنت فى التراكيب الماضية يعرب توكيداً لفظياً للضمير المتصل بالفعل " هاجمى " " اقتحمى " " احترقى " فياء المخاطبة "فاعل" ، و "أنت" توكيد لفظى فى محل رفع لها – أى لياء المخاطبة ، عملاً بالقاعدة الخاصة بتوكيد الضمير المرفوع المتصل بضمير رفع منفصل أما قول نزار بعد ذلك :

- فليس مهما أن أربح أنا (٢)

فالضمير "أنا" يعرب عند جمهور النحاة أيضاً توكيداً لفظياً للضمير المرفوع المستتر وجوباً الذى هو فاعل للفعل أربح ، وتقديره " أنا "

لكن الأمر فى اعتقادى ليس هكذا ، فالضمير "أنا" فى مثل قول نزار : أربح أنا " ليس توكيداً لفظياً للضمير المرفوع المستكن فى "أربح" وجوباً وتقديره " أنا"

بل إن ظاهر الأمر ، يقضى بجعل هذا الضمير الظاهر فاعلاً لهذا الفعل .

وبناء عليه فمثل هذا الفعل "أربح" فاعله ليس ضميراً مستتراً وجوباً ، بل إن الاستتار هنا جائز وليس واجباً ، وينطبق ذلك على فاعل فعل الأمر للمفرد المخاطب المذكر " اكتب أنت " "فأنت" ليست توكيداً لفظياً للضمير المستكن فى "اكتب" وتقديره "أنت" وكذلك فاعل الفعل المضارع "تكتب ، أو أكتب " مثلاً .

ومن نماذج ورود ظهور الضمير المستتر وجوباً قوله :

- تحركى خطوة ... يا نصف عاشقة
- فلا أريد أنا أنصاف عشاق

وقوله :

- وأمشى .. أنا فى رقبة الشمس خنجراً .

---

(١) حـ ٢/٩٢٠

(٢) السابق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وأصرخ يا أرض الخرافات أحبلى
- لعل مسيحاً ثانياً ... سوف يظهر .

وقوله :

- بلقيس
- مذبحون حتى العظم
- والأولاد لا يدرون ما يجرى ...
- ولا أدرى أنا ... ماذا أقول ؟
- ها نحن نسأل يا حبيبة ...
- إن كان هذه القبر قبرك أنت
- أم قبر العروبة ... (١)

وقوله :

- أشعر بحاجة ، يا حبيبتى
- لقراءة آخر قصيدة حب كتبتها
- قبل أن تصبحى آخر النساء .
- وأصبح أنا ...
- آخر حيوان يقرض الشعر . (٢)

وقوله :

- عندما تجلسين على المقعد الأخضر
- ويقرر جسمك أن يلقى قصيدته
- استقيل أنا من الكلام (٣)

ويؤكد مقولتى أن نزاراً قصد إظهار الضمير الواجب الاستتار ، يؤكد هذا نثره كما أكدها شعره .

فإذا كان الشعر مخصوصاً بالضرورة ، وهو منها وهى منه ، فالنثر مجال الالتزام والاختيار فإذا أظهر نزار الفاعل الواجب الاستتار فى النثر فهذا دليل على أنه يقصد

---

(١) حـ ٩/٤
(٢) حـ ٣٢٧/٥
(٣) حـ ٤١٠/٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلـــك قصداً ، كأنه يرى صحة جواز استتار الضمير مع المضارع الذى للمتكلم والأمر الذى للمفرد والمخاطب ، وليس وجوب استتاره

أنظر إلى قوله :

" بلادنـــا مجموعـــة كلمات جميلة ، كلمة منك ، وكلمة منى ، قشة تحملها أنت ، وقشة أحملها أنا .. وهكذا يصنع الربيع " (١)

وفى مقال وحديث آخر له يقول :

" كيف يمكننى أن أكون موضوعياً حين أكون أنا الموضوع ؟!! " (٢)

" و حين أكون أنا الجرح " (٣)

وفى موضوع آخر يقول :

" وكما يجلس طفل على حافة بركة .. ينتظر قدوم السمك ، أجلس أنا على حافة الورقة، أراقب ارتعاش خيط الصنارة ... " !! (٤)

ويقول فى موضوع آخر :

" إذن فأنا فى كتاباتى لا أدعى أننى مبعوث سماوى لأحرر المرأة ، وما فعلته أنا ، وما فعله غيرى ، لم يكن سوى ثورة صغيرة على نظام حجرى سلطوى ، يحتاج إلى ألوف الثورات .. !! "

وبـــرغم أن عامة النحاة قد أجمعوا على أن من مواضع وجوب استتار الضمير أربعة ، وأوصـــلها بعضهم إلى تسعة منها : فاعل فعل الأمر للمفرد المخاطب مثل اكتب وفاعل الفعـــل المضارع للمفرد المتكلم " اكتب " والجمع نكتب أو فاعل الفعل المضارع المبدوء بتاء الخطاب للواحد تكتب وأجمعوا على أنه إذا ذكر هذا الفاعل الضمير وظهر فهو ليس فاعلاً ، بل هو توكيد لفظى للفاعل المستتر وجوباً فى هذا الفعل فقوله سبحانه : وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة " (٥) تعرب أنت : توكيداً لفظياً للضمير المستتر وجوباً فى أســـكن والتقدير : اسكن أنت أنت " (٦) والسبب فى ذلك عند عامة النحاة أننا لا نستطيع إحلال اسم ظاهر محل هذا الضمير المستكن فى المواضع الماضية ، ولذلك وجب استتار

---

(١) حـ ١٧٠/٧

(٢) حـ ٢٠٧/٧

(٣) حـ ٢٠٧/٧

(٤) حـ ٥٢٦/٨

(٥) حـ البقرة : ٣٥

(٦) حـ النحو الوافى ١ /٢٢٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الضمير أما الضمير الفاعل للفعل الماضى "يكتب" مثلاً فهو مستتر جوازاً لصحة ظهور هذا الضمير ، وصحة إحلال اسم ظاهر محله .
هذا ما قرره النحاة وأجمعوا عليه .
أمـــا القـــول الذى أرتضيه فى مثل هذه المواضع فهو أن هذه المواضع ينبغى ألا يحكم علـــيها بأنهـــا من مواضع وجوب استتار الضمير ، ذلك لورود هذا الضمير ظاهراً فى بعض التراكيب .
أما القول بأن هذا الضمير إذا ظهر فليس هو المقصود وإنما هو توكيد للضمير المستتر وجوباً ، بسبب عدم قدرتنا على إحلال اسم ظاهر محل هذا الضمير ، فهو قول لا تسنده النصـــوص الكثـــيرة التى ظهر فيها الضمير فى مثل هذه المواضع وليس مهماً التمسك بـــالقول الذى يوجب حتمية صحة إحلال اسم ظاهر محل هذا الضمير ، فما قيمة ذلك ؟ وما أهميته فى فهم التراكيب ؟ وما العلاقة بين الاسم الظاهر وبين الضمير فى مثل هذه المواضع ؟
لأن الـــربط يعـــد تكلفـــاً يتعامل – غالباً – مع ظاهر التركيب وليس مع منطق القواعد وفلسفتها ، وتحكم صناعها رغبة فى طرد الباب على وتيرة واحدة .
فافـــتراض إحلال اسم ظاهر محل هذه الضمائر ليس له ما يبرره ، لا من قياس صحيح ولا من سماع كثير فقولهم : اكتب " فاعلها ضمير مستتر وجوباً لا يجوز إظهاره لأنة لا يجوز إحلال اسم ظاهر محلة قول يقضى بأن يكون الفاعل فى جميع تراكيب اللغة اسماً ظاهراً ، وكأن ورود الفاعل ضميراً ليس إلا قياساً على وروده اسماً ظاهراً وهذا قياس غريـــب ، لأن الفـــاعل يجئ ضميراً ويجئ اسم إشارة ويجئ مشتقاً و جامداً ويجئ اسم اســـتفهام ويجـــئ مصدراً مؤولاً ويجئ جمله وهو كل ما يمكن أن يحكم علية حقيقة أو مجـــازاً بأنـــة فعـــل الفعل أو اتصف به بتأويل وبغير تأويل . وما الفائدة التى سيجنيها الســـياق مـــن افتراض كون فاعل فعل الأمر للمفرد المخاطب هو ضمير مستتر وجوباً تقديـــره أنت وإذا ظهرت أنت أو ذكرت فى التركيب لأى غرض فهى ليست الفاعل بل هـــى توكـــيد لفظى ل " أنت " المستترة وجوباً ؟!!! وكذلك نحن أو أنا أو أنت مع بقية المواضع التى أشار إليها النحاة ...
إن السياق والسامع والمتكلم عناصر مهمة يحتكم إليها فى هذا الضمير البارز هو الفـــاعل حقـــيقة وأنـــة ليس توكيداً لضمير مشابه له مستتر . ذلك لأن ظهور مثل هذا الضمير يُبطل القول بوجوب استتاره . وقد ورد السماع الكثير بظهوره قديماً وحديثاً .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفـــى اعـــتقادى أيضاً أن من حق النحاة أن يقولوا بوجوب استتار الضمير فى المواضع التى لم يظهر فيها هذا الضمير .

فكـــل موضع لا يظهر فيه هذا الضمير البتة ، فهو مستتر وجوباً فإن ظهر فهو مســـتتر جوازاً عند ظهوره وعند عدم ظهوره ، فالعبرة عندى بظهور الضمير أو عدم ظهوره وليست بإمكان إحلال اسم ظاهر محله .

يستوى فى ذلك فاعل الفعل الماضى " كتب " مثلاً وفاعل فعل الأمر " اكتُبْ " أو فاعل الفعل المضارع " نكتبُ " أو " تكتبُ " أو " أكتُبُ " فجميع هذه الأفعال وما يناظرها فاعلهـــا ضـــمير مستتر جوازاً عند عدم ظهوره وإن ظهر فهو فاعل وليس توكيداً لفظياً لضمير مستتر وجوباً بعدها .

فالعـــبرة كمـــا أسلفت ليست بإمكان إحلال اسم ظاهر محل هذا الضمير أو عدم إمكـــان إحلال اسم ظاهر بل العبرة فى ظهور هذا الضمير أو عدم ظهوره فإن توافرت لديـــنا نصـــوص ظهر فيها هذا الضمير بعد هذه الأفعال ، فهو الفاعل وبناء عليه فعدم ظهوره فى نصوص أخرى يعنى أنة مستتر جوازاً .

ولا داعـــى إذن لافـــتراض كون هذا الفاعل ضميراً مستتراً وجوباً ، وأنه عند ظهـــوره لا يعامل على أنه فاعل فعله الذى معه ، ويعامل على أنه توكيد لفظى لضمير مستتر وجوباً قبل هذا الضمير البارز .

فكـــل هذا لا يفيـــد نحو اللغة فى شئ ، ولا يعطى المتصلين بلغتنا ، أو قواعد لغتنا صورة مشرقة [1]عنها

لأن مـــا لا يفـــيد نحو اللغة فهو نحو ميت وليس حياً ، ونحن نسعى لإيجاد نحو حىٍّ يواكب لغتنا الحية المتجددة .

ومـــما يجـــدر ذكره هنا أنّ النحاة نسوا أمرين مهمين خاصين بظهور الضمير المنفصل الذى للرفع بعد الأفعال سالفة الذكر :

الأول : أن إصرار النحاة على إعراب هذا الضمير توكيداً لفظياً للضمير المحذوف يوقع فـــى محظور مهم هو أنهم منعوا حذف المؤكد ، لأن القول بتوكيده ينافى القول بحذفه إذ إنه كيف يكون مؤكَّداً وهو محذوف ؟

---

[1] راجع فى ذلك النحو الوافى حـ ٢٢٨/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثانى : أن النحاة يربطون بين إعراب هذا الضمير فاعلاً وبين إحلال اسم ظاهر محله ، فإن صح إحلال اسم ظاهر محل هذا الضمير أعرب فاعلاً وإن لم يصح أعرب توكيداً لفظياً لضمير مماثل له مستتر وجوباً .

هذا ما قالوه ، لكنهم نسوا أن الضمير المستتر وجوباً الذى أعربوه فاعلاً لا يمكن إحلال اسم ظاهر محله ، وعلى هذا فاستحالة إحلال اسم ظاهر محل هذا الضمير لا تزال قائمة ، سواء كان مستتراً أم ظاهراً .

وبمناسبة ذكر الضمير الظاهر أشير إلى أن ضمير الرفع البارز المتصل بفعل الأمر للمخاطب المثنى والجمع بنوعية يُعد بارزاً وجوباً ومع أنة بارز وجوباً إلا أنه لا يمكن إحلال اسم ظاهر محله على أى حال . لأننا بناء على قولهم لا نستطيع أن نقول : اكتبا محمدان – بإعراب " محمدان " فاعلاً فهذا يجعلنا نقع فى محظورين عندهم ، المحظور الأول تعدد الفاعل لفعل واحد والثانى وإعراب محمدان فاعلاً وهى أقرب إلى المنادى منها إلى الفاعل وذلك عند إعراب ألف الاثنين فاعلاً وليس علامة تثنيه

إذن فمسألة الربط بين استتار الضمير وصلاحية إحلال اسم ظاهر يكون فاعلاً أمر ليس دقيقاً وهو أمر أصر عليه صُنَاعُ القواعد رغبة فى طَرْدِ الباب على وتيرة واحدة من حيث الشكل مراعاة لواقع اللغة التى لم تمنع ظهور الضمير بعد فعل الأمر الذى للواحد المخاطب ، وإعرابه فاعلاً . كما قلت فيما مضى إن القول بإعراب هذا الضمير فاعلاً يريح من عنت أمور كثيرة ويناسب ظاهر اللغة وواقعها وإن كان يخالف تَحكُمَ قواعد فيها بعضٌ من قصور .

وهذا القصور يمكن تداركه عند فك الارتباطات الواهية التى صُنعت لتقوى قواعد لا تراعى طبيعة اللغة التى انطلقت منها .

ويبدو أنها لم تنطلق من واقع اللغة بقدر انطلاقها من عقلية صُناعها ومن افتراضاتهم ومحاولاتهم ربط وإيجاد صلات بين أمور ليس من صالح اللغة ربطها ببعضها .

ثالثاً : النيابة بين الضمائر :

ومما وردت فيه النيابة فى شعر نزار و هى من ملامح لغته الثالثة نيابة الضمائر بعضها عن بعض – نيابة ضمير الرفع عن ضمير الجر ، حيث نابت " أنت " عن " الكاف " عند وقوع أنت بعد " غير " الاستثنائية الملازمة للإضافة فقال : " غير أنت " بدل أن يقول : غيرك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وذلك فى قول نزار :

- إننى أكتب من داخل موتى
- أين أنت الآن .. يا مَنْ لم أجد فى هذه الغابة
- صدراً يحتوينى .. غير أنتِ (١)

- ومما ورد فيه النيابة فى نثر نزار قوله :

" لا أبحث عن بديل لبيروت لأنه لا بديل لبيروت سوى هى . (٢)

فقال – فى النثر " سوى هى " بدلاً من سواها كأنه أحس ان ضمير الفصل " هى " الذى هو للرفع أقوى ، وأكد فى نقل مشاعر تعلقة ببيروت من ضمير الخفض المعادل للها فى " سواها "

وقد مر بنا أن الأستاذ عباس حسن رحمه الله قد ذكر أن نيابة ضمير الرفع عن ضمير النصب أو الجر يقتصر فيها على السماع ثم ذكر أن نيابة ضمير الرفع عن ضمير الجر فى مثل : ما أنا كأنت ، ولا أنت كأنا فيها قبح ، وعلل سبب القبح بقوله : والقبح هنا هو بسبب وقوع الضمير الخاص بالرفع فى محل جر وذكر مثالاً لنيابة ضمير الرفع عن ضمير النصب فى قولة : " يا أنت " ووصفه بالشذوذ ، وذكر بعضاً من شاهد قديم ووصفه بالضرورة الشعرية لإقامة الوزن ..

وكل ذلك – فى رأيى – بسبب عدم ورود ذلك عن العرب فلو وردت شواهد كثيرة ، أو كان بعض النحاة نص على صحة ذلك ، لكان ذلك مقبولاً وصُيغت له الشواهد ، وحُشدت له الأدلة لتقويته وتسويفه وقد فات أوان ذلك فى رأى المتمسكين بالقديم فماذا نقول فى النتاج الشعرى الذى جاء بعد هذا الأوان الذى فات ؟ أنحكم عليه بالخطأ واللحن أم تنظر فى قواعدنا نظرة جديدة فى ومحاولة تجعلها أكثر مرونة لاستيعاب محتوى هذا النتاج الشعرى الذى هو الآن يعد جزءاً من تراث الأمة ينبغى عدم اذدرائه أو النيل منه أو من بعضه .

وإذا عُدْنا إلى عبارة نزار قبانى وهى قولة : **فلست أنا** لوجدنا أن هذا التعبير ليس مألوفاً لدى الكثيرين بل إن الجملة الموافقة للقواعد المناظرة لهذه الجملة هى" فلست إياى " وهى أيضاً ليست من العبارات أو التراكيب المألوفة برغم مجيئها على مقتضى القواعد والجمل التى جاءت على مقتضى القواعد وهى غير مألوفة و ليست قليلة فى هذا الباب .

---

(١) الديوان حـ ٢ / ٣٣٤

(٢) الأعمال الكاملة : الأعمال النثرية ٥٢٦/٨٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فمثلاً قول الشاعر :

عددت قومى كعديد الطيس * إذ ذهب القوم الكرام ليسى

جـــاء فـــيه " ليس " حيث أتصل الضمير ياء المتكلم بالفعل " ليس " وقد أشار النحاة إلى جواز الأمرين الاتصال والانفصال .

لكنَ السؤال هو مَنْ يقبل ويستسيغ جمله ليسى أو ليس إياى ؟!!

أليس فيها من القبح ما فى استقباحهم : يا أنت ، واستقباحهم : ما أنت كأنا ولا أنا كأنت !!؟

وفـــى اعتقادى أن سبب الاستقباح وعدم الاستساغة هو بسبب عدم كثرة الاستعمال فى القديم والحديث لهذه الأساليب أو التراكيب إذ أن كثرة استعمالها وشيوعها تعد نوعاً من وسائل تسويغها ، وجعلها أكثر قبولاً سواء كانت لها سند من سماع أو قياس ام لم يكن له سند .

ويصدق هذا على النصوص القديمة ، أو النصوص المعاصرة

وإذا عدنا إلى شعر نزار قبانى لوجدنا أنّ كثيراً مما يمكن إعتباره مخالفاً للقواعد يعد – فى نظرى – مقبولاً مستساغاً بسبب كثرة شيوعة وانتشاره على ألسنة الخاصة والعامة فى عصرنا الحاضر خاصة . فالخاصة تجد فى عبارتهم مثل قول نزار السابق :

" وأما هذا الكلام فلست أنا الذى يقوله "

والعامـــة يقولون : " الكلام ده مش انا اللى يقوله " لكنَ الملاحظ أن العبارة الأولى تغيّر فـــيها موقع ووظيفة الضمير تغييراً كاملاً ، حيث أصبحت وظيفة الضمير هنا " أنا " من كونها خبراً للناسخ " ليس " إلى وظيفة أخرى هى أنها توكيد لفظى للتاء فى " لست " أما الخبر فهو الاسم الموصول " الذى "

وبهـــذه المناسبة ، أشير إلى أنه من الممكن أن يكون نزار قبانى قصد هذا التركيب الذى فصلنا مواقع عناصره حيث يحتمل أن يكون نزار قد قصد من قوله :

" إذا تخليت عن عشقى .. فلست أنا "

يحـــتمل انه أراد أن يقول : فلست أنا نزاراً أو فلست انا الذى يتخلى عن عشقه أو غير ذلـــك .. وكـــل ذلك يحتمله السياق ، ولا يرفضه ، ويؤيد هذه الاحتمالات كلها السياق ، الذى وردت فيه عبارة نزار : " لست أنا " التى وردت فى قوله :

- يعانق الشرق أشعارى .. ويلعنها
- فألف شكر لمن أطرى ومَنْ لعنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- فكل مذبوحة دافعت عن دمها
- وكل نهد .. أنا أيدت ثورته
- وما ترددت فى أن أدفع الثمنا
- أنا مع الحب حتى حين يقتلنى
- إذا تخليت عن عشقى .. فلست أنا [1]

• ومن النيابة أيضاً :-

- مواقع مختلفة للضمير فى شعر نزار :-

فيما مضى أشرنا إلى حالات ومواقع للضمير فى شعر نزار وكان منها ما وافق فيه شعر نزار قواعد النحو وكان منها غير ذلك ، حيث شغل الضمير مواقع وظيفية نحوية لم يشر إليها النحاه أو لم يرضوا عنها . ومما يندرج تحت هذا أيضاً :-

أ- وقوع ضمير الرفع المنفصل خبراً للناسخ الذى ينصب الخبر أى : وقوع ضمير الرفع فى موقع ضمير النصب :-

وذلك فى قوله :

- إذا تخليت عن عشقى فلست أنا . [2]

فقوله .. فلست أنا جاء فيه ضمير الرفع المنفصل " أنا " خبراً للناسخ " ليس " ومعلوم أن ليس تنصب الخبر ، وعلى هذا فكان ينبغى أن يجئ هنا ضميراً للنصب هو" إياى " إلا أنه أناب ضمير الرفع عن ضمير النصب فى هذا الموضع

لكن هل ورد ما يناظر قول نزار : فلست أنا أو " فلست إياى " ؟

إن الأقرب إلى القبول فى إعتقادى هو قوله " فلست أنا " برغم مجيئه مخالفاً لقاعدة نوع الضمير - للرفع أو للنصب ومخالفاً لقاعدة اتصال الضمير وانفصاله حيث قال ابن مالك:

• وفى اختيار لا يجئ المنفصل ** إذا تاتى أن يجئ المتصل

وقال : وصل أو افصل هاء سلنيه وما ** أشبهه فى كُنْتُه الخُلفْ انتمى

لكن سيبويه وآخرين اختاروا الانفصال ، نحو : كنتُ إياه وقد ذكر كثير من المحققين أن الاتصال والانفصال جائزان صحيحان وارد عن العرب كثيراً ومن ذلك قول عمر بن أبى ربيعة المخزومى :

---

(1) حـ٢/٧٤٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لئن كان إياه لقد حال بعدنا ** عن العهد و الإنسان قد يتغيرُ [1]

و قول الآخر :

ليس إياى و ايا * ك و لا نخشى رقيباً

و قول الرسول صلى الله عليه و سلم لعمر بن الخطاب فى شأن ابن الصياد " إن يكنه فلن تسلط عليه ، و إلا يكنه فلا خيرلك فى قتله "

و منه قول رؤية :

عددت قومى كعديد الطيس * إذ ذهب القوم الكرام ليسى [1]

و إذا عدنا إلى قول نزار : فلست أنا .. لوجدناه قد استعمل ضميراً للرفع منفصلاً لا يكون بالأصالة إلا مرفوعاً ، فأما استعمالها غير مرفوعة فإنما هو بالنيابة عن ضمير الجر و النصب . .

و مع أنها مسموعة يحسن ترك استعمالها لقبح و قوعها على السمع ، فمن النيابة عن ضمير الجر قولهم : ما أنا كأنت ، و لا أنت كأنا .. و القبح هنا بسبب وقزع الضمير الخاص بالرفع فى محل جر ومن النيابة الشاذة أيضاً قولهم :

يا أنت .. ياليتنى و هما نخلو بمنزلة ..

و قد عُدّ الأخير من ضرورات الشعر ، لأنه عطف الضمير " هما " و هما ضمير للرفع و ياء المتكلم ضمير هى للنصب فى ليتنى .

و من أجل درء شبهة وجود تناقص فى كلام النحاة و قواعد الضمير ، نص النحاة على أن نيابة ضمير الرفع عن ضمير النصب و الجر جائزة و كثيرة فى باب التوكيد . مثل ما مضى ذكره و كقولهم : سمعتك أنت تخطب ، و مررت بك أنت ، و قد نص النحاة على أنه استعمال قياسى [2]

و من المواضع التى تشبه ما مضى فى قول نزار :

فالشاعر المشهور ليس أنا . [3]

حيث ناب ضمير الرفع " أنا " و هو هنا خبراً للناسخ ليس ، ناب عن ضمير النصب " إياي " لأن تقدير الكلام هو : فالشاعر المشهور " ليس هو إياى " فحذف اسم " ليس " ثم أناب ضمير الرفع " أنا " مناب ضمير النصب .

---

(١) شرح ابن عقيل حـ ١ / ١٠٤ بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط/دار التراث

(٢) شرح بن عقيل حـ ١ / ١٠٤

(٣) النحو الوافى حـ ١ / ٢١٦

(٤) حـ ٥ / ٤٣٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رابعاً / نداء الضمير :-

جاء فى شرح التصريح على التوضيح : أن نداء الضمير شاذ ، وظاهر ذكر المصنف له فـــى عداد هذه الكلمات أنه مطرد ، ولكن قصره ابن عصفور على الشعر ، واختار أبو حـــيان أنـــه لا يـــنادى البتة فالأقوال حينئذ ثلاثة ، ومحل الخلاف هو ضمير المخاطب خصيصاً (١)

وضمير المخاطب يأتى على صيغتى المنصوب والمرفوع ، فمن الأول قولهم : يا إياك قد كفيتك " والثاني : نحو قول الآخر :

يا أبجر بن أبجر يا أنتا * أنت الذى طلقت عام جعتا

قد أحسن الله وقد أسأتا (٢)

قال الشيخ خالد : وأنت الأول منادى ، وكان القياس أن يقول :

يا إياك ، لأنه مفعول حُذف عامله ، ولكنه أناب ضمير الرفع عن ضمير النصب ، أو لأنه لما اطّرد مجيئه بلفظ المرفوع جاز مجيئه بلفظ ضمير الرفع (٣)

لكنَّ بعضاً آخر من النحاة يؤكد على صحة نداء ضمير المخاطب قائلاً :

و الذى يدل على أن الأصل فى كل منادى النصب قول العرب :

يـــا إياك ، لما كان المنادى منصوباً و كنّوا عنه أتوا بضمير المنصوب على ما اســـتدل به ســـيبويه (٤)

و قد استدل مَنْ وافق على نداء ضمير المخاطب بقول الشعر :-

يا أنت يا خير الدعاة للهدى * لبيك داعياً لنا و هادياً(٥)

أمـــا المانعون نداء الضمير مخاطباً و غير مُخاطب من ضمير الغيبة ، و الحضور و الـــتكلم – فيرون أن قولهم يا إياك " هو تقديره : يا إياك أعنى . بتقدير فعل على باب الاشتغال ، و نصبت إياك لأنها مضافة و لم تنصب " أنت " لأنها مفردة (٦)

---

(١) شرح الصريح على التوضيح حـ ٢ / ١٦٤

(٢) السابق والشاعر هو الأحوص ، وفى شرح المفصل جاء البيت يا حُرَّ يا أنتا * أنت الذى طلقت عاماً جعتا شرح المفصل حـ١ / ١١٧

(٣) شرح التصريح حـ٢ / ١٦٥

(٤) - شرح المفصل حـ ١ / ١١٧

(٥) - النحو الوافى حـ ٤ / ١١

(٦) السابق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد حدد هؤلاء المانعون مجموعة من الأسماء لا تصلح لأن تكون منادى و من هذه الأسماء التى لا تصلح للنداء :

١) اسم الاشارة المتصل بكاف الخطاب ، لأن مدلول كاف الخطاب يخالف مدلول المنادى اسم الإشارة ، فلا تقول :

يا ذلك - يا ذاك - يا هذاك

عند الجمع بين الهاء و الكاف .

٢) و كل اسم أضيف لضمير المخاطب لا يصلح لأن يكون منادى مثل : يا صديقك .

٣) و ضمائر المتكلم ، و الغيب مثل : يا أنا ، يا هو و ما يتفرع عنها من مذكر ومؤنث و مثنى و جمع [١]

أما نزار قبانى فقد نادى الضمير المخاطب و نادى ضمير المتكلم فى غير الشعر فقال :

" حتى تصير كلمة يا أنت على لسان المتصوف أو العاشق تعنى يا أنا "[٢]

و ذلك فى معرض حديثه عن عشق الشعراء و عشق الصوفية قائلاً :

" بين العشق و الصوفية نقاط التقاء كثيرة . و العاشق الكبير ينتهى فى آخر الأمر إلى متصوف كبير "

و إذا كانت غاية المتصوف هى الفناء فى ذات الله والحلول فيه ، فإن غاية العاشق هى الفناء فى ذات المعشوق و الحلول فيه ، حتى تصير كلمة يا أنت على لسان المتصوف أو العاشق تعنى يا أنا [٣]

و يقول نزار عقب ذلك : و إذا درسنا بدقة مفردات كبار المتصوفة ، كالنفرى و أبى العتاهية ، و جلال الدين الرومى ، و محى الدين بن عربى ، و رابعة العدوية لاحظنا الشبه الكبير بينها و بين مفردات الصوفية .

فكل واحد يعشق بطريقته . [٤]

و كأن نزار قبانى برغبته القوية فى التجديد ، يريد من خلال إبراز الصلة و العلاقة بين الشعراء و المتصوفين يريد أيضاً إطلاق الحرية للمتحدث أن يستخدم من لغته كل التراكيب المتاحة و التى أباحها النحاة القدامى ، و أن يستخدم كل تركيب يخدم فكرة

---

(١) النحو الوافى حـ ٤ / ص ٤ ، ١١ ، ٦٨ و الصبان حـ ٣ / أخر باب النداء

(٢) الأعمال النثرية حـ ٨ / ١٦٣

(٣) السابق

(٤) السابق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المثقفيـــن و المفكرين و المبدعين فى نقل فكرهم و ثقافاتهم سواء أباحه النحاة القدامى أم لم يبيحوه .

و لقـــد رأيـــنا نزار قبانى ناجحاً نجاحاً ملحوظاً فى استخدامه لنداء ضمير المخاطب و ضمير المتكلم لشرح امتزاج علاقة الشعراء بالمتصوفة .

و لخص هذا الامتزاج ، و هذا التداخل و التشابه باستخدامه لهذا التركيب الذى جاء على غـــير ما يريد النحاة القدامى : حتى تصير كلمة يا أنت على لسان المتصوف أو العاشق تعنى يا أنا .

و قد وقع فى شعر نزار قبانى نداء الضمير المفرد المخاطب و ذلك فى قصيدة القرار " فى قوله :

- يا أنتِ . . . يا سلطانتى و مليكتى
- إنى أحبك . . دون أدنى تحفظ
- و أعيش فيك ولادتى و دمارى . (١)

إن نداء نزار للضمير هنا - ضمير الرفع المنفصل " أنت " هو بمثابة إيحاء لاستعمال قديم جداً لم يبق منه إلا إشارات النحاة له بأنه ليس فصيحاً ، لقلة استعماله أيامهم .

إنّ مهمة الشعراء - أمثال نزار - القيام بمثل هذه المهمة ، مهمة بعث الاستعمالات التى يحتاجون إليها سواء كانت مما وافقت قواعد النحاة أم كانت مما خالف قواعدهم .

---

(١) القرار حـ ٤ / ١٠٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأسماء الموصولة :

" أل " الموصولة :

و ردت " أل الموصولة " فى شعر نزار فى مواضع متعددة و جاءت فى مواضعها من شعره على ما قرره النحاة القدامى ، و على غير ما قرروه لها .

فقد ذكر النحاة أن " أل الموصولة " لا توصل إلا بصفة صريحة و هى عندهم : اسم الفاعل ، و اسم المفعول ، و صيغ المبالغة و رفض البصريون دخول "أل الموصولة " على الصفة المشبهة لضعف شبهها بالفعل . و أجازه الكوفيون . (١)

و اشترط النحاة فى اسم الفاعل و اسم المفعول و صيغ المبالغة الدلالة على التجدد و الحدوث لكى تكون هذه الصفات صالحة لدخول " أل " عليها ، فإن لم تدل على التجدد و الحدوث كانت " أل " فيها هى " أل " التعريفية أو التى للعهد . (٢)

أما وصل " أل الموصولة " بالفعل المضارع فشاذ ، و جعله ابن مالك نادراً ، وجعلوا منه قول الشاعر : –

ما أنت بالحكم التُرْضَى حكومته * و لا الأصيل و لا ذى الرأى و الجدل (٣)

و من الضرورة أيضاً دخول " أل " على الجملة الاسمية أو الظرف و من ذلك قول الشاعر :

من القوم الرسولُ الله منهم * لهم دانت رِقاب بنى معد (٤)

فلفظة " الترضى " هى عبارة عن " أل " التى بمعنى " الذى " اسم موصول داخلة على "تُرْضَى" الفعل المضارع ، و كأن الكلام هو .

ما أنت بالحكم الذى تُرضى حكومته . . . (٥)

و كذلك " الرسول الله منهم " مؤداها : القوم الذين رسول الله منهم . . . "

و فى بقية مواضع محيئها فى شعر ذى الخِرَق الطُّهوِى هى قوله " . . . الحمار اليُجدَّعُ " أى الحمار الذى يجدع .

---

(١) شرح المفصل حـ ٣ / ١٤٣

(٢) النحو الوافى حـ ١ / ٣٧٥

(٣) شرح ين عقيل حـ ١ / ١٥٧

(٤)

(٥) شاهد رقم ٣١ من شرح بن عقيل حـ ١ / ١٥٨ ، و شرح المفصل حـ ٣ / ١٤٣ - و خزانة الأدب حـ ٥ / ٤٨٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و " . . . . بالشيخة اليُنقَصَّعُ " أى : الشيخة التى يتقصع [1]

و مـــن رفض دخول " أل " على المضارع ، فلأن ذلك فاسد فى اللغة العربية وروى الأبيات خالية من الفعل حيث حول اليجدَّع إلى المجدع و حول اليتقصع إلى المتقصع " و الشـــعر العـــربى حمل إلينا مواضع أخرى لدخول " أل الموصولة " منها دخولها على الظرف فى قول الشاعر :

ومن لا يزال شاكراً على المعه * فهو حرٍ بعيشة ذات سعة [2]

فقوله " المعه " أى الذى معه .

أما نزار قبانى فقد أدخل " أل الموصولة على الفعل الماضى ، برغم أن كثيراً من النحاة رفض دخولها على المضارع ، و رفضه للماضى أولى و أكثر

قال نزار قبانى :

- ما للدمشقية الكانت حبيبتنا
- لا تذكر الآن طعم القبلة الأولى

فقوله " الكانت " أى : التى كانت حبيبتنا و كأن نزاراً يريد أن يقول للنحاة : إن اللغة و الشـــعر يقبلان دخول " أل " الموصولة على الفعل مضارعاً كان أم ماضياً ، و اللغة الشعرية الثالثة عند نزار قبانى تقبل دخول " أل " الموصولة على الحرف أيضاً ، و من أمثلة دخولها على الحرف " مِنْ " فى قوله :

- ياوطنى :
- با أيها الضائع فى الزمان والمكان
- و الباحث فى منازل العُربان
- عن سقف و عن سرير
- لقد كبرنا و اكتشفنا لُعبة التزوير
- فالوطن المن أجله مات صلاح الدين [3]
- يأكله الجائع فى سهولة

---

(١) أنظر الأغانى حـ ١٤ / ١١١ – و نوادر أبى زيد ٦٧ و الأنصاف حـ ١ / ١٥١ ، ٣١٦ ، ٥٣٢ ، و شرح المفصل حـ ٣ / ١٤٤ ، و شرح شواهد المغنى ٥٩ و العين ١ / ٤٦٧ و الهمع حـ ١ / ٨٥ و تمام البيتين هما فى شرح لبن عقيل حـ ١ / ١٥٨

يقول الخنى ، و أبغض العجم ناطقا * إلى ربنا صوت الحمار اليجدَع

فيستخرج اليربوع من تافقائه * و من حجره بالشيخة اليتقصَع

(٢) مجهول القائل شرح بن عقيل حـ ١ / ١٦٠

(٣) سواويل دمشقية حـ ٣ / ٥١٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- كعلبة السردين
- والوطن المن أجله قد غنّت الخيول فى حطين
- يبلعه الإنسان فى سهولة
- كقرص أسبرين

فنحن نلاحظ أن نزاراً قد أدخل أل الموصولة على " من" حرف الجر ، برغم منع النحاة لذلك وعدم موافقتهم عليه .

وكأن نزاراً يريد الإشارة إلى أمر أخر مضافاً إلى ما مضى ، وهو تأكيده على صحة قول مَنْ قال أن" ال " الموصولة اسم ، وليست حرفاً ، لأنها هنا دخلت على حرف ودخولها على حرف يعنى أنها اسم لأن حرف الجر بعدها له مجرورة وهو مجرور شبة جملة صلة الاسم الموصول " ال" .

وليس هذا فقط بل إن نزاراً كأنه كان ينادى بإطلاق دخول "ال" الموصولة على كل لفظة تقبلها ويقبلها السياق ، وتؤكدها لهجته الشاميّة التى لها أصول عربية قديمة والتى تدخل "ال" الموصولة مطلقاً على جميع الألفاظ حرفية ، واسمية ، جامدة ومشتقة ، وفعلية ماضية ومضارعة ، وسواء كان الفعل تاماً أم ناقصاً ناسخاً

و من ذلك قوله فى أخيه الأمير الدمشقى توفيق القبانى :

- سأخبركم عن أميرى الجميل
- عن الكان مثل المرايا نقاءً ، ومثل السنابل طولاً
- ومثل النخيل ...."[٢]

وقولة :

- عن الكان تعنى : عن الذى كان مثل المرايا ...

جملة الصلة لاسم الموصول المنادى :

تحدث النحاة حديثاً مستفيضا عن جملة الصلة ووضعوا لها ضوابط ، وحددوا لها حدوداً ، وجعلوا لها خصائص دقيقة يحسن أن نشير إلى شئ ذى صلة قريبة مما وجدناه فى شعر نزار قبانى ، وشكّل ملامح لغته الثالثة فى شعره .

فقد تحدث النحويون رحمهم الله عن ضمير الخطاب أو الغيبة أو المتكلم فى جملة الرابط الذى يربطها بالأسم الموصول فى الجملة .

---

(١) إلى الأمير الدمشقي توفيق قباني حـ٢ / ٢٨٠

(٢) قال عباس حسن حـ٢ /٣٨٦ إذا وقع الظرف نفسه صلة " ال" بأن دخلت عليه مباشرة كصنيع بعض القبائل العربية فى مثل قولهم : سررت من الكتاب المعك " يريدون الذى معك ....."

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأباحوا أن يكون هذا الضمير الذى تحتوى عليه جملة صلة الموصول للخطاب أو للمتكلم أو للغيبة مثل أنا الذى حضرت – أو أنا الذى حضر – أو أنت الذى برعت فى الفن [١]

لكن النحاة منعوا هذه التوسعة فى أداء جملة الصلة فى مواضع منها :

- إذا كان اسم الموصول تابعاً لمنادى "أى " أو " أية "[٢] خاصة ، وعمّم أخرون ذلك المنع فى كل اسم موصول منادى وبناء على هذا منعوا أن نقول : يا أيها الذى نصرتَ الضعيف "
- أو يا أيتها التى نصرت الحق ستفوزين

فلا يصح فى المثالين السابقين أن تشتمل الصلة على ضمير خطاب فى رأى بعض النحاة ، دون بعض آخر .

والحقيقة أن اللغة لا تقبل مثل هذه الفرامانات الحجرية التى لا تراعى مرونة اللغة وتجددها ، وتحركها ، ورغبتها فى التغيير ، والتطور ،ومسايرة العصور والأمكنة والحالات الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ،بل والعسكرية وغيرها مما يلعب دوراً رئيسياً فى التأثير على اللغة والتأثر بها .

فقد منع صاحب الهمع مجيء الموصول منادى مبدوء بأل وصلته محتوية على الخطاب ، وهذا يتعارض مع وظيفة اللغة على ألسنة متكلميها من الخاصة والعامة ، لأنّ حاجتهم قد تضطرهم إلي استعمال هذا ، أو استعمال ذاك .

وقد ساير نزار قبانى طبيعة اللغة التى تعطى متكلميها أقصى ما لديها ليعبروا فى غير خلط أو ليس عما يريدون فجاء بما منعه صاحب الهمع ، وغيره .

قال نزار :

- من أجل وصلكْ
- يا التى داخت على أقدامها
- أقوى الممالك .
- حرّرينى
- من جنوني وجمالك [٣]

* ويقول :-

---

(١) النحو الوافي حـ١ / ٣٨١

(٢) السابق

(٣) حـ٤ / ١١٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- يا التى حبى لها [1]

.....

- يا التى يأخذنى قفطانها المشغول بالزهر
- إلى أرض العجائب .
- يا التى تنتشر الشامات فى أطرافها
- مثل الكواكب [2]

ويقول :

- يا التى تبكى طوال الليل عصفور الأمل.
- سبق السيف العزل. [3]

وهـذا الذى جاء به نزار من مثل قوله : يا التى تبكى ويا التى داختْ – يا التى يأخذنى قفطانها.

كل هذه الأداءات تقبلها اللغة ، وهى توسعة تلبى حاجات المتكلمين فى كل زمان ومكـان ، وينبغى علينا أن نقبلها ، وألا نرفضها بدعوى رفض بعض النحاة لها ، لأن رفض بعض النحاة ، وليس كل النحاة أو حتى كل النحاة – ليس دليلاً على رفض اللغة لها لأن كل ما يمكن استساغته ، ويؤدى المعنى المقصود من غير خلط فهو مقبول لدى الشعراء ، محركى اللغة ، ومجدديها و .....و.....

ومن ذلك قول نزار :

- يا التى أزرع فى أحشائها.
- السيف الأخير.
- ماتهم الأبجديات ....فأنت الأبجدية .....
- يا التى عشتُ إلى جانبها العشق .....جنوناً [4]

ومن ذلك قول نزار :-

- يا التى تعتقلنى فى داخل قصائدى.
- وتتحكم بمفاتيح حنجرتى [5]

---

(١) حـ٤ / ١٢٢

(٢) حـ٤ / ١٢٣

(٣) جـ٤/ ١٩٩

(٤) جـ٤/ ٣١٦

(٥) جـ٤/ ٣١٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنه قــوله :

- يا نبى العنــف .
- يا الذى أطلقنا من أسر
- ويا الذى حَرَّرنا من خوف[1]

ومنــه قــوله :

- آه ..... يا سيدتى الكسلى.
- التى ليست لديها مشكلة
- يا التى ترتشف القــهوة
- من خلف الستور المقفلة
- حــاولى[2]

الفصل بين اسم الموصول وصلته :-

لقــد اشــترط النحاة شروطاً مهمة لجملة الصلة وعلى رأسها عدم الفصل بينهما بفاصل أجنبى ، أى : ليس من جملة الصلة نفسها ، وألا يَفْصلَ بين أجزاء الصلة فاصل أجنبى ففى مثل : اقرأ الكتاب الذى يفيدك فى عملك ، وأرشد إليه غيرك ... لا يصح أن نقول : اقرأ الكتاب الذى -غيرك - يفيدك فى عملك ، وأرشد إليه "لوجود فاصل أجنبى بيــن الموصــول وصــلته ، وهو كلمة : " غير " التى هى من جملة أخرى غير جملة الصلة.

- لكــن النحاة – رحمهم الله – أجازوا الفصل بين الموصولات الإسمية وصلتها بالقسم نحــو : غاب الذى "والله" قَهر الأعداء أو جملة النداء بشرط أن يسبقها ضمير المخاطب نحــو : أنــت الذى – يا حامد – تتعهد الحديقة- أو بالجملة المعترضة أو بجملة الحال نحو: حضر الذى – وهو مبتسم – يحسن الصنيع أو كان الزائدة ، نحو : كرمت الذى – كان – شاركته فى العمل[3].

- كذلــك يجوز تقديم بعض أجزاء الصلة الواحدة على بعض بحيث يفْصل المتقدم بين الموصول وصلته ، أو بين أجزاء الصلة ، إلا المفعول به. فلا يصح تقديمه على عامله.

---

(١) جـ ٦ / ٧٤

(٢) جـ ٦ / ٢٣١

(٣) النحو الوافى جـ١/ ٣٧٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن كان الموصول حرفياً غيْر "ما" فنقول : تفتح الورد الذى – العيون – يسُرّ ببهائه. أو: تفتح الورد الذى ببهائه – يُسر العيون.

وعلى هذا امتنع الفصل بين الموصول وصلته بغير ما تقدم ، وامتنع الفصل بين ال الموصول وصلتها لأنهما كلمة واحدة ، وبين الموصولات الحرفية وصلتها خلا" ما" فيجوز لها الفصل .

ولمـــا كـــان الفصل بين الموصولات وصلتها غير جائز إلا على الوجه السالف امتـــنع مجئ تابع الموصول قبل مجئ صلته ، فلا يكون له قبلها نعت ، ولا عطف بيان أو نسق ، ولا توكيد ، ولا بدل ، وكذلك لا يخبر عنه قبل مجئ الصلة ، وإتمامها ، لأن الخبر أجنبى عن الصلة ، وكذلك لا يستثنى من الموصول ، فلا يصح :

رجع الذى – الصالح – ينفع المحتاجين ،ولا يصح : يحترم العقلاء الذى – محمداً – يفيد غيره " ، ولا : نظرت إلى الذى – والحصن سكنته" ، ولا رأيت التى – نفسها – فى الحقل " ولا : وقف الذين – إلا محموداً – فى الغرفة" تريد : رجع الذى ينفع المحتاجين لصالحُ ورأيت التى فى الحقل نفسها. (١)

- وإذا نظرنا فى شعر نزار قبانى وجدناه نحوياً بارعاً ، وشاعراً لا يشق له غبار، وشعره هو شعر الشعراء الكبار على مر الأعصار.

إنـــه الشـــاعر النحوى الذى وقف أمام أدق التفصيلات النحوية التى تغيب عن بال الكثيريـــن من أمثاله ، والكثيرين من النحاة الذين يسمون أنفسهم نحاة، و هم أبعد الناس عن النحو وروحه المرنة المتجددة برغم قيود كثيرة طلب إليه أن يقيد اللغة وأهلها بها ، فقـــيّد نفسه ، وترك اللغة حرة طليقة فى أيدى الشعراء والأدباء ، أمثال نزار قبانى الذى عرف التفصيلات السابقة عن الموصول وصلته وتحرّر من كل قيد يجعله لا يفصل بين الموصـــول وصـــلته ، ومن كل قيد يجعله لا يقّدم شيئاً من معمولات فعل جملة الصلة عليه.

فهو يفصل بين الاسم الموصول وبين فعل جملة الصلة بغير أجنبى عنهما بقوله :

- طلبوا منا أن ندخل فى مدرسة القتل.
- وكلنّا رفضنا.
- طلبوا منا .... بأن نشتم بيروت التى قمحاً .

---

(١) النحو الوافى جـ١ / ٣٨٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وحباً ، وحناناً ..... لطعمتنا
- طلبوا
- أن نقطع الثدى الذى من خيره ، نحن رضعنا
- فاعذرنا
- آه يا سيدتى بيروت
- .....
- قد تغيرت كثيراً
- وتغيرنا كثيراً
- وكبرنا نحن – فى عامين – آلاف السنين[1]

لقد رأينا أن من خصائص اللغة الثالثة عند نزار عدم الاكتراث بالقواعد الحجرية الكبرى التى تعطل موهبة الشعراء ، والاهتمام بالقواعد البسيطة التى يظن الناس أنها غير موجودة ، لعلم معرفتهم بها فيدهشون إذا سمعوا شخصاً أديباً أو غير أديب يوسع مساحة الحرية لعناصر جملته، يقدم عنصراً على عنصر بشرط عدم فساد المعنى ، وضياع المقاصد ظانين أن ذلك أمر جديد ، أو مرفوض ، وذلك لعدم إدراكهم لصحته استعمالاً ، وسماعاً وقياساً ...

لكننا لاندهش من شاعرنا إذا رأيناه ينقل إليها تجربته الشعورية ، ومعاناته الشديدة من أولئك الذين أداروا الحرب الأهلية فى لبنان بين أبناء البلد الواحد ، بل وانشأوا لذلك مدارس لتعليم أهل هذه البلد كيف يقتل كل منهم أخاه ، ويسب ويلعن رموزه ، ويتخلى عن أى ولاء لبلده أو لعروبته إن شاعرنا محتاج لتحريك عناصر جملة الصلة فيما بينها علّه يوفق فى تثبيت المبادئ ، والقيم التى اهتزت وعله يوفق فى أن يرى أهل لبنان قد استقرت عناصر مجتمعهم ، والتأم شملهم ، ولا بأس فى سبيل الوصول إلى ذلك من تقديم عناصر جملة الصلة أو الفصل بين الاسم الموصول وصلته بفاصل أجنبى عن جملة الصلة أو غير أجنبى.

****

(١) جـ٢ / ٣٤١ من سبع رسائل .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملمح الثالث : محاكاة المستويات المعاصرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المستويات المعاصرة :

سوف يحتوى هذا المبحث التراكيب ، و الأنماط ، و الألفاظ التى وردت فى شعر نزار ،و نثره مما يمكن أن يكون قريباً إلى المستويات المعاصرة منه إلى المستويات التراثية أو النظم القرآنى ، لكن ذلك لا يمنع من وجود صلة ليست ضعيفة بين أساليب نزار الموجودة فى هذا المبحث ، و بين المستويات التراثية المتمثلة فى اللهجات العربية القديمة المشهور منها

و غير المشهور و قد يقول قائل إن كثيرا مما جاء فى هذا المبحث يمكن وضعه فى المبحث الماضى الخاص بالمستويات التراثية و كثير مما جاء فى مبحث النظم القرآنى يمكن وضعه فى المبحث الخاص بالمستويات التراثية ، و هذا صحيح و يدل على أن لغتنا عظيمة متقاربة.

المستويات ليست منبتة الصلة فيما بينها وبين ماضيها و حاضرها ، و بخاصة فى تراكيبها و أساليبها .

إن هذه إشارة قوية و دليل واضح يطمئننا على حاضر لغتنا و مستقبلها بشرط تحقق أمر مهم هو :

التعامل المرن مع نتاج أدبائنا المبدعين الثقاه على مر العصور و البحث عن كل وسيلة تساعدهم على الاستمرار فى إبداعهم بتقبل تجديدهم للغة ، و إيجاد القواعد المناسبة التى تقبل إبداعهم ، و عدم التمسك بقواعد ميتة و اشتراطات لا قيمة لها و لا أثر لها فى دلالة التراكيب.

كلّما :

ذكر النحاة أنّ " كُلّما " ظرف مركب من كلمتين هما :

"كل" و "ما" وهو بهذا التركيب اللفظى يفيد تكرار المعنى ، نحو : كلما رأى الناس المصلح أكبروه ، ويقول النحاة: إنّ كلمة " كل " فيه منصوبة باتفاق ، وأنها مضافة إلى كلمة "ما" المصدرية ، أو التى تعتبر نكرة بمعنى "شئ" وهذا الشئ "وقت" فكلمة "ما" هنا محتملة لوجهين.

أحدهما : أن تكون حرفاً مصدرياً والجملة ، بعد هذا الحرف المصدرى صلة له ، لا محل لها من الإعراب .....

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والآخر : أن تكون "ما" اسماً نكرة بمعنى "وقت" فلا تحتاج على هذا إلى تقدير : وقت ، والجملة بعده فى محل جر صفة ، فتحتاج إلى تقدير ضمير عائد منها ، أى : كل وقت رأى الناس فيه ....

مع ملاحظة أن كلمة "كل" منصوبة حتماً ، وبقى أنه يحتاج إلى جملتين ماضيتين بعده ، والثانية منهما بمنزلة الجواب له ، مع أنه ليس أداة شرط، والماضى فيها هو عامل نصبه، ويجب تأخيرها (١)

ويرى باحثون معاصرون أنّ من أدوات الشرط لفظة "كل" وهى عنده تكون جزاءً فى المعنى غير جازم ، تقول : كل رجل أتانى فله درهم "فيكون جزاءً فى المعنى ، لدلالته على العموم.

أما إذا قُصِد به مُعيّن ولم تدلّ على الشيوع فإنه حينئذ لا يجوز دخول الفاء على خبره ، فتقول: كل رجل أتانى له درهم ، إذا قصدت شخصاً معيناً ، كما هو الحال فى الاسم الموصول

أما عن عدم جزم هذه الأداة ، ومثيلاتها لما بعدها فيقول : إن مثل هذه الكلمات وإن دلت على معنى العموم والشيوع ، فهى تختلف عن أدوات الشرط الجازمة فى شيئين :

١- أن الجملة التى ترد بها جملة واحدة ، فما دخلت عليه الفاء هو خبره، بخلاف الحال فى جملة الشرط بأدوات الشرط فإنّ بها جملتين ربط بينهما روابط ، إما علامة الجزم أو الفاء أو إذا.

- أما فى الأسماء الموصولة أو مثل لفظة "كل" فقد اكتفى بالفاء للربط بين جملة الصلة والخبر.

٢- أدوات الشرط اختصت بهذا العمل ، إذ إن النحاة يعدون الاختصاص من أسباب العمل ، كما هى الحال فى أدوات النفى بعضها يجزم ، وبعضها لا يجزم لعدم الاختصاص(٢)

ويرى آخرون أن " كلما " أداة شرط غير جازمة كما فى مثل قوله سبحانه : " كلما أضاء لهم مشوا فيه " ، ومثل قوله سبحانه : " كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ..... "

---

(١) النحو الوافى جـ٢/٢٩٤ والمغنى جـ١/ والهمع جـ١/٢٠٧

(٢) الجانب الدلالى لأدوات الشرط د. محمد حسين أبو الفتوح مجلة "الدارة" بالرياض ص ٩٠-٩٥ العدد الثانى ١٤١٤هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونص هؤلاء على أن التركيب الذى يحتوى على الأداة كلما ، لا يجوز مجئ جوابها محتوياً على " كلما " أو إلا ، حتى لا تتكرر كلما ، أو ينتقص جوابها بإلا مع ملاحظة أن كلما تدخل على فعلين ماضيين " (١)

ورأى آخرون أن تكرار كلما ، أى : مجيئها فى بداية الشرط وبداية الجواب ، ما هو إلا محاكاة لتراكيب فى اللغة الإنجليزية خاصة بالأساليب الشرطية مثل قولهم كلما عمل كذا كلما ربح (٢)

The more he work , the more he earns.

ويلفت النظر أيضاً أن عامة المثقفين إلى استخدام هذا التركيب المحاكى للتركيب الإنجليزى السابق ، فمثلاً يقول د. السعيد بدوى وهو من المتخصصين الحاذقين فى علم اللغة والتدريس النحوى :

" .....فتمسكهم بالتعبيرات الجاهزة ، وكثرة استخدامهم لها جعل من لغتهم مخزناً لهذا النوع من العبارات. وهذا الاستنباط يجد له تأييداً - وإن كان بطريق غير مباشر - من طبيعة المستويات العامية الأخرى، فالملاحظ أنه كلما زادت ثقافة المرء كلما زاد محصوله اللغوى من ناحية، وكلما قل استعماله للأمثال والحكم والعبارات الجاهزة من ناحية أخرى ، وعامية المثقفين تكاد تخلو من هذا النوع من المحصول اللغوى...." (٣)

وفى نتاج نزار قبانى الأدبى نثراً وشعراً وردت " كلما " أداة فيها رائحة الشرط مع دلالتها الظرفية ، وقد استخدمها نزار على ما عند النحاة القدامى بحيث تجئ "كلما " التى هى عبارة عن " كل " + " ما " + فعل ماضى هو شرطها مع فاعله + فعل ماضى وفاعله وهذه جملة جوابها ، ولم تتصدر جملة جوابها بأى أداة أخرى.

وتأثر نزار قبانى بلغة عصره ، فصحى العصر " كما يسميها الدارسون المعاصرون ومن نماذج تأثره بفصحى العصر استخدامه للتركيب المبدوء بـ "كلما" قد وردت فيه

---

(١) الصحيح والضعيف فى اللغة العربية ، د. محمود فجال مطبوعات جامعة الإمام سعود - الإحساء ١٩٩٦م ص ١١٢ - مع التذكير بأن " ما " الواردة فى الأيات مصدرية وهى مع ما بعدها مصدر مؤول مضاف إلى كل مع تقدير لفظة وقت بعد كل النحو الوافى جـ١/٤١١

(٢) تنمية اللغة العربية فى العصر الحديث - د. إبراهيم السامرائى - جامعة الدول العربية ١٩٧٣ - معهد البحوث والدراسات العربية ، مصر .

(٣) من كتاب مستويات العربية المعاصرة فى مصر بحث فى علاقة اللغة بالحضارة د. السعيد بدوى - دار المعارف بمصر ص ١٩٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كلمـــا أيضاً مكررة فى جواب شرطها ، حيث بدأت بها جملة الشرط ثم أعيد ذكرها مرة ثانية فى جملة الجواب.

ولقد عثرت فى نثر نزار قبانى على استخدامين للأداة " كلما " :-

الأول : تابع فيه نزار قبانى فصحى التراث حيث جاء التركيب الذى وردت فيه كالتالى:

كلما + جملة شرط ماضوية + جملة ماضوية هى جملة جواب الشرط.

هذا على اعتبار " كلما " أداة شرط غير جازمة أما على اعتبارها ظرفية، فجملة الشرط تعد مصدراً مؤولاً مضافاً إلى " كل " و "ما " مصدرية ظرفية (١)

والجملة الثانية تسمى جملة جوابية ناصبة لهذه الأداة الظرفية ، أو هى خبر وتكملة لهذه الأداة " كل " ومما ورد مثالاً على ذلك فى نثر نزار قوله :

والغريب أننى كلما ضغطتْ أسنان التنين على لحمى ، شعرت أنى أكثر قوة وعافية .

وكلما زاد نقادى شراسة ، زاد التفاف الجماهير حولى. (٢)

وقوله :

- هـــى تلـــك المـــرأة الـــتى كلما ذبحتك تلذذتْ بطعم دمك الساخن... وكلما دفنتْك بين ذراعيها تحولتْ فى الصباح إلى سُنْبلة" !! (٣)

وقوله :

-وإننى لتستبدُّ بى الدَّهشة ، كلما سألنى سائل : هل تستطيع أن تقول إن كل ما كتبته فى الحب كان حصيلة تجارب حقيقية .... ؟!! (٤)

أمـــا التراكيب التى جاءت عنده محاكيه لفصحى العصر الذى عاش فيه ونعيش فيه معه فمن ذلك قوله :

كلما غاص الإنسان فى لحم الحياة ، واشتبك بتفاصيلها اليومية ، كلما شعر بالحاجة إلى تسجيل ما حدث معه. (٥)

لكـــن السؤال الذى يفرض نفسه هو : هل نعتبر" كلما " الثانية تكراراً أو توكيداً الـــ كلما الأولى ؟

---

(١) النحو الوافى جـ١/ ٤١١ هامش (١)

(٢) الأعمال النثرية جـ٧/ ٣٥٩

(٣)السابـــق / نفس الصفحة

(٤)الســـابق : جـــ٧ / ٣٩٣-٣٩٤

(٥) السابق : جـــ٧/٣٩٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أم نجعلها واقعة فى جواب الأولى وهو تركيب ليس موجوداً فى فصحى التراث ؟
والحقيقة هى أن الاحتمال الثانى هو الأولى بالقبول برغم كونه ليس من فصحى التراث، والذى يجعله مقبولاً هو استخدام كثير من المثقفين ، والعلماء المنشغلين بالدرس اللغوى لـــه فى مؤلفاتهم وعلى ألسنتهم ،وهذا فى نظرى يُعدُ توثيقاً له يجعل استخدام الأدباء له غير ملامين عليه.

- طالما -

هذا تركيب مكون من " طال " + ما المصدرية الظرفية ، واستعماله منذ القدم ، أو فى فصحى التراث كثير ، على أساس أن "طال" فعل ماضى ، والمصدر المؤول المكوّن مـــن ما + مدخولها يعرب فاعلاً للفعل "طال" ، وقد ورد ذلك فى نثر نزار كثيراً ، ومن ذلك قوله :

- طالما لعبت فى طفولتى أمام بركة الشعراء.
- طالما تمنيت أن يعمدنى أحد بمائها المثلج.

لكن نزار – رحمه الله – قد تأثر بفصحى العصر التى انتشرت فيها تراكيب محدثة ، تحولـــت فيها " طالما " من فعل + ما المصدرية ....." إلى أداة شرط – جزاء – غير جـــازمة.

ولقـــد رفـــض كثير من المنشغلين بفكرة الخطـــأ والصواب وقل ولا تقل " مثل هذا التركيب الذى له من فصحى التراث ما يؤيده.

غير أننى أميل إلى عدم رفض مثل هذه التراكيب المستحدثة ، ولا أرفضها لانتشار الكثـــير منها على ألسنة وأقلام كثير من المثقفين المتخصصين فى الدرس اللغوى وغير المتخصصين.

لأن انتشـــارها علـــى ألسنة هؤلاء يسوغ للكثير من المبدعين استخدامها، ويجعلهم معذورين فى التقاط مثل هذه التراكيب لتسعفهم فى نقل مشاعرهم ويكون استخدام الأدباء شعراء وغير شعراء لمثل هذه التراكيب بمثابة توثيق آخر لها ، يجعلها بعيدةً عن دائرة الخطأ ، " وقل ولا تقل "

وعـــند استخدام نزار قبانى للفظة " طالما " على اعتبار أنها أداة شرط أو جزاء نراه يسير فى استخدامها على طريقته التى عهدناه عليها ، حيث يذكر بعد هذه الأداة مرة فعل شرط ثم فعل جواب.

ومرة أخرى يأتى بهذه الأداة مصحوبة باسم بعدها فمرة تجئ على النحو الآتى :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طالما + فعل شرط ويحذف الجواب اكتفاءً بما تقدم ومن ذلك قوله:

- إنى أحبك ، طالما أحيا
- وأرجو أن أحبّك.
- كالفراعنة القدامى
- بعد مـوتى .... (١)

ومرة أخرى يذكر بعد هذه – الأداة الشرطية عنده – اسماً كما فى قوله:-

- طالما كنت مهتماً بما كان
- وما سوف يكون

فنحـن نلاحـظ أن تأثر لغة نزار بفصحى العصر كان شديداً ، حيث ظهر ذلك فى استخدامه للتركيب " طالما " على أنه أداة شرط يجئ بعدها جملتان فعليتان إحداهما جملة الشـرط والثانـية جملة الجواب ، ويجوز حذف جملة الجواب اكتفاءً بما دل الكلام عليه قبلُ.

وتجئ جملتا الشرط والجواب ماضيتين.

وتظهـر خصـائص لغـة نزار على هذا التركيب المستعار حيث يذكر بعد أداة الشرط الأسـماء بـرغم أن أدوات الشرط لا يليها إلا الأفعال ، لكنّه جرياً على أسلوبه وتوجهه نراه يكثر من ذكر الاسم بعد أداة شرط كما سبق ذكره ، وكما سيأتى بيانه فيما بعد.

- لـــو :

- لقـد قرر النحاة أن لو الشرطية حرف لما كان سيقع لوقوع غيره ، وأنها لا يليها إلا الأفعال الماضية ، وإن وليها مستقبل فُسّر معناه على المضى.

ومـع أن لـو تخـتص بـالدخول على الفعل إلا أنه يمكن أن تدخل لو على أنّ واسمها وخـبرها ، وبـناء علـى ذلـك فقد نشأ خلاف حول اختصاص " لو " بالأفعال وعدم اختصاصها ، وهل يقدر فعلٌ بعدها تكون أنّ واسمها وخبرها فاعله ، أم يعرب ما بعد " لو" على أنه مبتدأ و يقدر له خبر؟

رأيـان ينطلق كل منهما من أصله الذى اعتمد عليه من القول باختصاص " لو" بالأفعال أو عدم اختصاصها.

---

(١) الأعمال الشعرية : جـ٥/ ٤٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمـــا جـــواب " لو " فقد قرر النحاة أنه إما أن يجئ مضارعاً منفياً أو يكون فعلاً ماضياً مثبتاً والمثبت يكثر اقترانه باللام ، ويقل عدم اقترانه والمنفى يقل اقترانه باللام ، ويكثر عدم اقترانه ويمتنع اقتران المنفى باللام .

هذا ما عند النحاة حول " لو " الشرطية فقط مختصراً دون إخلال [١]

فكيف جاءت " لو " الشرطية فى شعر نزار قبانى ؟

- جاء جواب " لو " على الكثير فيما قرره النحاة ، عندما يكون الجواب مثبتاً يكثر اقترانه باللام ، نثراً وشعراً ، ومن النثر قوله:
- لـــو أنّ لـــيلى وبثيـــنة كانتا فى وضع اجتماعى أكثر تسامحاً وتحرراً، لاختلفت الصيغة ، التى كتب بها الشاعران.
- يقصد مجنون ليلى ، وجميل بثينة – قصائدهما الغزلية" [٢]

ومنه قوله :

- لـــو كانـــت المرأة حلماً عربياً لكان المجتمع العربى حديقة ... وقمراً ، ونافورة ماء، ولما كانت هناك ضرورة لوجودى. [٣]

ومن الشعر قولـــه :

- لو كان حبى شجراً.
- لكنت يا حبيبتى
- غطيت وجه الأرض بالأشجار [٤]

فهذا كله جاء على الأكثر فى جواب لو جاء على الأكثر فى جواب لو فيما قرر النحاة .

- وقد جاء جواب " لو " على القليل ، وذلك فى قول نزار :

- لو كان حبى مطراً
- أغرقت هذا الكون بالأمطار [٥]

وقـــوله :

- لو أحد يمنحنى الأمـــان.

---

(١) شرح ابن عقيل جـــ٤/ ٤٩ – ٥٢ ، وشرح المفصل جـــ٩/٨ والنحو الوافى جـــ ٤/ ٤٩٥

(٢) جـــ٧/ ٣٩٤

(٣)جـــ٧/ ٥٤٦

(٤)جـــ٢/٧٧٥

(٥) جـــ٢/٧٧٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- لو كنت أستطيع أن أقابل السلطان
- قلت له:
- يا سيدى السلطان
- كلابك المفترسات مزقت ردائى
- ومخبروك دائماً ورائى [١]

وقـــوله :

- لو أحدٌ يمنحنى الأمان
- من عسكر السلطان
- قلت له : يا حضرة السلطان
- لقد خسرت الحرب مرتين.
- لأنك انفصلت عن قضية الإنسان. [٢]

.....ومنـــه قـــوله :

- لو أننا لم ندفن الوحدة فى التـــراب
- لو لم نمزق جسمها الطرىّ بالحراب
- لو بقيت فى داخل العيون والأهداب
- لما استباحت لحمنا الكلابُ !! [٣]

..... ومنه قـــوله :

لو مثلك امرأة تكون حبيبتى [٤]

..... ومنه قـــوله :

- لو كان عندى مثل هذه النظرية – يقصد نظرية يشرح بها الشعر – لما كنت شاعراً ، إن المعرفة بما نفعله تعطل الفعل. [٥]

وتجـــئ " لـــو " الشـــرطية مـــتكررة الشرط مفردة الجواب ومن ذلك قوله فى قصيدة العصفور :- وهو رمز للحب ولكل معنى عظيم وجميل.

---

(١) جـــ٦/٤٩١

(٢) جـــ٦/٤٩١

(٣) جـــ٣/ ٩٠

(٤) جـــ٢/٨١٦

(٥) جـــ٧/١٠١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- لو حميناه من البحر وقليلاً ..
- وحميناه من العين قليلاً
- لو غسلنا قدميه بمياه الورد والآسى قليلاً

ويستمر فى ذكر لو + شرطها ، ثم يقطع ذلك بجمل اعتراضية بمثل قوله:

- فلماذا هرب العصفور منا يا شقيَّه
- قد رسمناه بأهداب الجفون
- ونحتناه بأحداق العيون
- وانتظرناه قروناً وقرون

ثم يـــقول

- ربما .....لو أنت من جنتك الخضراء يا سيدتى
- لم تطرديه
- ربما ... لو أنت يا سيدتى ... لم تقتليه ..
- كان سلطـــان زمـــانه

ثـــم يسوق تراكيب شرطية متكاملة مكونة من لو + شرطها + جوابها مع عدم ذكرها ، أى أنه لم يذكر اللام فيقول فى ذات القصيدة :-

- ربما ... لو كان حياً
- دخل الشمس على ظهر حصانه
- ربما .....لو قال شعراً
- يقطر السكرُ من تحت لسانه
- ربما .... لو شاء يوماً أن يغنىَ
- يطلع الورد على قوس كمانه
- ربما لو ظل حياً
- حرّك الأرض بأطراف بنانه

ويلفـــت النظر عند قراءتنا لمواضع ورود " لو " الشرطية فى شعر نزار الأمور الآتية ، ومنها النحوى ، ومنها ما هو غير نحوى على ما يلى:-

١- جاء بعد " لو " المصدر المؤول بالصريح - حيث يجئ جملة اسمية منسوخة " بأنّه " .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهـذا يجعلنا نثق فى رأى النحاة الذين يجيزون ورود الاسم بعد أدوات الشرط التى قيل عـنها إنهـا مختصة بالدخول على الأفعال فقط فلا يليها إلا الفعل ، ولا يليها اسم ، فإن وليها اسم قُدِّر له فعل مناسب يكون هذا الاسم فاعلاً له. (١)

٢- ومـن خصائص جواب " لو " فى شعر نزار عدم سيره على ما قرر النحاة فى أحكام جوابها على ما مضى ذكره.

٣- أمـا تفسير عدم مجئ جواب لو على ما قرر النحاة فى المواضع الماضية فى اعتقادى فأسبابه ترجع إلى ما يلى:

أ- أن الصـواب لـيس مع القائلين بقلة اقتران جواب لو باللام إذا كان منفياً بما وبكثرة اقـترانه باللام إذا كان مثبتاً ؛ لأن اللغة جاءت بغير ذلك ، حيث جاء كثيراً فى مواضع القلة فلمَ يحكم عليه بأنه غير مقبول فى الشعر أو فى النثر قديماً وحديثاً.

ب-أن جانب السياق بما يحمل مع مشاعر إيجابية وسلبية ، انفعالية وعقلية قد لعب دوراً فى جعل شعر نزار يخرج على ما قرر النحاة القدامى فى هذا الباب.

لاحظ مثلاً انفعاله من مواقف الشرطة تجاه المواطنين الشرفاء فى بعض الدول العربية ، ولاحظ المعاملة غير المتحضرة التى يعانيها هو - وهو مثال لكل مواطن - حيث يتمنى أن لو قابل السلطان لفضح أمامه رجال شرطته ، الذين جعلوا كلابهم تمزق رداءه ، وهو باستمرار مراقب برغم شرفه ووطنيته.

وهذا الشعور والإحساس بعدم الرضى وعدم الإحساس بالارتياح أو الأمان يكمن وراءه خـروج نزار على قاعدة جواب " لو " الشرطية حيث لم يجعله يقترن باللام برغم كونه مثبتاً.

فلـم يقل : لقلت له يا حضرة السلطان وإنما رغبته فى سرعة البوح بما يعانى جعلته لا يأتى باللام فى الجواب فقال فى سرعة : قلت له يا حضرة السلطان .....

وفـى النص نفسه يخرج نزار على ما قرر النحاة فى جواب لو إذا كان جوابها منفياً بـ ما حيث كان ينبغى تجرده من اللام ، لكنه يقرنه باللام لأسباب دلالية وسياقية كثـيرة يأتى فى مقدمتها شعور نزار بالحسرة والألم على نتائج تشرزم الأمة العربية ، وتفككهـا ونسـيانها المصالح القومية العليا، وانشغالها بمصالح ذاتية فردية تافهة تخدم

---

(١) راجع : نظرية النحو القرآنى د. أحمد مكى الأنصارى ص ٦٥ و الملحق الشعرى فى آخر الكتاب نفسه من ص ١١٢ - ١٢٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأعداء ، وتضر الأمة وتدمرها ، وتعيدها إلى الوراء آلاف السنين ، وتجعل الأمة جيفة عفنة ، أو فريسة مطموعاً فيها مفترسة من قبل الكلاب.

ولأن الأسباب والنتائج كثيرة ، ولأن النتائج سلبية ومدمرة حتماً ، وقولاً واحداً فقد جاء نـــزار باللام – برغم قلة مجيئها فى هذا السياق عند النحاة ، وانظر مرة ثانية فى كثرة الأسباب وعظم النتائج فى قوله :

- لو أننا لم ندفن الوحدة فى التراب
- لو لم نمزق جسمها الطرىَ بالحراب
- لو بقيت فى داخل العيون والأهداب
- لما استباحت لحمنا الكلاب !!!

وقد يكون تعدد لو وشرطها وإفراد الجواب سبباً من أسباب عدم التزام نزار بأحكام جـــواب " لـــو " مـــن حيـــث اقترانه باللام أو عدم اقترانه ، كما مر علينا فى قصيدة " العصفور" .

****

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نداء الأسماء المحكية والمركبة

- تحدث نحاتنا القدامى رحمهم الله عن الأسماء المحكية الواقعية منادى ، وكذلك الأسماء المركبة ، وذلك فى معرض حديثهم عن المنادى المفرد العلم المبنى قبل النداء مثل أسماء الاشارة هذا ، هذه ، هؤلاء ، والأسماء الموصولة (الذى ، التى ، الذين ، من ، ما) ، وأسماء الشرط والاستفهام وكذلك المنادى الظرف مثل حيث ، أمس الآن ، والأعلام المنقول عن جملة فعلية أو أسمية فجاءت محكية عن هذه الجملة دون تغيير مثل العلم الذى اسمه " صنعت خيراً " علماً على شخص وهذا يسمى تركيباً اسنادياً أو كأن مركباً تركيبياً مزجياً مثل سيبوية ، خمسة عشر أو تركيباً إضافياً مثل : نَصرَ الله ، أو شاء الله .....)

فكل هذه الألفاظ إذا سُمِّىَ بها تكون فى حكم العلم المفرد أو المفرد العلم ، الذى يكون مبنياً على الضم المقدر بسبب حركة الحكاية فى محل نصب .

أما الإعلام المبنية أصالة قبل النداء مثل : أسماء الاستفهام والشرط ، وغيرها فتكون مبنية بناء مقدراً منع من ظهوره حركة البناء الأصلى فى محل نصب .

هذا ما قرره النحاة دون الدخول فى كثير من التفصيلات والجدل والافتراضات التى ملأ النحتة بها باب النداء وقضاياه .

غير أن النحاة جعلوا المركب الإضافى ضمن نوع آخر من أنواع النداء هو المنادى المضاف ، وحكمه النصب مثل يا عَبْدَ الله ، يا نَصرَ الله ..... الخ "

لكن الأمر عند نزار قبانى مشابهاً للمركب الإسنادى ، آخذاً مواصفات المركب الاسنادى من حيث ثبات حركته التى نقل عليها دون تأثر بالوظيفة الجديدة – وهى النداء – التى أصبح فيها .

ومن الواضح أن المركب الإضافى أضعف فى التمسك بحركته وشكله الإعرابى من المركب الإسنادى ، فتأثر المركب الإضافى بالعوامل أكثر من تأثر المركب الاسنادى .

فنحن مثلاً نقول : يا تأبَّطَ شراً " ابتعدْ وجاء تأبَّطَ شراً – وسلمت على تأبَّطَ شراء " وهكذا ولا نستطيع أن نفعل ذلك بالمركب الإضافى فسرعان ما تتغيّر حركة المضاف بتغير وظائفه فى الجملة لاحظ مثلاً:

- جاء عبدُ الرحمنِ – سلَمتُ على عبدِ الرحمنِ – شاهدت عبد الرحمنِ وهكذا ..... " على ما قرره كثير من النحاة ، وهناك آراء أخرى فى المسألة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نداء الأسماء المحكية والمركبة

- تحدث نحاتنا القدامى رحمهم الله عن الأسماء المحكية الواقعية منادى ، وكذلك الأسماء المركبة ، وذلك فى معرض حديثهم عن المنادى المفرد العلم المبنى قبل النداء مثل أسماء الاشارة هذا ، هذه ، هؤلاء ، والأسماء الموصولة (الذى ، التى ، الذين ، من ، ما) ، وأسماء الشرط والاستفهام وكذلك المنادى الظرف مثل حيث ، أمس الآن ، والأعلام المنقول عن جملة فعلية أو أسمية فجاءت محكية عن هذه الجملة دون تغيير مثل العلم الذى اسمه " صنعت خيراً " علماً على شخص وهذا يسمى تركيباً اسنادياً أو كأن مركباً تركيبياً مزجياً مثل سيبوية ، خمسة عشر أو تركيباً إصنافياً مثل : نصر الله ، أو شاء الله .....)

فكل هذه الألفاظ إذا سُمّىَ بها تكون فى حكم العلم المفرد أو المفرد العلم ، الذى يكون مبنياً على الضم المقدر بسبب حركة الحكاية فى محل نصب .

أما الإعلام المبنية أصالة قبل النداء مثل : أسماء الاستفهام والشرط ، وغيرها فتكون مبنية بناء مقدراً منع من ظهوره حركة البناء الأصلى فى محل نصب .

هذا ما قرره النحاة دون الدخول فى كثير من التفصيلات والجدل والافتراضات التى ملأ النحتة بها باب النداء وقضاياه .

غير أن النحاة جعلوا المركب الإضافى ضمن نوع آخر من أنواع النداء هو المنادى المضاف ، وحكمه النصب مثل يا عَبد الله ، يا نصر الله ..... الخ "

لكن الأمر عند نزار قبانى مشابهاً للمركب الإسنادى ، آخذاً مواصفات المركب الاسنادى من حيث ثبات حركته التى نقل عليها دون تأثر بالوظيفة الجديدة – وهى النداء – التى أصبح فيها .

ومن الواضح أن المركب الإضافى أضعف فى التمسك بحركته وشكله الإعرابى من المركب الإسنادى ، فتأثر المركب الإضافى بالعوامل أكثر من تأثر المركب الاسنادى .

فنحن مثلاً نقول : يا تأبّطَ شراً " ابتعدْ وجاء تأبّطَ شراً – وسلمت على تأبّطَ شراء " وهكذا ولا نستطيع أن نفعل ذلك بالمركب الإضافى فسرعان ما تتغيّر حركة المضاف بتغير وظائفه فى الجملة لاحظ مثلاً:

- جاء عبدُ الرحمن – سلمت على عبد الرحمن – شاهدت عبد الرحمن وهكذا ..... " على ما قرره كثير من النحاة ، وهناك آراء أخرى فى المسألة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما نزار قبانى فاستخدم تركيبات إضافية غير قابلة للتأثر بالعوامل السابقة عليها ، وكأنها تركيبات إسنادية ، وكأن نزار قبانى ساوى بين التركيبين فى الاستعمال.

انظر إليه وهو يقول:

- ما زلتُ أُحبّك يا بيروتُ المجنونة.
- يا حقلَ دماء وجواهرْ
- ما زلت أُحبّك يا بيروتُ القلبِ الطيبِ
- يا بيروتُ الفوضى.
- يا بيروتُ الجوعِ الكافرِ ، والشبعِ الكافر [1]
- ما زلت أُحبك يا بيروتُ العدلِ ، ويا بيروتُ الظّلمِ.
- ويا بيروتُ القاتلِ والشاعرِ.
- ويا بيروتُ الظلمِ.
- ما زلت أحبّك يا بيروتُ العشق.
- ويا بيروتُ الذّبْــحِ.
- ما زلت أحبك رغم حماقات الإنسان. [2]

وظاهر الكلام كان يقضى بأن يقول نزار : يا بيروتَ الفوضى فيكون ذلك منادى مضافاً منصوباً.

لكــن نــزاراً – رحمــه الله – عدل عن التعامل مع مثل هذه التراكيب على اعتبار أنها تراكيــب إضافية ، وتعامل معها على اعتبار أنها تراكيب إسنادية ، أو تراكيب أخرى، تحمــل جمــيعها طابع الثبات ، وعدم التغير، والملازمة لمسماها ملازمة الاسم أو العلم لمسّــماه ، سواء كان هذا العلم منقولاً من تركيب إضافى ، أم من تركيب إسنادى أم من تركيب وصفى، صفة وموصوف.

وقــد جعــل نزار قبانى المنادى هنا هو بيروتَ" ثم أدخلها فى تراكيب مختلفة، ملــزماً لهــا حالــة واحدة هى البناء على الضم ، سواء كانت موصوفة فى قوله : " يا بــيروتُ المجــنونة " وكــان مقتضى الإعراب أن يقول: يا بيروتُ المجنونةَ بنصب " المجــنونة" صــفة لبيروت على المحل، لكنه اثر جعل هذا تركيباً إضافياً محكياً بحركته

---

(١) جـ٣/ ٥٨٨

(٢) جـ٨/ ١٥٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأولى قبل ندائه ، ثابتاً عليها بعد ندائه مع تقدير الحركة الناتجة عن وقوعه منادى بسبب وجود حركة الحكاية – الضم.

غير أن هناك تخريجات أخرى يمكن استخدامها فى التعامل مع مثل هذا التركيب " يا بيروتُ الفوضى " حيث يمكن تقدير مضاف محذوف هو : " بلد " ويكون الكلام : " يا بيروتُ بلدَ الفوضى" وتعرب لفظة " بلد " المقدرة على أساس أنها عطف بيان واجبة النصب بسبب وقوعها فى تركيب إضافى ، وهى تابعة للمنادى ، وإذا كان تابع المنادى مضافاً وجب نصبه، لأنه على نية تكرار العامل ، كما قرر النحاة.(١)

وبذلك تعرب لفظة " بيروتُ" منادى مفرداً علماً مبنياً على الضم فى محل نصب. (٢)

ووقع المنادى أيضاً عند نزار قبانى لفظة من ألفاظ الظروف المبنية على الضم مثل "حيثُ" فى قوله :

- يا ست الدنيا يا بيروتْ .....
- يا حيثُ الوعدُ الأول .....والحب الأولْ.
- يا حيثُ كتبنا الشعر .....وخبئناه بأكياس المخمل.
- نعترف الآن .....بأنا كنا يا بيروتُ
- نحبك كالبدو الرُّحَّل.
- نأوى لفراشك طول الليل .....
- وعند الفجر ، نهاجر كالبدو الرُّحَّل (٣)

غير أن النحاة – رحمهم الله – يشترطون لكى تصلح مثل هذه الألفاظ لأن تكون منادى ، أن تكون مُسمًّى بها أى أن لفظة "حيث" هنا ينبغى أن تكون علماً فى هذا السياق على "بيروت".

غير أن السياق هنا يحتمل كون حيث مع ما بعدها علماً على بيروت: يا "حيثُ الوعُد الأول " فحيث الوعد الأول " هى علم على "بيروت" وعلى هذا فيجوز جعل " حيث " وما

---

(١) النحو الوافى جـ٤/ ٤٢،٤٣

(٢) كل هذا على اعتبار صحة الرواية الموجودة فى الاعمال الشعرية بضم "بيروت" ولم أعثر على رواية أخرى بنصبها ، لأن نصبها إن كان موجوداً سيخرجنا من كل هذا ، وإن كنت أشك فى وجود رواية بنصب لفظة بيروت فى المواضع التى ذكرناها ، اعتقاداً منى بأن نزار قبانى قصد ذلك قصداً ليصور لنا بيروت كما رآها بعينه وكأن بيروت قد أصبح لها أكثر من اسم تعرف به خلال فترة الحرب الطائفية وقبلها.

(٣) جـ٣/٥٨٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أضيفت إليه – الجملة الاسمية بعدها – هى المنادى ، وهذا أرجح ، ويجوز جعل " حيث " فقط هى المنادى مبنية على ضم مقدر منع من ظهوره حركة الحكاية ، أو حركة البناء الأصلى فى محل نصب.

فحركة الحكاية على اعتبار أن المنادى هو : " حُيثُ الوعدُ الأول " وحركة البناء الأصلى على اعتبار أن المنادى هو " حيث " وإن لم يكن أحد هذه التوجيهات الإعرابية كافياً أو مقبولاً فى توجيه نداء مثل هذه الألفاظ والتراكيب – يا حيثُ الوعدُ الأولُ ، أو يا بيروتُ المجنونةِ أو يا بيروتُ العدلِ أو .....أو ..... "

فإنَّ جعل أداة النداء هنا للتنبيه فقط هو وسيلةٌ قوية من وسائل الخروج من تقدير الإعراب ، وقد يكون جعل المنادى محذوفاً بعد أداة النداء تخريجاً وجيهاً ، وإن كان الموافقون عليه من النحاة يشترطون له شروطاً لم تتحقق فى بعض المواضع الماضية.

لكنَّ السؤال الذى يحتاج إلى إجابة هنا – وقد تكون إجابته فى بحوث أخرى بلاغية أو أدبية حول شعر نزار – هو لماذا جاء المنادى فى شعر نزار من هذه الأنواع وهل عَدَلَ نزار عن بقية أنواع المنادى الأخرى ؟

أما ثانياً:-

ففى الحقيقة لم يَعْدِل نزار قبانى عن بقية أنواع المنادى فقد جاء فى شعره المنادى المضاف ، والمنادى النكرة المقصودة ، والمفرد العلم ، والنكرة غير المقصودة.

فمن المنادى المضاف قوله :

- يا وطنى.
- يا أيام عاشوراء.
- يا مآذن الله التى تدعو إلى المقاومة.
- يا زغرودة النساء
- يا فصائل النمل التى
- تهرب السلاح للمقاومة(١)

ومنه قوله:

- يا وطنى الحزينْ
- حَوّلتنى بلحظةٍ

---

(١) جـ٦ / ٦٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- من شاعر يكتب شعر الحب والحنين
- لشاعر يكتب بالسكين. (١)

ومنـــه قوله :

- أنعى لكم يا أصدقائى اللغة القديمة
- والكتب القديمة
- أنعى لكم
- كلامنا المثقوب كالأحذية القديمة
- ومفردات العهر والهجاء والشتيمة.
- نهاية الفكر الذى قاد إلى الهزيمة

ومنـــه قـــوله :

- أبا تمام : أين تـــكون .....
- وأين يدّ'' مغامرة تسافر فى مجاهيلٍ ، وتبتكرْ
- أبا تمام :
- أرملة'' قصائدنا .....وأرملةٌ كتابتنا.
- أمير الحرف سامحنا
- فقد خُنّا جميعاً مهنة الحرف. (٢)
- أبا تمام:إن النار تأكلنا
- وما زلنا نجادل بعضنا بعضاً
- عن المصروف والممنوع من صرف.
- وجيش الغاصب المحتل ممنوع من الصرف...!!! (٣)

ومنـــه قـــوله :-

- يا ستّ الدنيا يا بيروت (٤)

وجـــاء فى شعر نزار المنادى المفرد والعلم:-

ومنـــه قولـــه:-

---

(١) جـ٣/ ٧١

(٢) جـ٣/ ٣٨٤

(٣) جـ ٢ / ٣٥١

(٤) جـ٣/ ١٤٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يا شامُ أين هما عينا معاوية ؟[1]

وقوله :

- فرشتُ فوق ثراك الطاهر الهُدبا.
- فيا دمشقُ ، لماذا نبدا العتبا. [2]

وقوله:

يا ستَ الدنيا يا بيروتْ[3]

وقوله:

- قومي من نومك
- يا سلطانةْ ..... يانوارةْ
- قومي لكي يبقى العالمْ يا بيروتْ
- ونبقى نحن .....
- ويبقى الحبُ [4]

ومن المفرد العلم المنون رفعاً بالضمة قوله :

- فيا فاطمةٌ.
- إفتحي قوفي مظلات الحنان. [5]

وقوله :

- من أين يأتي الشعر يا قرطاجةُ.
- والله مات .....و عادت الأنصابُ[6]

وقوله :

- أين معنى القصر يا قرطاجةُ''.
- كيف الحضورُ ؟ وما عليَّ ثياب. [7]

ومن النكرة المقصودة الواجبة النصب بسبب وصفها بشبه جملة قوله:

---

(١) جـ٣/ ٤٢٠

(٢) جـ٣/ ٤١٧

(٣) جـ٣/ ٥٨٤

(٤) جـ٥/ ٥٨٢

(٥) جـ١/ ١٢٩

(٦) جـ٣/ ٦٣٦

(٧) جـ٣/ ٦٣٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- يا شراعاً وراء دجلة يجرى
- فى دموعى ، تجَّنبتْك العوادى
- اقترب .....إننى أموت هُياماً. (١)

وقــوله :

- يا امرأةً ليس لها علاقة .
- بكل ما يحدث من زلازلٍ
- فى خارج الغرفة. (٢)

ومن مواضع حذف حرف النداء قبل المنادى بأنواعه المختلفة قــوله:

- نينوى .....البوكمالْ – طرطوسْ ..حمصْ
- بابلّ ، كربلاءُ رُدّى السلاما(٣)

وقولــه:

- بغدادُ .....طرتْ على حرير عباءةٍ. (٤)

وقوله :

- أبا تمام إن النار تأكلنا(٥)

وقــوله:

- وقُل لى أيها الشاعرُ.
- لماذا الشعر ... حين يشيخ
- لا يسْتل سكيناً .... وينتحر.
- فلا أحدٌ بسيف سواه ينتصرُ. (٦)

ووقع المنادى فى شعره لفظة " مَنْ " الموصولة فى قــوله:

- يا مَنْ يصلى الفجر فى حقلٍ من الألغام.
- لا تنتظر من عرب اليوم سوى الكلام(٧)

---

(١) جـ٣/٦٣٤

(٢) جـ٥/٤٧٠

(٣) جـ٣/٥٢٤

(٤) جـ٣/٣٥١

(٥) جـ٣/٦٣٤

(٦) جـ٣/٣٥١

(٧) جـ٦/٦٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقـــوله :

- يا من تظهرين وتختفين.
- كقطعة سوداء فى جوف الظلام. (١)

وجـــاء فى شعر نزار المنادى نكرة مقصودة فى سياق التعجب السماعى فى قوله:

- الله يا زمـــانُ. (٢)

وجـــاء فى شعره المنادى المندوب فى قوله:

.....

- واخجلة الأشراف من قريش.
- واخجلة الأحرار من أوس ومن نزار (٣)

ومن حذف المنادى أيضاً قوله : فى قصيدة غرناطة.

- يا ليت وارثتى الجميلة أدركتْ
- أن الذين عنتهم أجدادى.

أى : يا هذا – ليت وارثتى الجميلة.....

وجاء فى شعر نزار المنادى محذوفاً فى قوله:

- هل الحروب يا ترى
- نعمق السواد فى العيون.

قـــوله :

- يا رُبَّ حىٍّ ، رخامُ القبر مسكنه
- ورُبَّ ميْتٍ على أقدامه انتصبا

أى : يا هذا ترى ....

ويا هذا رُبَّ حىٍّ

ويا هذا رُبَّ ميْتٍ.

تابع المنادى :-

جاء ذلك فى شعر نزار فى قوله :

- يا تونسُ الخضراءُ ، جئتك عاشقاً

---

(١) جـ٦/٦٣

(٢) جـ٦/٣٦،٢٩

(٣) جـ٣/٨٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وعلى جبينى وردةً وكتابُ [1]

فالخضراء نعت للمنادى المفرد العلم " تونس" المبنى على الضم ، ويجوز فى التابع وهـو لفظـة "الخضراء" هنا الرفع مراعاة لشكل المتبوع – المنادى ويصح نصب لفظة "الخضراء " مراعاة لمحل المتبوع. [2]

وفى قوله:

يا سيدى

وفى قو

- يا سيدى الجمهورَ
- إنى مستقيل
- فدور مهرج السلطان
- دور مستحيل

بوجـوب نصـب الجمهور لأنها تابع لمنادى واجب النصب ، والنصب هنا مقدر بسبب السكون العارض .

وأما أولاً : فلماذا جاء المنادى فى شعر نزار من هذه الأنواع ، ولماذا تكرر فى قصيدة واحدة

أقـول إن علـوم البلاغة – وليس علوم اللغة – هى التى تنهض بالإجابة عن مثل هذه الأسـئلة ، حيـث يـتم الربط بين الموقف الشعورى للشاعر ، والتراكيب التى استخدمها للتعبـير عن أحاسيسه ومشاعره ، تجاه هذا الموقف ، ومعاناته المؤلمة ، الحزينة تجاه بـيروت الـتى تحولت من "ست الدنيا" " منادى مضافاً" إلى " بيروتُ الفوضى " منادى محكى ولا يخفى على أحد الفرق الواضح المحزن المؤلم بين هذين النوعين من المنادى اللذين جاءت عليهما بيروت فى سياقات مترابطة.

ولا علاقـة لنوعى المنادى – المنادى المضاف ، والمنادى المحكى أو أى نوع آخر من أنـواع المنادى بما نحن بصدد التحدث عنه ، لأن الصنعة النحوية ، والتخريجات التى تحتاجها التراكيب ، قضية نحوية ، أما تحليل هذه التراكيب واستبطان محتواها ، وسبر أغوارهـا شعورياً ، وتخييلاً ، فأمر آخر قد لا تكون له صلة قريبة ببحوث النحو ، وقد تكون له صلة وثيقة فى مواضع أخرى.

---

(١) جـ٣/٦٣١

(٢) النحو الوافى جـ٤/٤٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجمع بين " حرف النداء " يا " و " ال "

من أحكام النداء حكم عام تخضع له أقسامه الخمسة ، هو :

لا يجوز نداء المبدوء " بأل " فلا يصح الجمع بينه وبين حرف النداء، إلا فى إحدى الحالات الآتية :-

الأولى :- لفظ الجلالة " الله " نحو : يا الله سبحانك !! والأكثر فى الأساليب المشهورة أن يقال : اللهم ، وهو من الألفاظ الملازمة للنداء كقوله سبحانه : قل اللهمَّ مالك الملك ، تؤتى الملك منْ تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ..... " وكقول على بن أبى طالب عندما مدحه قومٌ فى وجهه : اللهم إنك أعلم بى من نفسى وأنا أعلم بنفسى منهم، اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون ، واغفر لى ما لايعلمون "(١)

وقد منع الجمع بعض النحاة بين " يا " والميم المشددة فى "يا اللهم " وأباحه آخرون مستشهدين بقول الشاعر :

إنى إذا ما حدثٌ

مستشهدين بقول الشاعر :

إنى إذا ما حدثٌ ألماَ * أقول : يا اللهمّ يا اللهمّا (٢)

الثانية : المنادى المُشَبَّه ، بشرط أن يذكر معه وجه الشبه كقولك لمغنٍّ : يا البلبل ترنيماً وتغريداً أطربنا – يا الشافعى فقهاً وصلاحاً سر على نهجه – يا المأمون ذكاءً وبراعة أحسن محاكاته ....." أى: يا مثل البلبل .... يا مثل الشافعى يا مثل المأمون ..... فالمنادى فى حقيقة الأمر محذوف ، قد حلّ محله المضاف إليه ، فصار منادى بعد حذفه" ولا يصح أن نعمّم ذلك فنقول : يا القرية أى : يا أهل القرية ، لفقد شرط المشابهة.

الثالثة: المنادى المستغاث به ، المجرور باللام المذكورة ، نحو :

يا للوالد للولد " فإن لم يكن مجروراً باللام لم يصح الجمع" .

الرابعة : اسم الموصول المبدوء " بأل " بشرط أن يكون مع صلته علماً ، نحو : يا الذى كتب " فى نداء شخص اسمه "الذى كتب"

---

(١) النحو الوافى جـ٤/٣٦ م١٢٩

(٢) هذا البيت لأمية ابن أبى الصلت ، وزعم العينى أنه لأبى خراش الهذلى وذكر معه بيتاً سابقاً عليه حد قوله:

إن تغفر الله تغفر جماً : وأى عبد لك إلا ألما راجع تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد على شرح ابن عقيل جـ٤/ ٢٦٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخامسة : نداء العلم المنقول من جملة اسمية مبدوءة " بأل " نحو الرجل زارع ؛ تقول : يا الرجل زارع " سر على بركة الله "

السادسة : العلم المبدوءة " بأل " إذا كانت جزءاً منه ، يؤدى حذفها إلى لبس لا يمكن معه تعيين العلم المنادى . نحو : يا الصاحب بن عباد " يالقاضى الفاضل - يا الهادى الخليفة العباسى .....إلخ "[1]

شرح المفضل جـ٢ / ٨ ، ٩

وكان سبب منع نداء ما فيه"ال " عند الشيخ خالد الأزهرى هو أن نداء ما فيه " ال " يعنى الجمع بين تعريفين ، فالنداء يفيد التعريف وال تفيد التعريف ، ولا يجمع بين تعريفين "[2]

وقد اقتصر البصريون على إباحة الجمع بين " يا " و " ال " فى أربعة مواضع هى رقم ١ ، ٢، ٥ بالإضافة إلى صورة الضرورة الشعرية ، وزاد المبرد نداء الموصول المبدوء بأل وهى رقم ٤ من الصور الماضية.

أما الكوفيون والبغداديون فقد أباحوا الجمع بين " يا " و "ال " فى النداء فى غير ضرورة على خلاف ابن مالك وغيره.

واستشهدوا بقول الشاعر :

عباسُ يا الملك المتوّج والذى ** عرفت له بيت العلا عدنانُ[3]

واعتمد الكوفيون والبغداديون على السماع والقياس فى إباحة الجمع فى النثر بين " يا " و " ال " ، قائلين : إنه جاز فى القياس : " يا الله " بالإجماع فيجوز" يا الرجل " قياساً عليه بجامع أنّ كلا منهما فيه " ال " وليست من أصل الكلمة ، وأما السماع فقد أنشدوا :

فيا الغلامان الذان فرا....[4]

وقد رُدَّ على حُجج الكوفيين والبغداديين بأدلة أخرى تمنع إباحة الجمع بين " يا " و "ال"، بل وبين جميع حروف النداء والمبدوء بـ " ال " من المنادى.

وقد بُولغ فى ردّ قول الشاعر : يا الغلامان اللذان فرا ...." إلى حد وصفه بالقبح ، على ما قاله ابن يعيش. [5]

---

(١) النحو الوافى جـ٤/ ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

(٢) شرح التصريح على التوضيح جـ٢/١٧٢

(٣) السابق

(٤) السابق

(٥) شرح المفصل جـ٢/٨ ، ٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما نــزار قبانى فقد اقتصر فى الجمع بين أداة النداء " يا " و " ال " على إدخال يا على اســم الموصــول " التى " أو " الذى " ، وأدخل " يا " على بقية الأسماء الموصولة غير المبدوءة بأل مثل " التى " .

ومن نماذج ذلك عنده قــوله :

- **يا التى** أزرع فى أحشائها.
- السيف الأخيــر.
- ما يَهُمُّ الأبجديات .....فأنتِ الأبجدية .....
- **يا التى** عِشْتِ إلى جانبها العشق .....جنونا
- وافتخاراً .....
- **يا التى** ساحلها الرملى يرمى لى.
- زهوراً .....ونبيذاً قبرصياً ...ومحاراً "(١)

ومن ذلك أيضاً قــوله :

- يا التى تعتقلنى فى داخل قصائدى.
- وتتحكم فى مفاتيح حنجرتى.
- أريد أن أصل معك إلى مرحلة ما بعد اللغة
- ما وراء جميل بثينةْ
- وسحيم
- وعروة بن الورد
- والرمزيين والرومانسيين ، والسرياليين(٢)

ومن ذلك قــوله :

- سميتك الجنوب
- يا طلقة الرصاص فى جبين أهل الكهف
- ويا نبىَّ العُنْف
- ويا الذى أطلقنا من أسرنا.
- ويا الذى حَرَّرنا من خوف . (٣)

---

(١) جـ ٤ / ٣١٢

(٢) جـ٦ / ٨١

(٣) جـ٦/٧٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن ذلك قولك :

- أنا ـــــــ يا محمدي الكسلي
- التي ليست لديها مشكلة
- يا التي تزعجك الفهوة
- من خلف الستور الحقلة[1]
- حلواني

ومما تجدر ملاحظته على جميع تراكيب قائلي من "يا" و "أل" وبخاصة بين "يا" والاسم الموصول المجرد "أي" :-

١- أن تراكيب متأثرة بلهجة أهل الشام ، سوريا ولبنان في الإكثار من الجمع بين "يا" والاسم الموصول المجرد "أي" والتي تظهر واضحة في استخدام الملحنين في أغانيهم واقتصارهم على اسم موصول واحد هو "اللي" حيث يقولون :

الموضوع هنا يا اللي بعرفنا هلأ ما في حدا غارضو ....." ومع إضافة الألف في كل الكلمة ....."

غير أن يا هنا يأتي أكثر من مواضيعها في اللهجة البيضاء ليست النداء غالباً بل التنبيه.

وهم يكثرون من استخدام لفظة " اللي " ويقصرون عليها في لهجاتهم المحلية اللبنانية والسورية ، بما عليها اسم موصول مشترك بدلاً من "أي" أو "ما" الموصولتين.

٢- إن اقتصار غنائي في شعره على إدخال أداة النداء "يا" على الاسم الموصول المجرد "أي" دون بقية الأسماء المجردة "بال"

- لأن دعوته إلى التجديد تقضي أن يدعو إلى استخدام جميع الرخص التي أباحتها اللغة وأجازت اللغة الشاعرية على استخدامها بغض النظر عمّا من اللغة أباح هذه الرخص ، أو توسع في رخص باب النداء أو غيره أو عن منع مثل هذه الرخص ....."

---

[1] ج ٢ / ٢٢٧ ، ديوان أبيات جـ٢/ ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاستفهـــام

الاستفهام له الصدارة جوازاً وليس وجوباً :-

إن المعـــروف المتعارف عليه أن أسماء الاستفهام من الأسماء التى لها الصدارة وجوباً فى الجملة العربية ؛ لأن ما قبلها لا يعمل فيما بعدها. فنحن نقول : أين محمد ولا يصح أن نقول : " محمدٌ أين " ونقول : كيف حالك ولا نقول : حالك كيف ؟

لكـــن الأساليب المعاصرة درجت على عدم الالتزام بتقديم أسماء الاستفهام فى جملتها ، وقد انتشر ذلك فى كثير من العبارات الصحفية فى الصحف اليومية فى مصر ، وكثير من البلدان العربية ، ونزار قبانى إنسان ذو مواصفات خاصة ، مرهف الحس والسمع ، حـــاد البصر ، وقاد الذكاء وهو منشغل بالقرب من جمهوره من خاصة الناس وعامتهم وهو حريص على التحدث معهم بكثير من التراكيب المألوفة لديهم ، وبخاصة إذا لم تكن هذه الأساليب أو التراكيب تؤدى إلى خلل دلالى فى التركيب.

وعلى هذا نرى نزار قبانى يستخدم أسماء الاستفهام متصدرة جملتها، وعدم وقوعها فى صدارة جملتها وذلك فى مثل قوله :

- أريدك أنثى.
- ومن أين يأتى رحيق الأنوثة.
- وكيف تصير الظباء ظباء.
- وكيف العصافير تتقن فن الغنـــاء.
- أريدك أنثى
- وأجهل كيف يُرتكبُ هذا العقارُ الخطير.
- وأجهل كيف الفراشة تكتب شعراً.
- وكيف الأنامل تقطر شهداً. (١)

ويقـــول :

- شعراء الأرض المحتلة.
- نتعلم منكم منذ سنين.
- نحن الشعراء المهزومين
- نحن الغرباء عن التاريخ
- وعن أحزان المحزونين

---

(١) جـ ٢ / ٨١٨ ، ٨١٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- نتعلم منكم.
- كيف الحرف يكون له شكل السكينى[1]

قد

كنت قد شاركت ببحث عن " قـد " فى القرآن الكريم .....دراسة نحوية دلالية ....." وذلك فى مجلة كلية دار العلوم بالفيوم مايو ١٩٩٩م.

وقد ظهر لى أن " قد " حرف متعدد الدلالة ، حيث يستعمل اسماً وفعلاً وحرفاً ، بـل إنـه إذا جاء اسماً تعددت دلالته ، وكذلك إذا جاء فعلاً أو حرفاً وهو إذا جاء حرفاً فدلالته كثيرة تفوق دلالته الاسمية أو الفعلية.

وقـد لفـت نظرى أن " قد " اسماً لم تستعمل فى القرآن الكريم ،وهى كذلك إذا كانـت فعـلاً ، لكن " قد " الحرفية جاءت كثيراً فى القرآن الكريم ، وكانت لها دلالات عديدة وكثيرة. [2]

إذن فلفظـة " قـد " من الألفاظ المشتركة أى : المشتركة بين الاسمية والفعلية والحرفية ، فمرة تستعمل اسماً ومرة تستعمل فعلاً ومرة تستعمل حرفاً. [3]

ومعـاجم اللغة قد أمدتنا بمعلومات مفيدة عن " قد " ودلالتها قالوا: القَدّ : مصدر قَدَدتُ السير ، وغيره أقده قداً ، أى أقطعه ، والقد القطع ، وشق الثوب. [4]

وفـى الحديث أن علياً – صن – كان إذا اعتلى " قدّ " وإذا اعترض " قط" والقد القامـة ، والقد قدر الشئ ومثله ، والجمع قدود وفى الحديث : أن جابر بن عبد الله أتى بالعـباس يوم بدر أسيراً ليس عليه ثوب ، فنظر له النبى {ﷺ} قميصاً فوجد قميص عبد الله بن أبى يقدد عليه ، فكساه إياه ، أى كان الثوب على قدره وقده فكساه إياه"[5]

ومـن يتبع كتب المعاجم فسوف يجد فيها ثروة كثيرة حول معانى اللفظ "قد" لكن لغة نزار قبانى تجعلنا نقف أمام لقطة "قدى" التى بمعنى مقدار، أو مقدارى فنحن نقول : هـذا ثوب على قدك . أى : على مقدارك ، ونقول : هذا ثوب على "قدى" أى : على مقدارى ، وهذا أمر موروث فى استعمالات جميع متكلمى العربية على اختلاف مستوياتهم[6]

---

(١) جـ٣ /١٥٢

(٢) دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول جـ١/ ٣٠٢ – ٣٣٠

(٣) شرح المفصل جـ٣/١٢٤

(٤) لسان العرب مادة " قد " والقاموس المحيط

(٥) السابقان.

(٦) التطور اللغوى مظاهره وعلله – رمضان عبد التواب ص٤٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال التبريزى فى إصلاح المنطق :

وتقول : حسبى من كذا كذا ، وقد أحسبنى الشئ كفانى ولا تقل قطنى [1]

وقدى ، و " قدى " من كذا وكذا ، و "قدى " و "جلى" بمعنى حسبى ، إذن فهل توجد علاقة ما بين لفظة " قد " ولفظة " قدى " الثانية ، فالأولى بمعنى مقدارى والثانية واردة عند التبريزى بمعنى " حسبى" وهما معنيان لهذه اللفظة اندثر أحدهما لقلة ما نراه منه مستعملاً على ألسنة المتحدثين باللغة الفصيحة.

ويقول ابن برى : قال الجوهرى : لو سميت بـ قُد " رجلاً لقلت هذا "قدّ" بالتشديد والتنوين ، مثل : كىّ ، ولوّ وهوّ ، فتزيد فى آخرها تضعيفاً ، قال ابن برى تعليقاً على ذلك:

" وهذا غلط ، لأن التشديد يكون فى المعتل آخره فقط أما الذى آخره حرف صحيح مثل " قد " فلا يضعف فنقول : هذا " قدٌ " بالتنوين من غير تضعيف ، ورأيت قداً، ومررت بقدٍ كما تقول : هذه يدٌ ، وسلمت على يدٍ .... وهكذا " [2]

وبمناسبة الحديث عن لفظة " قد " مشددة النون بمعنى مقدار يجدر ذكر أن هذا اللفظ له انتشار واسع ولا يزال له استعمال قوى وشائع على ألسنة جميع المستويات الناطقة بالعربية لكن نطق " القاف" فى بداية هذا الحرف قد اختلفت فيه العاميات ، وكلها لا تخرج عما هو موجود فى العاميات المصرية التى تنطق القاف مرة قافاً فصيحة مثل أهل البرلس ومرة همزة مثل أهل القاهرة ، وقد جاورها من المدن ، ومرة تنطق القاف كافاً فارسية مثل أهل صعيد مصر وأهل الشرقية ، كما أن أهل صعيد مصر ربما ينطقون قاف " قدى" المشددة الدال قد ينطقونها كافاً فيقولون هذا على " كدى " ويبدو أن قرب مخرج القاف ، والكاف جعل الكثيرين يبدلون القاف كافاً ونرى هذا منتشراً كثيراً فى عاميات أهل فلسطين والأردن وبعضهم ينطق " القاف " كافاً فارسية .

وقد أصاب الحرف القاف تحريف كثير فى النطق فى كثير من عاميات العالم العربى ، فبعض أهل السودان والكويت ينطقون القاف غيناً ، فيقولون " نريد استغلالاً فى قرارتنا بدلاً من نريد استقلالاً... "[3]

---

(١) جـ٢/ ١٨٤

(٢) لسان العرب مادة " قد " وتهذيب إصلاح المنطق جـ٢/٢١١ والإنصاف م١٥ جـ١/١٣٢

(٣)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويبدو أيضاً أن سبب ذلك يرجع فى جزء منه إلى قرب المخرج بين القاف والغين برغم اختلاف الحرفين فى صفة الهمس والجهر.

ولأن نــزار قــبانى كان ينزع إلى جعل لغته الثالثة قريبة من معظم مستويات الناطقين بالعربية ، فقد استعمل لفظة قد الأسمية المشددة الدال والتى بمعنى " مقدار " أو مماثل ، أو مشابه ، ومساو .....

ذلــك لأن هذا الاستخدام الأسمى لهذه اللفظة هو أكثر استخداماتها الاسمية، حيث لم يبق غــيره منتشراً على ألسنة الكثيرين ، ومات غيره من الاستعمالات الأخرى للفظ " قد " والــتى وردت بمعــنى " حسب" مشابهة للفظ " قط " وربما تلحق كلاً منهما نون الوقاية فتصبح " قدنى" " قطنى" وقد عارض البصريون ذلك لأن نون الوقاية لا تلحق الأسماء.

لكــن الذى يعنينا من هذا ، هو أن نزار قبانى قد استخدم اللفظ "قد " الاسمى ، فى أشهر استعمالاته الحية التى بمعنى " مساو " أو مماثل فى مثل قوله :

- قبل أن أحبك
- كانت لغتى على قدى
- وأحلامى على " قدى"
- وحزنى ، وفرحى ، وجنونى
- على قدى .
- وحين جاء الحب الكبير
- بدأ المأزق الكبير
- وتمزقت خرائط اللغة. (١)

أما استعمال نزار للفظ " قد " حرفاً ، فقد جاء كثيراً ، حاملاً دلالات عديدة حمله عليها السياق وتحددها القرائن المتعددة ، ومما جاء فيه اللفظ " قد " حرفاً قول نزار :

- هل نحن فرع من بطون بنى هلال ؟
- عربٌ .... بلا عرب.
- والشاعر العربى
- قد فقد الحقيقة
- مثلما فقد الخيــال . (٢)

---

(١) جـ٤/ ٤١٤

(٢) جـ٥/ ٥٢٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- **حتى** :-

حكم المضارع بعد حتى إما النصب عند تحقق شروط النصب وإما الرفع الواجب وذلك عند تحقق شروط ذلك وإما جواز الأمرين ، وهى عند الرفع تكون ابتدائية وعند النصب تكون جارة للمصدر المؤول من أن والمضارع بعدها وفى كل الأحوال لا يجوز أن يفصل بينها وبين المضارع بأى فاصل إلا " أن " الناصبة للمضارع المضمرة وجوباً فى حالة نصبه وقد أجاز بعض النحاة الفصل بين حتى وبين المضارع بالظرف أو بالجار المجرور ، أو بالقسم أو بالمفعول به أو بالشرط الذى فعله ماض. (١)

ولم يذكر النحاة الفصل بالمبتدأ.

لكن نزار قبانى – رحمه الله – لا يرى شعره بأساً من الفصل بين حتى وفعلها بالمبتدأ مثل :

- حتى الطيور تفر من وطنى
- ولا أدرى ما السبب
- حتى الدفاتر والكتب
- وجميع أشياء الجمال
- جميعها ضدّ العرب
- ما هو المطلوب منى ؟
- ما هو المطلوب منى حتى قطتى تصفح عنى ؟(٢)

لكننا نلاحظ هنا أن حتى فى المثال الأول قد دخلت على اسم ، وأصبحت ابتدائية حقيقية وأنها غير متسلطة على الفعل بعدها وهو " تفر" بخلاف حتى فى البيت الأخير فهى مسلطة على الفعل تصفح ، وقد فصل بينها وبين الفعل (٣) بالمبتدأ " قطتى" وقد تسبب هذا الفصل فى ترجيح الرفع أو فى ضعف النصب ؛ لأن الفاصل ليس ما أباحه الذين أباحوا الفصل بين حتى والفعل مع ملاحظة أن معظم حروف نصب المضارع لا يصح الفصل بينها وبين فعلها بأى فاصل باستثناء " لا " النافية فهى من الفواصل المباحة ، لأنهم قالوا إن الفصل بـ " لا " كـ " لا " فصل .

---

(١) النحو الوافى جـ٤/٣٣٨

(٢) جـ٤/٦٢

(٣) جـ٤/١١٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمـــا " حتى " فقد ورد الفصل بينها وبين فعلها بـــ " لا " النافية ، وبغيرها مما سبق أن أشرنا إليه.

هذا ، ولا يخفى أن استخدام نزار قبانى للفظة " قطتى" فى الفصل بين حتى و الفعل فيه رغـبة واضحة من نزار قبانى فى الميل إلى جعل لغته الثالثة التى ينادى بها لغة قريبة من كل قطاعات المجتمع العربى وجميع مستوياته المتخصصة ، والمثقفة ، وغير هؤلاء وأولئك ، لأن مثل هذا التركيب :

ومـــا هو المطلوب حتى قطتى تصفح عنى؟ " هو تركيب دارج على ألسنة الكثيرين من قطاعات المجتمع .

- هـــذا أمر ، وأمر غير أخير هو أن نزار قبانى يريد للغته الثالثة أن تبعث كثيراً مـــن القواعـــد التى حُكِم عليها بالموت لأى سبب من الأسباب ، معلناً فى شعره ونـــثره بصـــوت عـــال إن هذه القواعد لا يصح أن يحكم عليها بالموت ، لأن المـــرجع الحقـــيقى ، والقول الفصل فى مثل هذه المسائل لا يكون بمعزل عن الاستعمال اليومى لمفردات اللغة، وتراكيبها.

النفى :-

تحدث د. إبراهيم أنيس عن نوع من أنواع النفى أطلق عليه " نفى المناطقة" وهو نوع من أنواع النفى قد يختلف عما عند النحاة واللغويين ؛ لأن اللغة لا تسير دائما على كل ما وضعه المناطقة والرياضيون ؛ لأن للغة منطقها الخاص بها ، ووسائلها الخاصة بها للتعبير.

لكنّ هناك قدراً لا بأس به اتفقت فيه اللغة مع ما قرره أهل المنطق، قديماً وحديثاً.

فالمناطقة يتحدثون عن المحصل والمعدول ، ويعنون بهذين الاصطلاحين أمراً يشبه ما يعنيه اللغوى حين يعالج الثابت والمنفى ، وقد ولّد لنا المناطقة فى اللغة العربية اللاّسلكى ....الخ " مما لا عهد للعربية به ، لكنه ينسجم مع قواعد أهل المنطق التى منها : " تقابل المتناقضـــين" ويكون ذلك بين لفظين أحدهما ثابت والآخر منفى " محصل ومعدول" مثل عالم ، ولا عالم ، بناتىّ ولا نباتىّ[1]

ومن هذا " النفى المنطقى " الذى أوردهُ د. إبراهيم أنيس قول نزار :-

.....

---

[1] أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ص١٦٠ مطبعة الأنجلو المصرية ط٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- قد كنت غلاماً
- أحمل الرمل على ظهرى
- وألقيه ببحر اللانهاية (١)

وقــوله : أنا لا أسكت فى أى مكان

- إن عنوانى هو اللا منتظر (٢)

وقولــه: كيف أصوّر هذا العصر اللامعقول ؟

- نسيت الوصفا (٣)

وقــوله :

- كيف سأوقف هذا المدّ اللاقومىّ
- وهذا الفكر التجزيئىّ

وقــوله :

- فى زمن اللاكتابة
- لا أدرى ماذا أكتب إليك ؟
- وفى زمن اللاحوار.....

وقوله :

- فى هذا الزمن اللامعقول.
- لابُدَّ لنـــا.
- لابُدَّ لنا من قتل الغول(٤)

وقــوله :

- غيّرى الموضوع يا سيدتى
- غيّرى هذا الحديث اللاأُبالىّ
- فما يقتلنى إلا الغباء ... (٥)

وقــوله :

---

(١) جـ٦/ ١٧٣

(٢) جـ٦/١٨٩

(٣) جـ٦/ ١٩٥

(٤) جـ٦/٢٢٠

(٥) جـ٦/٢٢٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وأصبح الشعر به
- قصيدة من الخشب
- فى زمن اللاعشقِ ..... واللا حلم ، واللا بحر [1]

وقــوله :

- سأترك هذا المكان إليك.
- لكى أتناثر فى اللامكان
- وأكسر هذا الزمان المدور [2]

---

(١) جـــ٥/ ١٣٥

(٢) جـــ٥/ ١٨٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وأخيراً فإننا إذا أردنا استقصاء التراكيب أو الجمل والمفردات التي يمكن أن نضعها تحت مبحث محاكات نزار للمستويات المعاصرة أو اللغة الدارجة في شعره. إذا أردنا ذلك لوجدنا شيئًا آخر ليس كثيرًا لكنه مع ما قبله لا يصلح للحكم على شعر نزار بأنه عامي أو دارج أو مسطّح، أو ينزع إلى المباشرة.

لأننا درسنا كمًا ليس قليلاً من شعره الذي حاول أن يضع فيه تناصاً غير كامل بين ألفاظه والتراكيب القرآنية المعجزة، ورأينا كمًا ليس قليلاً من التراكيب التي حاول فيها نزار أن يناص التراث العربي، فجاءت تراكيبه كأنها من القرن الأول الهجري أو الثاني أو الثالث وجاءت هذه التراكيب مشتملة على قضايا نحوية ذات طابع خاص بشعر نزار الذي حاول به نشر لغة ثالثة تقترب من جميع أفراد أمته العربية من المحيط إلى الخليج بلا كلفة أو تعالى أو غموض، فأقبل على شعره وعلى لغته الثالثة الخاصة والعامة.

- إن المتتبع للمح الثالث يجد أن نزارًا قد ذكر فيه الألفاظ الدارجة والتراكيب الدارجة ما يقربه من العامة والخاصة ويجعل شعره مزينًا وموشى بأجمل التحف الرائعة.

ومن الألفاظ الدارجة لديه قوله:

١ - ياست الدنيا يا بيروت[١].

٢ - وعدتك بألا أتلفن ليلاً[٢].

٣ - وبستك من بين عينيك حتى شبعت.

٤ - حين يصير الحرف في مدينة.

- حشيشة يمنعها القانون.

- يصبح اشلتفكير.

- كالبغاء.. كاللواط.. والأفيون.

- يهرب من مكانه المكان

- وينتهي الإنسان[٣].

٤ - لأن عشق الله هو العشق الشرعي الوحيد الذي لا يطاله قانون العقوبات.

٥ - فادخلي من أي باب شئت.

---

(١) جـ٢/ ٣١٨.
(٢) جـ٤/ ٣٠٠.
(٣) جـ٣/ ١٠٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وخليني أنام[1].

٦ - فكيف يمارس الإنسان فن الحب في عز الظهر والموت في عز الظهر[2].

٧ - القائد يشعر بالإرهاق.

- فخلّو يغفو ساعات[3].

٨ - دولة قمعستان.

- إن من أهم صادراتها.

- حقائبنا جلدية.

- مصنوعة من جلد الإنسان.

- الله يا زمان[4].

٩ - هل من نعمة الله أنه يوزن حناجر العرب دورية شعرية لم ان الشعر لغة أوربية تلاحقهم[5].

١٠ - وإلا كانت وشوشاتهم صراخاً[6].

١١ - أيا طويل العمر

- يا تنّ تشتري النساء بالأرطال

- لسنا نريد منك أي شيء..[7].

١٢ - يا التي تبكي طوال الليل عصفور الأمل

- سبق السيف العزل[8].

١٣ - الله... ما أصغرها من مشكلة

الله يا زمان[9].

١٤ - الله كم تضحكني الوصية[10].

---

(١) جـ٢ / ٨٣٩.
(٢) السابق.
(٣) جـ٣ / ٣٦٨.
(٤) جـ٦ / ٣٦١.
(٥) جـ٧ / ١٩٩.
(٦) جـ٧ / ١٩٩.
(٧) جـ٦ / ٤٠٨.
(٨) جـ٤ / ١٩٩.
(٩) جـ٥ / ٤٦٦.
(١٠) جـ٢ / ٢٧٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٥ - إيماني بديمقراطية الشعر دفعني إلى التفتيش عن لغة ديمقراطية[١].

فكل هذه العبارات بعضها تعجب سماعي " والله يا زمان " وهو تركيب دارج وبعضها منها له أصول في عربيتنا القديمة برغم أنه دارج على ألسنة العامة والخاصة مثل يفتش - أبوس - يا ست الدنيا - وبعض منها تم نحته من ألفاظ محدثه التليفون، تلفن، وبعض منها حدث فيه تحريف عن أصوله الصحيح القديم: طال يطال والصحيح يطول.

وسواء كانت هذه التراكيب مستعملة قديما أم غير مستعملة شائعة أم غير شائعة، فإن نزار قباني جعل لغته الثالثة تحبب هذه الألفاظ- على رغم ما يقال عنها - إلى نفوس الجميع، أحبها الناس وأحبوه بها، وأحبوا شعره من خلالها أنه صدق عندما قال:

وأنا في سبيل القصيدة أستبيح كل شيء بما في ذلك اللغة لذلك تجدني أتسلل إلى المقاهي والسيارات العمومية والشوارع والأسواق الشعبية المكتظة لأسمع للغة بنقائها وفطرتها الأولى.

وهذه الطريقة أزالت الكلفة نهائيا بيني وبين من أكتب لهم وأدخلت شعري إلى شرائح اجتماعية لم يكن يشكل الشعر همًا من همومها "[٢].

ومع الله لعبت بديمقراطية وروح رياضية لم أتفصح ولم أتفلسف ولم أكر زجاج الله ولكنني مسحته بالماء والصابون ولم أحرق أوراق القاموس.

وهو صادق تمامًا لأنه لم يتحدث فقط إلى السوقة أو إلى البسطاء فقط، أو العامة فقط، إنه خاطب جميع شرائح المجتمع وامتلأ شعره بخطاب المثقفين والمتخصصين في قراءة الشعر ودراسته مثلما أكثر من خطاب عامة الناس.

إنه صاحب الشعر السهل الممتنع الذي احتوى تراكيب ذات موضوعات مثيرة مدهشة، محبوبة ثرية.

---

(١) جـ ٥ / ٣٥٦.
(٢) جـ٨ / ٥٤٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة والنتائج

وبعد...

فهذه قراءة نحوية مخلصة لشعر نزار قباني ولكثير من نثره، حاولت من خلالها معالجة كثير من الظواهر النحوية الواردة في شعر نزار قباني معالجة موضوعية غير متعصبة لنزار أو عليه، وغير متعصبة للنحاة أو عليهم، إنها معالجة موضوعية جاءت في الملامح الثلاثة التي رأيت أن أجعلها تضم بداخلها الموضوعات النحوية التي التقطها عند قراءتي لأعماله الشعرية الكاملة ولا شك أن شعر نزار قباني يحتاج إلى أكثر من قراءة لكي نتمكن من سبر أغواره نحويًا وبلاغيًا وأدبيًا بل وسياسيًا واجتماعيًا وعسكريًا و... و...

ولا أريد أن أدّعي أن قراءتي لشعر نزار قباني قد قالت الكلمة الأخيرة فيما يحتويه أدب هذا الشاعر.

لكن الذي أدّعيه أنني قرأت شعر نزار قباني قراءة واعية، متأنية، نحوية واسعة ودقيقة عالجت بها أدق القضايا وأشملها وأعمها، وازددت من خلالها إعجابًا بشعر هذا الرجل العربي الغيور على أمته المعجب بنفسه، وبكل ما يخصه ولقد كانت الموضوعات النحوية التي التقطتها عند قراءتي لشعر نزار موضوعات متنوعة ومتعددة وتتصل بأغلب الأبواب النحوية.

أما معالجتي لهذه الموضوعات فقد انطلقت من رغبة أصيلة تحاول التوفيق بين ما ورد في شعر نزار وبين ما قررته القواعد النحوية للخروج بفائدة عامة هي أنّ قواعدنا في مجملها لا ترفض كثيرًا مما جاء به نزار قباني في شعره مما يظنه البعض للوهلة الأولى أنه خطأ، أو خروج على قواعد اللغة. ثم إنني رأيت أن تكون الملامح ثلاثة لا أكثر ولا أقل لكي أحقق أهدافًا عديدة من وراء ذلك.

حيث يفيد الملمح الأول أن اللغة الثالثة التي يريد لها نزار قباني أن تنتشر هي لغة ذات صلة بالنسيج القرآني ذي الرصف المعجز والبيان الفريد. وأسميت هذا الملمح محاكاة لغة القرآن أو النظم القرآني لأقول للبعض انتبهوا إنّ نزار قباني شاعر مسلم وليس كافرًا مرتدًا.

وقد يقول قائل ما الذي يفيده ذلك وأقول ردًا على ذلك إن هناك كثرة من الناس يغمضون أعينهم عن شعر بعض الشعراء بسبب وصمهم بالكفر أو الردة وذلك وصف متعجل مجحف يضر بتراثنا كثيرًا قديمه ومتأخره وحديثه. لأن الفن البرئ الهادف يصدر من المسلم ومن غير المسلم وعلينا أن نحكم على الفن من خلال قيمته وأثره وبخاصة لا من خلال موقفنا المسبق من صاحبه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أنني جعلت معالجتي لكل جزئية التقطها عند قراءتي لشعر نزار معالجة خاصة بهذه الجزئية بحيث يجد القارئ نفسه يتنقل من شجرة إلى شجرة ومن يجمع بين هذه الأشجار شيء واحد هو نزار قباني وكلام النحاة رحمهم الله جميعاً.

وعلى هذا فمن أراد أن يستمتع بشعر نزار قباني لم أحرمه من ذلك حيث سقت له النص كاملاً تقريبًا أو بعضه ثم صدرته أو أتبعته بمناقشة القضية التي وردت فيه ولم أقم بتقطيع النص أو تفتيته وتذويبه في كلام النحاة فينقل ذلك على القارئ.

أما الموضوعات التي وردت تحت المبحث الأول محاكاة النظم القرآني فهي موضوعات صالحة لأن تدرس تحت المبحث الثاني والعكس صحيح كما قلت في التمهيد والمقدمة وهذا ليس عيبًا في نظري لأن محاكاة لغة القرآن لا تختلف كثيرًا عن محاكاة النظم القرآني، لأن النظم القرآني جزء من تراثنا العربي والإسلامي.

والذي أردت قوله من ذلك كله هو أن شعر نزار قباني من حيث المحتوى النحوي هو شعر قد امتلأ بالقضايا النحوية التي وردت في القرآن الكريم والشعر العربي القديم، وناقشتها الكتب المتخصصة في ذلك. وأن شعر نزار قباني قد ارتقى إلى حد أنه كان يحاول أن يستظل بالنظم القرآني في كثير من تراكيبه في تناقص غير مباشر، أو غير كامل.

وكذلك كان التناص مباشرًا وكاملاً مع الشعر العربي القديم في بعض القصائد ويهمني في كل ذلك - كما قلت - هو الجانب النحوي في التراكيب التي استظل فيها بالنظم القرآني أو التراث العربي.

أما الموضوعات النحوية التي وردت في المبحث الثالث مبحث المستويات المعاصرة أو فصحى العصر، فقد اخترت له موضوعات مناسبة لأنها تعالج موضوعات نحوية لتراكيب منتشرة كثيرًا في فصحى العصر أو لغتنا الدارجة.

والذي نخرج به من وراء ذلك هو أن نزار قباني قد جمع لشعره كل المقومات التي يراها معينة له على تحقيق هدفه والاقتراب من الناس خاصتهم وعامتهم.

وأن شعر نزار بقدر ما فيه من المباشرة فيه من الغموض الجميل والرمز المحبّر. وأن شعر نزار قباني ولغته الثالثة التي يمكن تصيُّد ملامحها من شعره هي لغة ذات قواعد مرنة حيّة مستعملة بغض النظر عن موقع قواعدها عند البصريين أم الكوفيين أم البغداديين أم غيرهم، وأن هذه اللغة الثالثة هي لغة خفيفة جميلة مقبولة، ليت قواعدها التي ناقشناها في الملامح الثلاثة ينظر لها بعين الرضا من قبل المتخصصين في الدرس النحوي والغيورين على لغتنا الفصحى فيؤخذ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مـن شـعر نزار قباني نصوص تدرس في كثير من المراحل الدراسية وتناقش النصوص ذات الموضـوعات النحوية الخاصة مثلما ناقشتها فيما مضى حيث يفيد ذلك في الإطلال على تراثنا مـن قـبل حاضرنا، لنقول للأجيال إن تراثنا العربي غير مقطوع الصلة بأدبنا المعاصر، وأن أدبنا المعاصر يحمل كثيرًا من تراثنا النحوي والصرفي.

وإذا أردنـا نـتائج أكثر تحديدًا يمكن الخروج بها من هذه الدراسة ذات الملامح الثلاثة الكبرى والتي امتلأت لملامح جزئية كثيرة للغة الثالثة في شعر نزار قباني، إذا أردنا ذلك رأينا أن هذه اللغة الثالثة من ملامحها:

١ – جواز صرف الممنوع من الصرف ضرورة واختيارًا.

٢ – توسيع دائرة الألفاظ الملازمة للإضافة للجمل، لتكون لقطة ألف واحدة منها عند اللزوم

٣ – جـواز إضـافة لقطة أي إلى نكرة أو معرفة وجواز إضافتها إلى مصدر سواء كانت أي وصفية أم استفهامية أم غير ذلك.

٤ – كـم الخبرية يجوز مجيء ضمير الرفع بعدها، وهو معرفة من أعرف المعارف، ويجوز مجيء جملة فعلية فعلها مضارع بعد كم الاستفهامية.

٥ – لا فـرق عـند نـزار في لغته الثالثة بين لا النافية للجنس ولا النافية للوحدة في كثير من المواضـع إلا إذا اضـطررنا إلى استخدام واحدة دون الأخرى لحاجة النص إلى ذلك أو لحاجة السياق.

٦ – يمـيل نـزار قباني في لغته الثالثة إلى استخدام أدوات الشرط متلوّة بالاسم وكأنه لا يرى اختصاص هذه الأدوات بالأفعال.

٧ – يجوز في لغة نزار الثالثة اقتران جواب الشرط الجازم باللام وليس بالفاء فقط.

٨ – يجوز مجيء ضمير الرفع وضمير النصب والجر بعد لولا.

٩ – يجوز الجزم والرفع في جواب الطلب.

١٠ – استخدم نزار قباني في لغته الثالثة معظم أنواع الوقوف واستخدم الوقف بالألف مع الاسم المعرف بال الجميلا – المواويلا – الذنوبا – الرسولا – السلاما – الخلاخيلا .

١١ – واستخدم الوقف بالسكون على الاسم المرفوع والمنصوب والمجرور.

١٢ – أجاز إسكان الفعل المرفوع.

١٣ – أجاز إسكان الفعل المشدد الآخر.

" بأني لستَ مَنْ تهتمْ "

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" نبارك أو بحناتك "

١٤ – وأسكن المبنيات مثلما أسكن المعربات.

١٥ – واستخدم هاء السكت في الوقف محققًا لها شروط النحاة.

١٦ – أجاز إلزام جمع المذكر السالم الياء واعرابه بالحركات.. سنينًا وسنينًا.

١٧ – جواز إضافة " بين " إلى مفرد متعد وغير مكررة ومكررة، في العطف وفي غير العطف.

١٨ – الميل إلى كثرة استخدام " حتى " عاطفة سواء تحققت شروطها كاملة أم تحقق جزء منها.

١٩ – استخدام " حتى " العاطفة على محذوف أي العاطفة مذكرًا على محذوف.

٢٠ – استخدام حتى العاطفة محذوفًا على مذكور.

٢١ – توسع في استخدام الزمن بحيث لا يقتصر فيه على الماضي أو المضارع فقط.

٢٢ – يجوز في اللغة الثالثة حذف المضاف عند تحقق شروط الحذف وعند عدم تحقق هذه الشروط.

٢٣ – يجوز تقديم النعت على المنعوت فتصبح الجملة من باب البدل لا من باب النعت.

٢٤ – أجاز نزار إدخال الكاف الجارة على ضمير الرفع بتوسط " ما " بينهما فقال " كما أنت ".

٢٥ – استخدام حتى بمعنى حين.

٢٦ – استخدام الباء بمعنى " مع ".

٢٧ – استخدام الباء بمعنى " في ".

٢٨ – استخدم نزار ضمير الرفع نحن بعد ضمير للنصب في " إننا نحن " وبعد ضمير للرفع " نفنا نحن " " قتلناك نحن بكلتا يدينا ".

٢٩ – الضمائر التي حكم النحاة بوجوب استتارها حكم نزار قباني بجواز استتارها فكأن حكم الوجوب عنده هو حكم جواز.

٣٠ – أناب نزار ضمير الرفع مناب ضمير الجر " لم أجد صدرًا يحتويني غير أنتِ ".

لا بديل لبيروت سوى هي.

وأناب مناب ضمير النصب وكأن اللغة الثالثة تقيس ما قصره النحاة على السماع.

٣١ – أجاز نزار في لغته الثالثة نداء الضمير، سواء كان للمخاطب أم للمتكلم وكأن نداؤه لضمير الرفع ولضمير النصب على حد سواء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣٢ – أطلــق نــزار قباني في لغته الثالثة دخول " ال " على كثير من الألفاظ بعدما كانت مقيدة مخصوصـــة بالفعل المضارع فقط، حيث جعلها نزار تدخل على المضارع والماضي والحرف والمشتق والظرف.

٣٣ – أجــاز نــزار قباني في لغته الثالثة أن يكون عائد الصلة للخطاب أو للتكلم أو للغيب عند تحقق الشروط وعند عدم تحقق هذه الشروط.

٣٤ – أدخل أداة النداء " يا " على اسم الموصول المعرف بال " يا التي ".

٣٥ – فصل بين لاسم الموصول وصلته وتوسع في هذا الفاصل على غير ما عند النحاة.

٣٦ – أجاز نزار تكرار كلما في الجملة.

٣٧ – أجاز نزار استخدام طالما للشرط.

٣٨ – جــاء جواب " لو " الشرطية على ما قرر النحاة وعلى غير ما قرر النحاة، وجاء بعد لو الشرطية الاسم والفعل في لغة نزار الثالثة.

٣٩ – نادى نزار الأسماء المحكية، فلم يخضعها للتغييرات الإعرابية.

٤٠ – استخدم نزار جميع أنواع المنادى تقريبًا.

٤١ – جمع نزار بين حرف النداء وبين الاسم المعرف بال، وبخاصة الموصول المبدوء بال.

٤٢ – استخدم نزار الاستفهام في غير الصدارة.

٤٣ – اســتخدم نــزار " قد " الاسمية مضافة لضمير المتكلم " قدى " واستخدمها حرفًا للتحقيق أيضًا.

٤٤ – استخدم " حتى " المفصولة عن فعلها باسم " حتى الطيور تفر من وطني ".

٤٥ – استخدم نزار نوعًا خاصًا من النفي يسمى بـــ نفي المناطقة مثل اللانهاية – اللاسلكي...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المراجع

القرآن الكريم

الأعمـــال الشعرية الكاملة - ثمانية مجلدات، نزار قباني، منشورات نزار قباني، ص ٦٢٥٠، بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة ١٩٩٣م.

إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي، مطبعة العاني - بغداد ١٩٧٧م.

الأغانـــي: لأبـــي الفـــرج الأصفهاني ، تحقيق: عبدالكريم الغرباوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م.

الإنصاف في مسائل الخلاف: لابن الأنباري.

أوضـــح المســـالك إلـــى ألفـــية ابن مالك: أبي محمد عبدالله جمال الدين بن هشام الأنصاري، (ت ٧٦١هـــ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة الاستقامة، ط٢ ، ١٣٦٣هـــ - ١٩٤٤م.

البحر المحيط لأبي حيان التوحيدي الأندلسي، مطبعة دار الفكر ، ط٢ ، ١٤٠٣هـــ-١٩٨٣م.

البرهان في علوم القرآن : محمد عبدالله الزركشي ،(ت ٧٩٤هـــ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة: دار أحياء الكتب العربية ، ١٩٥٧م، ط١.

التبيان في إعراب القرآن للعكبري، المكتبة التوفيقية، طبعة أولى، ١٩٧١م

التطور اللغوي مظاهره وعلله، د. رمضان عبد التواب ، مصر : مكتبة الخانجي القاهرة

تهذيب اصلاح المنطق - للتبريزي، مصر.

تنمية اللغة العربية، د. إبراهيم السامرائي، معهد البحوث والدراسات العربية ، مصر.

الجدول في إعراب القرآن وبيانه، محمود الصافي ، بيروت - لبنان.

الجانب الدلالي لأدوات الشرط، د. محمد حسين أبو الفتوح ، مجلة الدارة ، الرياض.

حاشية الجمل على تفسير أبي السعود، المطبعة المصرية.

حاشية الخضري على ابن عقيل، مطبعة الحلبي، د.ت ، والمكتبة التجارية مصر ، ١٩٥٣م.

حاشية الصبان على شرح الأشموني على الألفية، الحلبي ، مصر.

حاشية الشيخ ياسين على شرح التصريح ، الحلبي.

حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد محمد حسين ، طبعة ١٠ ، مصر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخصـــائص: لأبـــي الفـــتح عثمان بن جني ، تحقيق: عبد الحليم النجار، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، ١٩٨٧م.

دراســـات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عضيمة، مطبعة السعادة، بمصر، طبعة أولى، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

الـــدرر اللوامـــع على همع الهوامع مع شرح جمع الجوامع، أحمد بن الأمين الشنقيطي، تحقيق وشـــرح:د.عبد العال سالم مكرك، دار البحوث العلمية، الكويت ، طبعة أولى، ١٩٨١م-١٤٠١ هـ.

روح المعانـــي للألوســـي، لأبـــي الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، مطبعة الحلبي بمصر، ١٣٠١هـ ، ودار الفكر، بيروت - لبنان.

زهر الآداب للحصري القيرواني، مطبعة الرحمانية ، مصر.

ســـر صناعة الإعراب ، لأبي الفتح عثمان بن حسن، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، طبعة أولى ١٩٥٤م.

شـــرح ابـــن عقـــيل على الألفية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث ، الطبعة العشرون ١٩٨٠م.

شرح التصريح على التوضيح، طبعة دار إحياء الكتب العربية.

شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب ، بيروت.

شـــرح عمـــدة الحـــافظ وعـــدة اللافظ، جمال الدين ابن مالك، تحقيق: عدنان الدوري، مطبعة العاني، بغداد ١٩٧٧م.

شفاء الغليل للخفاجي، بيروت - لبنان.

الصـــحيح والضـــعيف في اللغة العربية، د. محمود فجال، مطبوعات جامعة الإمام ، الاحساء ١٩٩٦م.

القاعدة النحوية ، د. أحمد عبد العظيم، دار الثقافة والنشر ، مصر ١٩٩٠م.

الكـــتاب لســـيبويه، تحقـــيق: عبد السلام هارون، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، مكتبة الخانجي مصر.

لسان العرب لابن منظور، دار المعارف مصر .

مجالس العلماء للزجاجي، دار الفكر ، بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحتســـب لأبـــي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرون، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٦هـــ.

معاني القرآن للأخفش سعيد بن مسعدة، تحقيق: فائز فارس، طبعة ١٩٧٩م.

معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار وزميله، طبع جامعة الكويت، ط٢، ١٩٨٨م.

مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق: مازن المبارك، طبعة دار الفكر- بيروت ١٩٧٩م.

المقتضـــب للمبرد، تحقيق: الشيخ عضيمة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة ١٣٨٦ هـــ.

مستويات العربية المعاصرة في مصر ،د. السعيد بدوي، دار المعارف مصر.

من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس ، الأنجلو – مصر.

موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، الطبعة الثانية، ١٩٥٢م – الأنجلو المصرية.

نظرية النحو القرآني، د. أحمد مكي الأنصاري، دار المعارف – مصر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner